

# مِطَاهِرُ الْإِخْرَافِ وَالْعَقَدِيبِ

عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

وَأَزْهَامِ السِّيءِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تَأَلَّفَتْ

أَبُو عَبْدِ الْعَزِيزِ

أَدْرِيسَ مُحَمَّدَ سُودِ أَدْرِيسَ

المجلد الثاني

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ

تَاسِيُون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِطَاهِرُ الْأَخْرَافِ وَالْعَقَدَاتِ

عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

وَأَهْلِ السُّنَنِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل

درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين قسم

العقيدة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقد نال

بها الباحث الدرجة العلمية الماجستير بتقدير ممتاز .

# مِطَاهِرُ الْإِنْحِرَافِ الْعَقَدِيَّةِ

عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

وَأَثَرَهَا السِّيءِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تَأَلَّفَتْ

أَبُو عَبْدِ الْعَزِيزِ

إِدْرِيسِ مُحَمَّدِ سُودِ إِدْرِيسِ

المجلد الثاني

شركة الرياض

للنشر والتوزيع

مكتبة الرشد

الرياض

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

مكتبة الرشد ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع الأمير عبدالله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)  
ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١



Email: [alrushd@alrushdryh.com](mailto:alrushd@alrushdryh.com)

Website: [WWW.rushd.com](http://WWW.rushd.com)

- \* فرع طريق الملك فهد: الرياض - هاتف ٢٠٥١٥٠٠ فاكس ٢٠٥٢٣٠١
- \* فرع مكة المكرمة: هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
- \* فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
- \* فرع جدة: ميدان الطائفة - هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
- \* فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- \* فرع أبها: شارع الملك فيصل - تلفاكس ٢٣١٧٣٠٧
- \* فرع الدمام: شارع الخزان - هاتف ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣

وكلاؤنا في الخارج

- القاهرة: مكتبة الرشد - هاتف ٢٧٤٤٦٠٥
- بيروت: دار ابن حزم - هاتف ٧٠١٩٧٤
- المغرب: الدار البيضاء - وراثة التوفيق - هاتف ٣٠٣١٦٢ فاكس ٣٠٣١٦٧
- اليمن: صنعاء - دار الآثار - هاتف ٦٠٣٧٥٦
- الأردن: عمان - الدار الأثرية - هاتف ٦٥٨٤٠٩٢ جوال ٧٩٦٨٤١٢٢١
- البحرين: مكتبة الغرباء - هاتف ٩٥٧٨٣٣ - ٩٤٥٧٣٣
- الإمارات: مكتبة دبي للتوزيع - هاتف ٤٣٣٣٩٩٩٨ فاكس ٤٣٣٣٧٨٠٠
- سوريا: دار البشائر - هاتف ٢٣١٦٦٦٨
- قطر: مكتبة ابن القيم - هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

## الفصل الثاني

انحرافاتهم في الخضر عليه السلام

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس  
نبي وأن الولي أفضل من النبي  
ومناقشتهم .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق  
إلى يوم القيامة . (وتحته مطلبان)



المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس بنبي وأن الولي أفضل من النبي .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى يوم القيامة.

لقد انحرف المتصوفة في اعتقادهم تجاه الخضر عليه السلام حيث أنهم يعتقدون بأن الخضر عليه السلام ولي من أولياء الله تعالى وليس بنبي وبنوا ذلك على أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عليه السلام عن شريعة موسى حسب زعمهم الباطل وأنه يمكن للولي أن يصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى بدون اتباع الرسول ﷺ .

وإلى جانب ذلك يعتقد المتصوفة أيضاً تجاه الخضر عليه السلام إلى أنه حي يرزق إلى الآن ويدعون أنهم يلتقون به ويتلقون عنه علمهم اللدني الذي هو خاص بالأولياء فقط ولا يمكن أن يعرفه غيرهم كائناً من كان حتى الأنبياء .

\*\*\*



## المبحث الأول

اعتقاد الصوفية وغيرهم بأن الخضر ولي وليس بنبي

وأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي

كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام

إن اعتقاد المتصوفة بأن الخضر عليه السلام ولي وليس بنبي واضح جداً وليس يخفي على أحد وذلك لأنهم يبنون على هذا الاعتقاد القول أن الولي أعلم من النبي وأنه يمكن أن يصل الولي إلى مرضاة الله ومحبه بدون متابعة النبي .

وكذلك اعتقاد المتصوفة بأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام واضح أيضاً.

ومما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر ولي وليس بنبي قول محيي الدين بن عربي حين قال في « الفتوحات المكية » :

« اعلم أيها الولي الحميم أيديك الله أن هذا الوجد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العربي رحمه الله تعالى جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ فقال لي: هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيتك ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول أعني قول شيخني العربي فيه

لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري في الطريق» (١) .

والذي يهمننا من إيراد هذه الحكاية عن ابن عربي هو أنه قال عن الخضر أنه وتد من الأوتاد وهذا الوصف يصف به المتصوفة من يصفونهم بالأولياء .

وبالإضافة إلى كلام ابن عربي فإنك لو سألت أي صوفي عن الخضر عليه السلام سيجيبك بأن الخضر ولي من أولياء الله وليس بنبي وهم يقولون بهذا لأنهم بنوا عليه عقائد فاسدة كما ستوضح لنا الآن في هذا الفصل إن شاء الله أثناء دراستنا لمعتقد الصوفية تجاه الخضر .

ونحن نرد على هذا فنقول أن النصوص تدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله وليس بولي فقط كما يزعم المتصوفة ومن سار على نهجهم من بعض العلماء الذين يقولون بأن الخضر ولي وليس بنبي .

قال الفخر الرازي في معرض حديثه عن الخضر عليه السلام وهل هو نبي أو ولي : والأكثر أن ذلك العبد كان نبياً واحتجوا عليه بوجوه :

الحجة الأولى : أنه تعالى قال : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ (٢) والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴾ (٤) .

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي (٢/١٨٠) .

(٢) الكهف : (٦٥) .

(٣) الزخرف : (٣٢) .

(٤) القصص : (٨٦) .

والمراد من هذه الرحمة النبوة .

الحجة الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ وهذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله .

الحجة الثالثة : إن موسى عليه السلام قال : ﴿ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾<sup>(١)</sup> والنبى لا يتبع النبى فى التعليم .

الحجة الرابعة : إن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وأما موسى فإنه أظهر التواضع حيث قال : ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾<sup>(٣)</sup> . وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق النبى .

الحجة الخامسة : احتج الأصم على نبوته بقوله فى أثناء القصة : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ومعناه فعلته بوحي الله وهو يدل على النبوة .

الحجة السادسة : ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال : السلام عليك . فقال : وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل . فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذى بعثك إليّ .

(١) الكهف : (٦٦) .

(٢) الكهف : (٦٨) .

(٣) الكهف : (٦٩) .

قالوا وهذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون إلا مع النبوة<sup>(١)</sup> .

قلت : وهذه الحجج أراها حجج قوية لإثبات بأن الخضر عليه السلام نبي وليس ولياً فقط كما يدعي المتصوفة ومن سار على طريقتهم .

واستدل الشيخ محمد الأمين على نبوة الخضر بقوله تعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ فقال :

« ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ أي وإنما فعلته عن أمر الله جل جلاله وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا ولا سيما قتل النفس البريئة في ظاهر الأمر وتعييب سفن الناس بخرقها لأن العدوان على سفن الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى وقد حصر تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾<sup>(٢)</sup> وإنما صيغة حصر فإن قيل قد يكون ذلك عن طريق الإلهام فالجواب أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به ولوجود الدليل على عدم الاستدلال به .

وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام في حق

(١) « التفسير الكبير » للإمام الفخر الرازي (١٤٨/٢٢) .

(٢) الأنبياء : (٤٥) .

الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾<sup>(١)</sup> وبخبر : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »<sup>(٢)</sup> كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل وغير المعصوم لا ثقة بخواطره لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات ، والإلهام في الاصطلاح إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية يختص الله به من يشاء من خلقه ، أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم لأنهم معصومون بخلاف غيرهم .

وبالجملة فلا يخفى على من له إمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي فمن ادعى أنه غني عنه في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته .

والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصر قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾<sup>(٤)</sup> ولم يقل حتى نلقي إلهاماً في القلوب . . . وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقة باطلة توافق الحق عند الله تعالى ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة

(١) الأنبياء : (٤٥) .

(٢) الأنعام : (١٢٥) .

(٣) « مسند الشهاب » (٣٨٧/١) وقال عنه المحقق : ضعيف .

(٤) الإسراء : (١٥) .

إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنه تخالف ظاهره» (١) .

ومما يدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله وليس ولياً فحسب قوله لموسى عليه السلام : « يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه »

وقوله لموسى أيضاً : « ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر » (٢) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

« ولا شك أن ما فعله الخضر فعله عن وحي حقيقي من الله وليس عن مجرد خيال أو إلهام لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن ولذلك قال الخضر : وما فعلته عن أمري . . . فلم يفعل إلا عن أمر الله الصادق ووحيه القطعي ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ فلا وحي بعده ومن ادعى شيئاً من ذلك فقد كفر لأنه بذلك خالف القرآن الذي يقول الله فيه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣) .

والخلاصة من خلال الأدلة القرآنية والحديثية التي ذكرناها وأقوال العلماء يتضح لنا أن الراجح من الأقوال هو القول بأن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله وليس ولياً فقط كما يزعم المتصوفة ومن سار على نهجهم

(١) « أضواء البيان » (١٧٣/٤ - ١٧٤) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح قصة موسى والخضر (٤٣٢/٦) .

(٣) الأحزاب : (٤٠) ، والموضوع انظر له « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق

(ص ١٣٢) .

وبهذا يبطل دعوى الصوفية بأن الولي أعلم من النبي بناءً على قصة الخضر مع موسى حيث يدعون أن الأولياء يعلمون علم الحقيقة الذي لا يعلمه الأنبياء ويستدلون بهذه القصة .

استنتاج المتصوفة من قصة الخضر وموسى على أنه يجوز للولي أن يخرج عن الشريعة وأنه يستطيع أن يصل إلى مرضاة الله من غير طريق النبي :

بناءً على اعتقاد المتصوفة نحو الخضر عليه السلام من أنه ولي من أولياء الله وليس بنبي فقد قالوا : إن الأولياء يجوز لهم الخروج عن الأحكام الشرعية التي جاء بها الرسول من عند الله عز وجل كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام في الظاهر .

وقد ذكر احتجاجهم هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال :

« وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتجون بها على وجهين :

أحدهما : أن يقولوا : إن الخضر كان مشاهداً للإرادة الربانية الشاملة

والمشيئة الإلهية العامة وهي الحقيقة الكونية فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي وهو من عظيم الجهل والضلال بل من أعظم النفاق والكفر فإن مضمون هذا الكلام أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء لم يكن عليه أمر ولا نهى وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله وما جاءوا به من الأمر والنهي . . . وهؤلاء هم القدرية الشركية الذين يحتجون بالقدر على دفع الأمر والنهي هم من شر القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة الذين روى فيهم « إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » لأن هؤلاء يقرون بالأمر والنهي والثواب والعقاب لكن أنكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق وربما أنكروا سابق العلم .

وأما القدرية الشركية فإنهم ينكرون الأمر والنهي والثواب والعقاب لكن وإن لم ينكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق فإنهم ينكرون الأمر والنهي والوعد والوعيد ويكفرون بجميع الرسل والكتب فإن الله إنما أرسل الرسل مبشرين من أطاعهم بالثواب ومنذرين من عصاهم بالعقاب .

وأيضاً فإن موسى عليه السلام كان مؤمناً بالقدر عالمًا به بل أتباعه من بني إسرائيل كانوا أيضاً مؤمنين بالقدر فهل يظن من له أدنى عقل أن موسى طلب أن يتعلم من الخضر الإيمان بالقدر وأن ذلك يدفع الملام مع أن موسى أعلم بالقدر من الخضر بل عموم أصحاب موسى يعلمون ذلك .

وأيضاً فلو كان هذا هو السر في قصة الخضر لبين ذلك لموسى وقال : « إني كنت شاهداً للإرادة والقدر » وليس الأمر كذلك بل بين له أسباباً شرعية تبيح له ما فعل .

وأما الوجه الثاني : فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساء للخضر الخروج عن متابعة موسى وأنه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغنى به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها وكثير منهم يفضل الولي في زعمه إما مطلقاً وإما من بعض الوجوه على النبي زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم وكل هذه مقالات من أعظم الجهالات والضلالات بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد بن عبد الله ﷺ وسلم لجميع الناس عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة بل عامة الثقلين الجن والإنس وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج من متابعتة وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمة من الدين وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات بل لو كان



الأنبياء المتقدمون قبله أحياءاً لوجب عليهم متابعتة وطاعته . . . ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا أوجب الله على الخضر متابعتة وطاعته بل قد ثبت في الصحيح أن الخضر قال له : « يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعمله وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال فيما فضله الله به على الأنبياء قال : « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »<sup>(١)</sup> فدعوة محمد ﷺ شاملة لجميع العباد وليس لأحد الخروج عن متابعتة وطاعته ولا استغناء عن رسالته كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته مستغنياً عنه بما علمه الله وليس لأحد ممن أدركه الإسلام أن يقول لمحمد : إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه ، ومن سوغ هذا أو اعتقد أن أحداً من الخلق الزهاد والعباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعتة فهو كافر باتفاق المسلمين . . . وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة ولهذا لما بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى ولم يختلفا حيثئذ ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى لما وافقه<sup>(٢)</sup> .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مكان آخر راداً على المتصوفة الذي يحتجون بقصة الخضر مع موسى على أن الأولياء يسوغ لهم الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عن شريعة موسى وفعل أموراً محرمة في شريعة موسى ، قال :

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤٣٦/١) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١١/٤٢٠ - ٤٢٦) باختصار .

« ومثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر وموسى عليه السلام على أن من الأولياء من يستغني عن محمد ﷺ كما استغنى الخضر ومثل قول بعضهم أن خاتم الأولياء له طريق إلى الله يستغني به عن خاتم الأنبياء وأمثال هذه الأمور التي كثرت في كثير من المنتسبين إلى الزهد والفقر والتصوف والكلام والتفلسف وكفر هؤلاء قد يكون من جنس كفر اليهود والنصارى وقد يكون أعظم وقد يكون أخف بحسب أحوالهم »<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام ابن القيم مستنكراً على احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى على جواز خروج الأولياء عن الشريعة الإسلامية .

قال : « فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه بذلك مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه وهذا الموضوع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم فحرك تره »<sup>(٢)</sup> .

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره ما نصه نقلاً عن شيخ الإسلام :

« ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص بل إنما يراد فهم ما يقع في قلوبهم .

ويحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم وقالوا لصفاء قلوبهم عن

---

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٤/٣٣٩) .

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (٢/٧٤٦) .

الأفكار وخلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم .

وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب لأنه إنكار ما علم من الشرائع فإن الله تعالى قد أجرى سنته ونفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعه وأحكامه اختارهم الله لذلك وخصهم . . . وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل فمن قال إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل حيث يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة فإن هذا كفر ما قاله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي » (١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

« إن وجود الخضر عليه السلام على دين وشريعة غير شريعة موسى كان أمراً سائغاً وسنة من سنن الله قبل بعثة محمد ﷺ لأن النبي كان يبعث

(١) « تفسير القرطبي » (٤٠/١) .

إلى قومه خاصة ولذلك كان موسى رسولاً إلى نبي إسرائيل فقط ولم يكن رسولاً للعالمين ولذلك لما سلم موسى عليه السلام على الخضر قال الخضر وأني بأرضك السلام . قال له موسى : أنا موسى . قال الخضر موسى نبي إسرائيل؟! قال : نعم . . . أي أنت مبعوث إلى بني إسرائيل ومنهم .

ولذلك لم تكن شريعة موسى لازمة للخضر ولجميع الناس في زمانه وأما بعد بعثة محمد ﷺ فإنه لا يجوز شرعاً أن يكون هناك من هو خارج عن شريعته لأن الرسول ﷺ رسول العالمين لا يسع الخضر ولا غيره أن يتخلف عن الإيمان به واتباعه ولذلك لا وجود بتاتاً للخضر أو أمثاله بعد بعثة الرسول محمد ﷺ « (١) .

والخلاصة أن احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى عليه السلام بجواز خروج الأولياء على الشريعة الإسلامية وإقدامهم على فعل شيء محرم في الشريعة الإسلامية كما خرج الخضر في الظاهر على شريعة موسى مع أنه بعد أن شرح الخضر لموسى سبب إقدامه على قتل الغلام وخرق السفينة ورفع الجدار لم ينكر عليه موسى وإنما أقره عليها لأنها غير مخالفة للشريعة ولكن الله سبحانه وتعالى أعلم الخضر أمراً لم يعلمه لموسى عليه السلام رغم أنهما كلاهما نبيان من أنبياء الله فلما علم موسى حقيقة الأمر لم ينكر على الخضر فعله هذا .

ثم إن الخضر لم يكن من قوم موسى ولذا فهو غير ملزم باتباع شريعة موسى لأن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل فقط لا غير والخضر لم يكن من بني إسرائيل وعلى هذا نقول ليس للمتصوفة أي حجة تكون دليلاً لهم

---

(١) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ١٣٢) .

للخروج والتمرد على الأحكام الشرعية بحجة أنهم أولياء الله وذلك للأمر الآتية .

أولاً : من المعلوم ضرورة أن الرسول مبعوث إلى جميع من في هذا الكون من إنس و جن وليس لأحد كائناً من كان أن يدعي بأن الرسول لم يبعث إليه وعلى هذا فلا يجوز لأحد الخروج عن هذه الشريعة احتجاجاً بقصة الخضر ومن اعتبر نفسه أنه مع الرسول ﷺ كالخضر مع موسى فقد ادعى لنفسه النبوة لأن الخضر كان نبياً أعلمه الله بتلك الأشياء التي أقدم عليها ومن زعم هذا الزعم فقد كفر يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قطع عنقه .

ثانياً : أن الوحي قد انقطع بعد الرسول ﷺ نهائياً وليس هناك أي طريق للتلقي عن الله سبحانه وتعالى فكيف يدعي المتصوفة إمكانية الوصول إلى مرضاة الله من غير الطريق المشروع ألا وهو اتباع الرسول ﷺ .

\*\*\*

## المبحث الثاني

اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى

يوم القيامة

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل

على أنهم يعتقدون بأن الخضر

حي يرزق.

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا المعتقد وأن

الصحيح وفاته .



## المطلب الأول

ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون

بأن الخضر حي يرزق

من الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة تجاه الخضر هو زعمهم بأنه حي يرزق إلى الآن والادعاء بأنهم يلتقون به دائماً ويتلقون منه أذكارهم التي يتلونها ليلاً ونهاراً.

يقول أحمد بن إدريس الشاذلي :

« اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقني أذكار الطريقة الشاذلية فلقني إياها بحضرته» ويستطرد قائلاً : « ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار »<sup>(١)</sup>.

فالحكاية السابقة التي أوردتها عن أحمد بن إدريس الشاذلي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن الخضر حي وأنهم يتلقون منه أذكارهم .

ومما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بحياة الخضر إلى الآن والتقائهم به في مناسبات عديدة قول محيي الدين بن عربي :

« اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم أن هذا الوجد هو خضر صاحب

(١) « مفاتيح كنوز السماوات والأرض » لصالح محمد الجعفري (ص ٨) نقلاً عن « الفكر

الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ١٣٩) .



موسى عليه السلام أطل الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العربي رحمه الله تعالى جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت منه ولم آخذ بالقبول أعني قول الشيخ العربي فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجح سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بادية الطريق .

فانصرفت عنه إلى منزلي فتمت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداءً سلام محب مشفق وقال لي : يا محمد صدق الشيخ أبا العباس فيما ذكره لك عن فلان وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العربي فقلت : نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال : لي يا أبا عبد الله احتاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدق فلاناً فيما ذكره لك .

ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف فقلت إن باب التوبة مفتوح فقال : وقبول التوبة واقع فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر ولا شك أنني استفهمت الشيخ عنه أهو هو ؟ قال : نعم ، هو الخضر « (١) .

ففي هذه الحكاية التي أوردتها عن ابن عربي الصوفي الكبير زعم بأنه التقى بالخضر وادعى أنه حي ودعا الله أن يطيل في عمر الخضر .

وقال في مكان آخر وهو يحكي لقاءه بالخضر عليه السلام :

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ١٨٠) .

« ثم اتفق لي مرة أخرى أنني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني وأهل المركب قد ناموا فقممت إلى جانب السفينة وتطلعت إلى البحر فرأيت شخصاً على بعد في ضوء القمر وكانت ليلة البدر وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل إليّ فوقف معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الآخرة فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم وانصرف يطلب المنارة محرساً على شاطئ البحر على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى وربما مشى إلى شيخنا جراح ابن خميس الكناني وكان من سادات القوم مرابطاً بمرسى عيدون وكنت جئت عنده بالأمس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلاً صالحاً فقال لي : كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ؟ ما قال لك وما قلت له؟ فلما كان بعد ذلك التاريخ خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط ومعني رجل ينكر خرق العادة للصالحين فدخلت مسجداً خراباً منقطعاً لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريد من الصلاة في ذلك المسجد وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي أنه الخضر وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودة فقممت فسلمت عليه فسلم علي وخرج بي وتقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام وخرجت خلفه وهو يريد باب المسجد وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقممت أتحدث معه على باب المسجد وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر قد أخذ حصيراً فان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض ووقف على

الحصير في الهواء يتنفل فقلت لصاحبي : أما تنظر إلى هذا وما فعل ؟ فقال لي : سر إليه واسأله فتركت صاحبي واقفاً وجئت إليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه «<sup>(١)</sup> .

ونكتفي بهاتين الحكايتين لإثبات بأن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر حي يرزق ويدعون بأنهم يلتقون به ويتلقون عنه أذكارهم ففيهما الكفاية ولأن هذا أمر معلوم ومعروف لدى الأوساط الصوفية حيث يعتقدون كلهم حتى العوام منهم بأن الخضر حي وأنه يتلقى منه المتصوفة أذكارهم ولا يمكن أن ينكر لك هذا نهائياً.

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حاكياً عن مزاعم الصوفية فيه :

« باختصار لقد تحول الخضر إلى قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبر مان الذي يطير في كل مكان ويلتقي بالأصدقاء والخلان في كل البلدان ويشرع للناس ما شاء من عبادات وقربان ويلقن الأذكار وينشيء الطرق الصوفية ويعمد الأولياء والأقطاب ويولي من يشاء ويعزل من يشاء وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تذكر مجموعة من الأذكار فيأتيك الخضر في الحال ويشارك بما تشاء من البشارات ويجعلك ولياً من الأولياء ويعطيك علوماً لدنية لم يعلمها الرسل أنفسهم ولا خطرت لهم على بال «<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/١٨٢) وانظر « عقود الجواهر » لفوزي علي (ص٧)

وكذلك « التشرف إلى رجال التصوف » لأبي يعقوب (ص٣١) .

(٢) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص١٣٤) .

## المطلب الثاني

### بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر والتلقي عنه

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث بأن الصوفية يعتقدون أن الخضر حي يرزق إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وادعاهم تلقي أذكارهم عنه<sup>(١)</sup> .

وفي هذا المطلب نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد ومخالفته للمعتقد الصحيح الواجب بالنسبة لحياة الخضر وموته .

فنقول إن الصحيح من أقوال العلماء هو أن الخضر عليه السلام ليس بحي إلى الآن وإنما هو قد مات كما مات غيره وهذا هو الذي تؤيده الأدلة الصحيحة بخلاف القائلين بحياة الخضر عليه السلام فإن الأدلة لا تؤيدهم نهائياً وما أوردوه من أدلة فهي أدلة ضعيفة لا تصلح أن يعتمد عليها لإثبات مثل هذا الأمر العقدي .

\* فمن العلماء الذين قالوا بموت الخضر عليه السلام وعدم تعميره إلى الآن أو في زمن الرسول ﷺ الإمام المفسر الكبير أبو حيان قال رحمه الله :

( والجمهور على أن الخضر قد مات وممن ذهب إلى موت الخضر وعدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الفضل المرسي فقد قال : أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لأنه لو كان حي للزمه المجيء إلى النبي ، والإيمان به واتباعه وقد روى عنه ﷺ أنه قال : « لو كان موسى

(١) انظر (ص ٥١٩ - ٥٢٢) .

وعيسى حين لم يسعهما إلا اتباعي» (١).

ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره القاضي أبو يعلى  
فقد قال :

« وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلي مع الرسول ﷺ الجمعة  
والجماعة ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام : « والذي  
نفسى بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ  
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ (٣) .

وثبت أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلي خلف إمام هذه  
الأمّة ولا يتقدم عليه في مبدأ الأمر وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر عليه  
السلام وينسى ما في إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة . . . ثم قال بعد  
أن ذكر وجوهاً من الأدلة العقلية على عدم حياة الخضر :

الخامس : أن القول بحياة الخضر قول على الله بغير علم وهو حرام  
بنص القرآن .

أما المقدمة الثانية فظاهرة والأولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها  
القرآن أو السنة أو الإجماع فهذا كتاب الله فأين حياة الخضر وهذه سنة رسول  
الله فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه وهؤلاء علماء الأمّة فمتى أجمعوا على  
حياته .

(١) « البحر المحيط » لأبي حيان (١٤٧/٦) .

(٢) « مسند أحمد » مع اختلاف في بعض الالفاظ (٣٣٨/٣) ط . دار الفكر العربي .

(٣) آل عمران : (٨١) .

السادس : أن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر فيالله تعالى العجب فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه وكثير من زاعمي رؤيته يفتر بقوله أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فمن أين للرائي أن المخبر له صادق ولا يكذب .

السابع : أن الخضر فارق موسى بن عمران كلیم الرحمن ولم يصاحبه وقال : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم وكل منهم يقول قال لي الخضر أوصاني الخضر فيا عجباً له يفارق الكلیم موسى ويدور على صحبه مغفل لا يصحبه إلا شيطان رجيم سبحانه هذا بهتان عظيم .

الثامن : أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله يقول كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله ولم يحتج به في الدين ولا مخلص القائل بحياته عن ذلك إلا أن يقول إنه لم يأت إلى الرسول ولا بايعه أو يقول إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه .

التاسع : أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وإرشاد جهلة الأمة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات إلى غير ذلك<sup>(١)</sup> .

ورغم أن الألوسي من الذين يقولون بحياة الخضر عليه السلام إلا أنه

(١) « تفسير روح المعاني » للألوسي (١٥/٣٢٠ - ٣٢١) .

أكد بأن الأدلة الصحيحة تؤيد القائلين بموت الخضر وهذا نص كلامه فقد قال :

« ثم اعلم بعد كل حساب أن الأخبار الصحيحة النبوية والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته عليه السلام أي مساعدة وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار إلا مراعاة ظواهر الحكايات المروية واللّه أعلم بصحتها عن بعض الصالحين الأخيار وحسن الظن ببعض الصوفية فإنهم قالوا بوجوده إلى آخر الزمان على وجه لا يقبل التأويل السابق » .

وقول الألووسي : هذا دليل قاطع على أن الحق مع العلماء الذين يقولون بموت الخضر وعدم تعميره حيث أن الألووسي من القائلين بحياة الخضر تقليداً لمشائخه الصوفية حيث أنه متأثر بهم جداً ويلاحظ هذا كل من يقرأ في تفسيره « روح المعاني » .

ومع هذا فإنه أقر بأن الأدلة تؤيد القائلين بموته ويكفي هذا والحمد لله فالحق هو ما شهد به الخصوم .

\* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إبراهيم الحربي حيث قال حين سئل عن بقاء الخضر إلى الآن :

« من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان »<sup>(١)</sup> .

\* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إلى الآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مستدلاً بحديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه

(١) « تفسير روح المعاني » للألووسي (١٥/٣٢٠) .

قال قبل موته بشهر أو نحو ذلك : « ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ » (١) .

قال الشيخ الأمين بعد ذكره لهذا الحديث :

« فهذا الذي رواه جابر فيه تصريح النبي ﷺ بأنه لا تبقى نفس منفوسة » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به وينصرونه .

فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حياً في زمن رسول الله لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصله أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فموسى أفضل منه » (٢) .

\* ومن العلماء الذين صرحوا بموت الخضر عليه السلام وأنه ليس بحي شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله :

« والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون في مكة والمدينة ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت

(١) « صحيح مسلم » مع شرح النووي (١٦/٩٠) .

(٢) « تاريخ ابن كثير البداية والنهاية » (١/٣٣٤) .



للناس وهو قد كان بين يدي المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي ﷺ الذي علمهم الكتاب والحكمة . . . وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون ، وقول القائل إنه نقيب الأولياء فيقال له : من ولاء النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد وليس فيهم الخضر وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجل : مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال : إنه الخضر كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك . وروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر : « من أحالك على غائب فما أنصفك وما ألقى هذا على السنة الناس إلا الشيطان »<sup>(١)</sup> .

\* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم بقائه إلى الآن الإمام البخاري حيث إنه لما سئل عن حياة الخضر أنكر ذلك واستدل على عدم حياته وتعميره بالحديث : « فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد »<sup>(٢)</sup> .

وهذا الحديث هو عمدة من تمسك بأن الخضر قد مات وأنه ليس بياق في هذه الدنيا .

\* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إلى الآن أبو الحسن بن المنادى حيث قال رحمه الله :

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٧/ ١٠٠ - ١٠٢) باختصار.

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٢٥٥/١) .

« بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين  
مفترون بأنه باق » (١) .

هذا وقد ضعف العلماء الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر من  
المتصوفة وغيرهم وإليك نماذج من أقوالهم :

\* فمن العلماء الذين ذهبوا إلى تضعيف الأدلة التي استدل بها القائلون  
بحياة الخضر أبو الحسن بن المنادى حيث قال بعد أن نفى حياة الخضر  
وتعميره :

« والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند إلى أهل الكتاب ساقط  
لعدم ثقتهم وخبر مسيلمة بن مصقلة كالخرقة وخبر رياح كالريح قال : وما  
عدا ذلك كله من الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد  
أمرين :

إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفلاً أو يكون بعضهم تعمد .  
وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهْمُ  
الْخَالِدُونَ ﴾ (٢) .

\* ومن العلماء الذين قالوا بضعف الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة  
الخضر وتعميره أبو الخطاب بن دحية وقد قال في هذا :

« جميع ما ورد في حياة الخضر لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل  
وإنما يذكر ذلك من روى الخبر ولا يذكر علته إما لكونه لا يعرفها وإما  
لوضوحها عند أهل الحديث » .

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » ضمن الرسائل المنيرية (ص ٢٠٦) .

(٢) الأنبياء : (٣٤) والموضوع انظر له « الزهر النضر في نبأ الخضر » ضمن الرسائل المنيرية .

ثم قال : « وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز للعاقل أن يلقي شخصاً لا يعرفه فيقول له : أنا فلان . فيصدقه » .

ثم قال : « وأما حديث التعزية الذي رواه أبو عمر بن عبد البر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الأصم عن علي رضي الله عنه وابن محرز متروك وهو الذي قال ابن المبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : لما رأيتك كانت بكرة أحب إلي منه . ففضل رؤية النجاسة على رؤيتك »<sup>(١)</sup> .

\* ومن العلماء الذين ضعفوا أدلة القائلين بحياة الخضر الإمام ابن كثير رحمه الله حيث قال بعد أن ساق الأحاديث والحكايات التي استدلت بها القائلون بحياته :

« وهذه الحكايات والروايات هي عمدة من ذهب إلى حياته اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا تقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف في الإسناد وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم . . . » إلى أن قال : « وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه « عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر » للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدنا ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد »<sup>(٢)</sup> .

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢/٣٠٣) .

(٢) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/٣٣٤) .

وقد ناقش الإمام ابن حجر رحمه الله الأحاديث التي استدل بها القائلون بحياة الخضر فحكم على جميعها بالضعف ومعلوم أن الإمام ابن حجر يعتبر حجة في علوم الحديث فهو بحر لا ساحل له في هذا المجال ، وإليك عبارة ابن حجر في آخر كتابه « الزهر النضر في نبأ الخضر » بعد أن ناقش الأحاديث الواردة في هذا المجال وفي مقدمتها حديث تعزية الخضر للصحابه بعد وفاة الرسول ﷺ وحديث أنس الذي يتضمن أن الرسول أرسله إلى الخضر ليدعو للرسول وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في حاية الخضر .

قال ابن حجر :

« والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقد العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة على استمراره فيقال هب أن أسانيدنا واهية إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها فماذا يصنع في المجموع فإنه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بوجود حاتم فمن هنا مع احتمال للتأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه كآية ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ ولحديث : « رأس مائة سنة » وغير ذلك مما تقدم بيانه .

وأقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته » (١) .

والخلاصة إن الراجح من الأقوال هو قول الذين يقولون بموت الخضر

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢/٢٣٤) .

وعدم تعميره إلى زمن الرسول ﷺ وإلى الآن وذلك لقوة أدلتهم التي سبق ذكرها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وأما القائلون بحياة الخضر وتعميره فليس لهم أدلة صحيحة يعتمدون عليها وإنما كل ما يعتمدون عليه من أدلة لا يخلو من أحد أمرين :

إما أحاديث ضعيفة وموضوعة التي حكم عليها العلماء بالإجماع بالضعف وإما حكايات مشائخ التصوف وأمثالهم الذي يزعمون بأنهم التقوا بالخضر .

والأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات المكذوبة لا تصلح أن تكون أدلة يعتمد عليها لإثبات مثل هذا الأمر وعلى هذا فالقول بحياة الخضر وتعميره يعتبر باطلاً وكذباً وافتراءً على الله وعلى رسوله وذلك لأنه لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ ما يدل على تعمير الخضر نهائياً .

وبناء على هذا فحكايات الصوفية التي يزعمون فيها التقاؤهم بالخضر وتلقي الأذكار عنه تعتبر كذباً وافتراءً محضاً على الله وعلى رسوله ﷺ لأن الخضر قد مات كما يموت غيره فكيف يمكن أن يلتقي بهم ويوزع عليهم الأذكار .

وعلى فرض حياته وإن كان هذا مرجوحاً فإنه لا يصح للخضر أن يقوم بتوزيع الأذكار على الناس بل يجب عليه هو أيضاً أن يلتزم بالأذكار الواردة في الكتاب والسنة ويتبع الرسول ﷺ في كل شئون حياته أما أن يتدع أذكراً جديدة على هذه الأمة فهذا يعتبر إفساداً في الأرض ومحادة لله ولرسوله .

وأخيراً أختتم هذا المبحث المتعلق بالخضر عليه السلام بنقل كلام

نفيس للإمام ابن كثير رحمه الله ختم به موضوع الخضر في كتابه « البداية والنهاية » فقال :

« ثم ما الحامل له - أي الخضر عليه السلام - على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمعجزته ثم لو كان باقياً بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم وتسديده العلماء والحكام وتقديره الأدلة والأحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار وجوبه الفيافي والأقطار واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (١) .

ونثني قول الإمام ابن كثير بقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فقد قال حفظه الله وأطال في عمره بعد أن ناقش موضوع الخضر عليه السلام من جميع جوانبه :

« إذا اتضح ذلك فاعلم أن القول بولاية الخضر والقول بأنه ما زال حياً قد جر هذان القولان من البلايا والمحن والدعاوى الكاذبة والتلبيس على العامة بل وعلى الخاصة ما لا يصدق عقل ولا يقبله دين من دعوى فضل الولاية والأولياء على النبوة والأنبياء وإن فلاناً لقي الخضر عليه السلام واستلهمه كذا وكذا والقول بولايته وحياته أبد الدهر هما معتمد الصوفية في

(١) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/٣٣٦) .



## الفصل الثالث

انحرافاتهم تجاه الأولياء

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : ادعاء الصوفية التلقي عن الله  
والعروج إليه وتفضيل الولاية  
على النبوة. (وتحته مطلبان)

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من  
الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم  
يتصرفون في هذا الكون  
ويتحكمون فيه . (وتحته مطلبان)

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون  
الغيب . (وتحته مطلبان)

المبحث الرابع : توجه الصوفية إلى الأولياء  
بالدعاء والاستغاثة . (وتحته  
مطلبان)





## المبحث الأول

تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع بيان المفهوم  
الصحيح لولاية الله بإيجاز  
وادعاء الصوفية التلقي عن الله والعروج إليه وتفضيل  
الولاية على النبوة

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع  
بيان المفهوم الصحيح للولاية بإيجاز.

المطلب الثاني : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأن  
الصوفية يزعمون التلقي عن الله  
والعروج إليه وأن الولاية أفضل من  
النبوة.

المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي  
بعد رسول الله ﷺ يتلقاه أحد عن الله  
كائنًا من كان.

## كلامنا

وهي من كلامنا في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

والجهد في كل وقتنا في كل وقتنا

والجهد في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

في كل وقتنا في كل وقتنا

في كل وقتنا في كل وقتنا

وهي من كلامنا في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

والجهد في كل وقتنا في كل وقتنا

والجهد في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

في كل وقتنا

وهي من كلامنا في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

والجهد في كل وقتنا في كل وقتنا في كل وقتنا

في كل وقتنا في كل وقتنا

## تمهيد

لقد انحرف الصوفية في باب الولاية انحرافات خطيرة جداً وهذه الانحرافات تتمثل في الأمور الآتية وهي :

أولاً : زعم الصوفية أنهم يتلقون علومهم عن الله مباشرة وأنهم يعرجون إلى السماوات العلى ويتكلمون مع الرب سبحانه وتعالى وادعوا أيضاً بأن النبوة مستمرة غير منقطعة وأن الولاية أفضل من النبوة لأن النبوة قد انقطعت بينما الولاية لم تنقطع وعلى هذا فالوحي إلى الولي عن الله مستمر بل ادعى بعض غلاتهم بأن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة الملك بينما الأولياء يأخذون علومهم عن الله بلا واسطة وأنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه جبريل عليه السلام.

وادعى الصوفية أيضاً بأن الأولياء لهم المقدرة الكاملة للتصرف في هذا الكون وأن هذا الكون تسيره مجموعة ممن يسمونهم أولياء وأنه لا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون إلا عن طريق أهل التصريف من دجاجة الصوفية . وادعوا أيضاً بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب وأنهم لا يخفى عليهم أمر من الأمور في هذا الكون مهما كان بعيداً أو دقيقاً .

وادعوا أيضاً بأن الأولياء يستطيعون أن يغيثوا كل من استغاث بهم في حياتهم وبعد مماتهم ولذا ترى الصوفية في العالم الإسلامي يلهجون بدعاء الأولياء وندائهم من دون الله سبحانه وتعالى .

وسأقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول :** سأبين فيه بأن المتصوفة ادعوا التلقي عن الله والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة مع تعريف الولي وبيان المفهوم الصحيح لولاية الله بإيجاز.

**وأما المبحث الثاني :** فسأبين فيه بأن الصوفية وضعوا مراتب وألقاباً للأولياء من عند أنفسهم وزعموا بأن الكون تسيره هذه المجموعة من البشر .

**وأما المبحث الثالث :** فسأبين فيه بأن الصوفية يجوزون التوجه إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة .

## المطلب الأول

**تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح لولاية الله بإيجاز**

**تعريف الولي :**

الولي في اللغة : القرب والدنو والمطر بعد المطر .

والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير والولاية الإمارة والسلطان والمولى والمعتق والمعتق والصاحب والقريب والولي والرب والناصر والمحب<sup>(١)</sup> .

ويقول الإمام الشوكاني في تعريف الولاية :

« والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة وأصل العداوة البغض والبعد »<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر « المعجم الوسيط » (١٠٥٨/٢) .

(٢) « قطر الولي في حد شرح حديث الولي » للشوكاني (ص٠٧٠) .

وأما تعريف الولي في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال :

« وقد قيل إن الولي سمي ولياً من مولاته للطاعات أي متابعتها لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد » (١) .

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره :

« والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٢) أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه » (٣) .

وقال الدكتور إبراهيم هلال :

« وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والقرب هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولي ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه سواء في جانب أولياء الله أو في جانب أولياء أعداء الله وأعداء الشيطان » (٤) .

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقد قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ

(١) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (ص ٦) .

(٢) يونس : (٦٣) .

(٣) « فتح القدير » (٤٥٧/٢) .

٩٤ « ولاية الله والطريق إليها » لإبراهيم هلال (ص ٧١) .

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ .

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٥﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ .

وعلى هذا فالتقسيم الصحيح للناس في هذه الحياة الدنيا هو أنهم

(١) يونس : (٦٢ - ٦٤) .

(٢) البقرة : (٢٥٧) .

(٣) المائدة : (٥١) .

(٤) النحل : (٩٨ - ١٠٠) .

(٥) النساء : (٧٦) .

(٦) آل عمران : (١٧٥) .

ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما وهو أن أي أحد من الإنس أو الجن في هذه الحياة إما أن يكون ولياً لله وإما أن يكون عدواً لله وليست الولاية محصورة في أشخاص معينين كما يزعم الصوفية ذلك بل ما نعتقده هو أن أي مسلم يؤمن بالله وبرسوله وينفذ أوامر الله ويجتنب نواهيه فهو ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى .

ثم إن من شرط ولاية الله سبحانه وتعالى هو أن يؤمن الإنسان بالله وبرسوله وأن يتبع الرسول في الظاهر والباطن وكل من يدعي محبة الله وولايته بدون متابعة الرسول ﷺ فهو كاذب مفتر دجال وليس من أولياء الله بل هو من أولياء الشيطان قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

قال الحسن البصري رحمه الله :

« ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله .

فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان معهم بل يدعون أنهم أبناؤه وأحباؤه .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون على غيرهم » (٢) .

(١) آل عمران : (٣١) .

(٢) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (ص ٩) .



ولكن الصوفية خصصوا لولاية الله سبحانه وتعالى أعداداً معينة في حدود الأربعين أو الثلاثمائة أو غيرها من الأعداد التي يذكرها المتصوفة لمن يطلقون عليهم أنهم أولياء الله وأصبحوا يصفونهم بأوصاف لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون تصرفاً مطلقاً ويدعون ويستغاث بهم من دون الله وهذه كلها معتقدات فاسدة دخيلة على الإسلام جلبها المتصوفة من الطوائف الوثنية الضالة التي تعبد البشر من دون الله وهذا ما سنبينه إن شاء الله في هذا الفصل في المباحث الآتية<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني

ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقي

عن الله والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة

لقد صرح كبار الصوفية بأنهم بالفعل يتلقون علومهم عن الله وبما أن المتصوفة الذي قالوا بهذا كثيرون فسأكتفي إن شاء الله بذكر أقوال مشائخهم لأن المقصود هو إيراد أدلة عنهم لإثبات بأنهم بالفعل يعتقدون هذا المعتقد وإليك الآن نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم .

\* فمن مشائخ الصوفية الكبار الذين قالوا أنهم يتلقون علومهم عن الله محي الدين بن عربي وقد بالغ هذا الرجل في هذا الادعاء وتكلم عن كيفية وحيي الله إلى الأولياء ووضح وفصل في هذا الوحي المزعوم وإليك نماذج من كلامه :

(١) انظر (٥٣٤ - ٥٨٣) .

فقد قال في « الفتوحات المكية » مبيناً كيفية تصنيف العارفين لكتبهم وأنهم كيف يضعون مواضع تحت باب لا يشملها عنوان الباب وعلل أن سبب ذلك هو أن العارفين قلوبهم عاكفة على الحضرة الإلهية تتلقى منه العلوم وإليك نص كلامه قال :

« اعلم أن العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لإلقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس في جنسه امتثالاً لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك » انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم<sup>(١)</sup> .

فإذا نظرنا في النص السابق نجد ادعاء التلقي عن الله واضحاً فيه ويتضح لنا هذا في الكلمات الآتية من النص « اعلم أن العارفين رضي الله عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها إلى قوله امتثالاً لأمر ربهم » .

ومعنى هذا الكلام أن الصوفية يتلقون علومهم عن الله وأنهم يضعون العلوم التي يتلقونها حسب ما حد لهم وأنهم يمثلون هذا الأمر ولا يخالفونه وتعليق الشعراني على كلام ابن عربي في آخر النص يدل دلالة واضحة على القول بعصمة الأولياء وليس هذا بغريب لأن من ادعى التلقي عن الله فمن السهل جداً أن يدعي العصمة لأن التلقي عن الله هو ادعاء بنزول الوحي إلى

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكاير » للشعراني (٢٤/٢ - ٢٥) .

الأولياء وما دام يعتقد الشعراني بهذا مصدقًا كلام شيخه الضال فليس هذا بغريب عليه لأن العصمة صفة من صفات الرسل عليهم السلام ولذا ادعى الشعراني هذه الدعوة وهي ليست بأكبر من الصفة التي وصف بها ابن عربي الأولياء حيث وصفهم بأنهم يتلقون عن الله علومهم وألحق الشعراني الصفة الثانية وهي القول بعصمة الأولياء وكلا الصفتين من صفة رسل الله الذين أوحى الله إليهم .

وهذا نص آخر عن ابن عربي يثبت بأنه يقول بتلقي الأولياء علومهم عن الله وقد أجاب حينما سئل عن الإلهام هل خبر إلهي ؟

قال : « نعم إنه خبر إلهي إذ هو إخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم . . . » .

ثم قال الشعراني :

« فإن قلت فهل يكون إلهام بلا واسطة أحد ؟ فالجواب نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الإلهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس إلى إنكاره ومنه إنكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم إلا عن ملك لا يعرف شرعاً من غير هذا الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحى إليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطة ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوحي الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الإلقاء وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي » (١) .

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكاير » للشعراني (٢/ ٨٤) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن ابن عربي صرح بأن الأولياء يحسون بإنزال الملك المرسل بالوحي ولا يرون أثره وأن الوحي ينزل على الولي بدون واسطة ملك وأن هذه الطريقة في الإلقاء هي أشرف طريقة ويشارك في هذه الطريقة الرسول والولي ووجه دلالة النص على أن المتصوفة يقولون بتلقي علومهم من الله واضحة جداً حيث صرح ابن عربي بأن الوحي يلقي في الولي كما يلقي في النبي وهنا بجانب ادعاء التلقي ادعى ابن عربي التسوية بين النبي والولي في طريقة تلقي الوحي عن الله .

وقد أجاب ابن عربي حينما سئل عن الصورة التي يتنزل بها الوحي على قلوب الأولياء فقال :

« صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي وبمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه ﷺ في قلبه باليد الإلهية كما يليق بجلاله تعالى . . . . ثم إن من الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان »<sup>(١)</sup> .

والشاهد من إيراد هذا النص واضح وهو أن ابن عربي صرح بأن الله تعالى يوحي إلى الأولياء ومعنى هذا أن الأولياء يوحى إليهم ويتلقون علومهم عن الله حسب زعمه ولا ندري أي علم الذي يبحث عنه المتصوفة تاركين علوم الكتاب والسنة النبوية المطهرة إلا أن يكونوا يبحثون عن علوم شيطانية

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكاير » للشعراني (٢/٨٤) .

يضلون بها عن الطريق السوي .

وقد صرح ابن عربي بأن الوحي الذي ينزل على الأولياء ينزل مكتوباً كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة وأن ميزة هذه الورقة المكتوب فيها الوحي الصوفي تقرأ من جهتين وإليك نص كلامه .

قال ابن عربي متكلماً عن الوحي الصوفي :

« وقد يكون ذلك في كتابة ويقع هذا كثيراً للأولياء وبه كان يوحي لأبي عبد الله قضيب البان وغيره كبقية بن مخلد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوباً في ورقة» انتهى والعلامة على أن الكتابة وحي قال ابن عربي :

« إنها تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها » .

ثم قال الدجال ابن عربي :

« وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعثته من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فإن وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل .

ثم قال أيضاً : « وكذلك وقع للفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطها ورقة فانطبقت كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني الله تعالى أني قلت لها : انو بقلبك إنه إذا فتح الله كفك أن تبطلعها فنويت وقربت يدها إلى فمها فدخلت الورقة في فيها قهراً عليها فقال الولي بم عرفت ذلك ؟ فقلت ألهمت أن الله تعالى لم يرد منها أن يطلع عليها أحد وقد أطلعني الله على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم

عجيب رأيناه وشاهدناه» (١) .

والشاهد في النص واضح حيث إن ابن عربي قال : إن الوحي الذي ينزل على الأولياء ينزل عليهم مكتوباً من اللوح المحفوظ وابن عربي شاهد هذا العلم بنفسه ورأى منه الكثير فكيف لا وهو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر كما يصفه المتصوفة بهذا؟! والذي يهمنا نحن هنا هو الإثبات بأن المتصوفة يقولون بتنزل الوحي عليهم من الله وهذا واضح في النص ولا يهمنا بعد ذلك كون وحيهم يتنزل مكتوباً أو غير مكتوب لأننا نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه وحي شيطاني لا رباني لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه العزيز بأنه قد ختم باب النبوة وإنزال الوحي برسالة محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

ويقول ابن عربي متحدثاً عن كتابه « فصوص الحكم » وأنه أعطاه له الرسول ﷺ وأمره بأن يخرج به إلى الناس وأنه فعل ما أمره به الرسول ﷺ وهذا نص كلامه :

« أما بعد فإنني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة رأيتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي : هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمر . . . ثم قال : فحقت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول ﷺ من غير زيادة ولا نقصان» (٢) .

(١) « اليواقيت والجواهر » للشعراني (٢/٨٣ - ٨٤) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص ٤٧) .

وقال في مكان آخر من نفس الكتاب :

« فاقصرت على ما ذكرته من هذا الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أصل الكتاب فامتثلت ما رسم لي ووقفت عند ما حد لي ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فإن الحضرة تمنع من ذلك »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً في نفس الكتاب في فصح حكمة علوية في كلمة موسوية :  
« وأنا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب » .

والشاهد في هذه النصوص السابقة أن الرجل أولاً ادعى بأن هذا الكتاب أمره الرسول ﷺ أن يخرج به إلى الناس لكي ينتفعوا به ونحن نقول : إن هذا كذب محض وافتراء على الرسول ﷺ وذلك لأن الرسول ﷺ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يأمر ابن عربي ويوصيه بإيصال هذا الكتاب إلى الناس وذلك لأمر .

**الأمر الأول :** إن الرسول ﷺ قد بلغ رسالة ربه وهو حي ولم يترك مما أمره الله بتبليغه شيئاً حتى يوصي به ابن عربي الدجال .

**الأمر الثاني :** إن هذا الكتاب من أوله إلى آخره مملوء بالدعوة إلى الكفر والشرك والإلحاد والرسول ﷺ ما جاء إلا للدعوة إلى توحيد الله ومحاربة ما يدعو إليه ابن عربي في كتابه الذي زعم أنه أوصاه به رسول الله ﷺ .

وبنظرة بسيطة إلى ما يحويه هذا الكتاب نستطيع أن نعرف بأن هذا

---

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص ٥٨) .

الكتاب بالفعل أوحاه إليه الشيطان وأمره أن يخرج به إلى الناس وإليك نماذج من العلم الذي يحتويه هذا الكتاب حتى تحكم عليه بنفسك لأن ليس من رأى كمن سمع .

### النموذج الأول :

لقد زعم ابن عربي بأن قوم نوح أجابوا رسولهم نوحًا عليه السلام ولم يرفضوا دعوته بل أجابوه إجابة حقيقة وأن نوحًا مكر بهم فمكروا به وإن تمسكهم بآلهتهم إنما هو تمسك بحق أراد نوح أن يزيحهم عنه وإليك عبارته الوقحة التي تدل دلالة واضحة على هذا حيث قال :

« علم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه اسلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر قران لا فرقان ومن أقيم في القران لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه . . . » .

ثم قال : « دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ (١) .

وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك .

ثم قال في معنى قوله تعالى : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ (٢) .

وهي المعارف العقلية في المعاني الاصطلاحية والنظر الاعتباري .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ ﴾ (٣) أي بما يميل بكم

(١) نوح : (٧) .

(٢) نوح : (١١) .

(٣) نوح : (١٢) .



إليه فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف  
ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف .

ثم قال في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴾ لأن الدعوة إلى  
الله تعالى مكر بالمدعو أدعو إلى الله فهذا عين المكر فأجابوه مكرًا كما  
دعاهم <sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في تفسيرات ابن عربي السابقة للآيات القرآنية نجدها تفسيرات  
باطنية بحتة بعيدة كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الآيات فنحن كلنا  
نعلم علم اليقين أن قوم نوح أكثرهم رفض دعوة التوحيد التي كان يدعوهم  
إليها نوح عليه السلام وأنه بذل أقصى جهده في دعوتهم ولكن مع ذلك لم  
يؤمن له بدعوته إلا القليل كما أخبرنا الله بذلك في كتابه فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ  
إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا  
دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا  
اسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ  
إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٢﴾ .

كما نرى في هذه الآيات السابقة أن نوحًا عليه السلام دعا قومه ليلًا  
ونهارًا واستعمل معهم جميع الأساليب من أجل أن يقبلوا دعوته لكنهم مع  
ذلك لم يقبل هذه الدعوة إلا القليل منهم كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ  
أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ  
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣﴾ .

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (٧١ - ٧٢) .

(٢) نوح : (٥ - ١٠) .

(٣) هود : (٤٠) .

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن نوحاً عليه السلام لم يؤمن له من قومه إلا القليل أما الأكثر فقد رفض الدعوة وهلكوا وهم كفار كما أخبرنا الله عنهم في سورة هود عليه السلام فقول ابن عربي بإيمان قوم نوح جميعاً فيه مخالفة صريحة للآيات التي نصت على أن قوم نوح لم يؤمن منهم إلا القليل أما الأكثر فقد رفضوا الدعوة ووقفوا ضدها ودعا عليهم نوح عليه السلام كما أخبرنا الله تعالى بذلك فقال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿ (١) .

وقد اعتبر ابن عربي دعوة نوح قومه إلى أفراد الله بالعبادة مكر بهم وبين نوع هذا المكر الذي اتخذه نوح عليه السلام ضد قومه فقال :

« فقالوا في مكرهم لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله فما عبد غير الله في كل معبود » (٢) .

ولم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح الضالين المكذبين بل عمد إلى جميع الكفار فجعلهم مؤمنين موحدين عارفين واصلين وعمد إلى المسلمين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بأجزاء أخرى ولم ينس ابن عربي فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم فجعله من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث قال :

(١) نوح : (٢٦ - ٢٧) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص ٧٢) .

« ولما كان فرعون في منصب التحكّم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى بما أعطيته في الظاهر من التحكّم فيكم ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروا بل أقروا له بذلك فقالوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ فالدولة لك فصح قوله ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وصحح ابن عربي أيضاً موقف السامري وصناعته للعجل الذي فتن به بنو إسرائيل فعبدوه مع الله وخطأ هارون عليه الصلاة والسلام واتهمه بأنه لا يعرف الحق ولذا أنكر على بني إسرائيل عبادة العجل وزعم أيضاً أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري أن يحصر الإله في شيء واحد فقط لأن الله في نظر ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة الضالة عين كل شيء ولذا لكل إنسان له أن يعبد ما شاء مما في هذا الكون لأن الكل ما هي إلا مظاهر ومجالي لله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وإليك نص كلامه فقد قال في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فتجعلني سبباً في تفريقهم فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن الله قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله

(١) طه : (٧٢) .

(٢) « فصوص الحكم » .

(٣) طه : (٩٤) .

بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء « (١) .

ثم قال ابن عربي بعد هذا :

« والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك » (٢) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن ابن عربي أولاً : صرح بإيمان قوم نوح جميعاً وأنهم أجابوا دعوته .

ثم قال أيضاً : بأن عبادة العجل الذي جعله السامري ليس فيه أي خطأ لأنه مظهر من مظاهر الله وأن فرعون في ادعائه الربوبية كان مصيباً لأن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظهر من مظاهر الله وأن كل العابدين في هذا الكون ما هم إلا عباد لله سبحانه لأن الكل في هذا الكون ما هو إلا مظهر من مظاهر الله فإذا عبدت أي شيء فقد عبدت الله وأن الخطأ هو أن تعبد إلهًا واحداً وهذا كله كفر بواح ولذا نقول : إن هذا الكتاب بالفعل ألقاه الشيطان إلى ابن عربي وأمره بأن يخرج به إلى الناس وقد فعل فخرج به إلى الناس وأفسد به عقائد كثيرين من الأمة الإسلامية .

وقد أئب محيي الدين بن عربي الغزالي وانتقده في تفريقه بين النبي والولي في طريقة التلقي عن الله حيث قال الغزالي :

« إن الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/١٩١) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/١٩٥) .

الأولياء نزول الملك فإن الولي يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لا بد له في الوحي من نزول الملك به «<sup>(١)</sup> .

قال محيي الدين بن عربي معللاً سبب تفريق الغزالي بين النبي والولي في طريقة التلقي عن الله :

« وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه وقالوا : ذلك خاص بالأنبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات قال : ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبولوا ذلك ولم ينكروه . قال : وقد نزل علينا ملك فله الحمد «<sup>(٢)</sup> .

والشاهد في النص واضح ويتلخص لنا فيما يلي :

أولاً : أن الغزالي والذي يلعبه المتصوفة بحجة الإسلام من القائلين بنزول الوحي على الأولياء .

ثانياً : صرح ابن عربي بأن طريقة إنزال الوحي على الأولياء هي نفس الطريقة التي ينزل بها على الأنبياء وأنه لا فرق بينهم وأن من ينكر تنزل الملك بالوحي على الأولياء إنما ينكره لعدم ذوقه .

ثالثاً : أخبرنا ابن عربي بأنه نزل عليه بالفعل ملك بالوحي وهذه حجج

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكاير » للشعراني (٨٥/٢) .

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكاير » للشعراني (٨٥/٢) ونحوه في « الإبريز » للدباغ

قاطعة لإلزام المتصوفة بأنهم يعتقدون تلقي علومهم عن الله مباشرة .  
ولعل الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر لم يقف على قول الغزالي الآتي  
والذي صرح فيه بأن الأولياء يشاهدون الملائكة ولذا انتقده واتهمه بعدم  
الذوق .

وهذا هو النص الذي قال فيه الغزالي أن الأولياء يشاهدون الملائكة :

« ومن أول الطريق تبدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في  
يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون  
منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق  
عنها نطاق النطق » (١) .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن الغزالي بالفعل صرح بأن الأولياء يرون  
الملائكة ويتلقون منهم فوائد ولذا ليس هناك فرق بين محيي الدين بن عربي  
والغزالي في الطريقة التي يتلقى بها الأولياء الوحي المزعوم .

وزعم محيي الدين بن عربي أيضاً بأن الولاية أفضل من النبوة وأن  
النبوة تتجدد ولا تنقطع وأن علم الولي أكثر وأعظم من علم النبي لأن الولي  
يعلم علم الشريعة والحقيقة بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علم الشريعة فقط  
وكذلك من الأمور التي يتفوق بها الولي على النبي أن النبي يأخذ الوحي  
بواسطة الملك بينما الولي يأخذ الوحي من المكان الذي يأخذ منه الملك  
رأساً .

وإليك نص كلامه قال :

« إن الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى فمن حكمها أن

(١) « المتخذ من الضلال » للغزالي (ص ٦٨) .

يتولى الله من شاء من عباده نبوة وهي من أحكام الولاية وقد يتولاه بالرسالة وهي من أحكام الولاية أيضاً فكل رسول لابد أن يكون نبياً وكل نبي لابد أن يكون ولياً فكل رسول لابد أن يكون ولياً فالرسالة بخصوص مقام في الولاية والرسالة في الملائكة دنيا وأخرى لأنهم سفراء الحق لبعضهم والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار بنبوة التشريع لا النبوة العامة وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ وهي تتجدد .

بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبداً ولا تحد لا بالزمان ولا بالمكان ولها الإنبئ العام والله لم يقسم بنبي ولا رسول ويقسم بالولي واتصف بهذا الاسم فقال : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقال : ﴿هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وأخرى فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة إلا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها . . . وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال العلماء ورثة الأنبياء . . . فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع ممن هو حيث ولي وعارف ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول وذو تشريع وشرع» (١) .

وقال ابن عربي أيضاً :

« إن الولي يعلم علمين بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علماً واحداً فقط وإن الولي يعلم علمين علم الشريعة وعلم الحقيقة أي الظاهر والباطن

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (١/١٣٥) وكذلك « الفتوحات المكية » (٢/٢٥٧) .

والتنزيل والتأويل حيث إن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع» (١) .

«ويزعم ابن عربي أيضاً بأن النبي والرسول يستمدان العلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة بخلاف الولي فإنه يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم» (٢) .

وفي عبارة أصرح مما سبق زعم ابن عربي بأن الرسول لا يأخذ الوحي إلا من مشكاة خاتم الأولياء وزعم بأنه هو نفسه خاتم الأولياء وإليك نص عبارته حتى تتضح الصورة جيداً .

فقد قال محيي الدين بن عربي بعد أن تحدث عن وحدة الوجود وكيف أن ما في هذا الكون مرایا لله سبحانه وتعالى وأن الناس بالنسبة لهذا العلم درجات فقال :

« فمننا من جهل في علمه فقال : « والعجز عن درك الإدراك إدراك ومنا من علم فلم يقل مثل هذا وهو أعلى القول بل أعطاه العلم السكوت ما أعطاه العجز وهذا هو أعلى عالم بالله وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع

(١) « فصوص الحكم » (١/١٣٥) .

(٢) « فصوص الحكم » (١/ ) .



ورسالته تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لنا جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدر في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . . . لما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان ﷺ تلك اللبنة غير أنه ﷺ لا يراها كما قال : لبنة واحدة وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ ويرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة فلا بد أن يرى نفسه تنطبق في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رأها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهر وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهره متبع فيه لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع بكل شيء فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما فهم من أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله ﷺ : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعث وكذلك خاتم الأولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان ولياً إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية والاتصاف بها من كون الله تعالى تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبه مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه فإن الولي الرسول النبي وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن

الأصل المشاهد للمراتب»<sup>(١)</sup> .  
وقد ادعى ابن عربي بأنه خاتم الأولياء وذلك حتى يحوز هذا المنصب  
العظيم الذي ادعاه ألا وهو أن الأنبياء يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء حيث  
قال في فتوحاته المكية :

أنا ختم الولاية دون شك  
لورثي الهاشمي مع المسيح  
كما أنني أبو بكر عتيق  
أجاهد كل ذي جسم وروح  
بأرواح مثقفة طوال  
وترجمة بقرآن فصيح  
أشد على كتيبة كل عقل  
تنازعتني على الوحي الصريح  
لي الورع الذي يسمو  
على الأحوال بالبناء الصحيح  
وساعدني عليه رجال صدق  
من الورعين من أهل الفتوح  
يوالون الوجود وكل ندب  
ويششون سلطنة المسيح<sup>(٢)</sup>

والشاهد في النصوص السابقة هو أن ابن عربي ادعى بأنه يتلقى الوحي  
من الله وأنه يأخذه بدون واسطة من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي  
يرسله الله إلى الأنبياء ليلبغهم الوحي وأنه خاتم الأولياء وكان ولياً قبل خلق

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٧١/٤) الباب الثالث والأربعون .

آدم وفي هذا ظاهر تفضيل وحي الأولياء على وحي الأنبياء وتفضيل الولاية على الرسالة وهذه كلها عقائد مناقضة للعقيدة الإسلامية الصحيحة .

ويقول ابن عربي أيضاً مقررًا استمرار النبوة وعدم انقطاعها :

« ويجمع النبوة كلها أم الكتاب ومفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق . . . فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده » (١) .

ويقول أيضاً في مكان آخر :

« ويتضمن هذا الباب المسائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة وهي النبوة العامة فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخاً لشرعه ﷺ ولا يزيد في حكمه شرعاً آخر وهذا معنى قوله ﷺ إن الرسالة والنبوة انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي أي لا نبي بعدى لكون شرع يكون مخالفاً لشرعي بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي فهذا هو الذي انقطع وسد بابه لا مقام النبوة » (٢) .

والذي يهمننا من إيراد هذا النص هو قول ابن عربي باستمرارية النبوة وعدم انقطاعها وهذه عقيدة مخالفة لما جاءت به النصوص القرآنية والنبوية من أن باب النبوة قد أغلق تماماً فلا نبي ولا رسول بعد النبي محمد ﷺ .

وقد قسم ابن عربي العلم إلى ثلاثة أقسام وهي علم العقل وعلم

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/٩٠) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢) .

الأحوال وعلوم الأسرار فقال :

« العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام علم العقل وقال في تعريف هذا العلم :  
هو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل .

والعلم الثاني : علم الأحوال ولا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل  
على أن يحددها ولا يقيم على معرفتها دليل ألته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة  
الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم  
فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها وشبهها من  
جنسها في أهل الذوق . . .

والعلم الثالث : علوم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو  
علم نفث روح القدس في الروح يختص به النبي والولي وهو نوعان نوع منه  
يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العلم به لم يحصل له  
عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا والنوع الآخر على ضربين ضرب  
منه يلحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف والضرب الآخر هو من قبيل علوم  
أخبار وهي العلوم التي يدخلها الصدق والكذب بذاتها إلا أن يكون المخبر به  
أن يعلم الأخبار قد ثبت صدقه عند المخبر وثبتت عصمته فيما يخبر به  
ويقوله كإخبار الأنبياء صلوات الله عليهم عن الله كإخبارهم بالجنة وما فيها  
وهذا الصنف الثالث هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها  
وليس صاحب تلك العلوم الأخرى كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم  
المحيط الحاوي على جميع المعلومات « (١) .

\* ومن المتصوفة الذين زعموا تلقي علومهم عن الله وعروجهم إليه

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (١/١٣٩) .

ومكالمتهم مع الله أبو يزيد البسطامي الذي يعتبر من المشائخ الكبار في الأوساط الصوفية ومن الذين لهم القدم الراسخ في تأسيس عقائد الصوفية المنحرفة .

فقد ادعى أبو يزيد بأنه أخذ علمه عن الحي الذي لا يموت ومعلوم طبعاً الحي الذي لا يموت هو الله سبحانه وتعالى لأنه هو المستحق الحقيقي لهذا الوصف أما غيره من المخلوقات فالكل فان وتهكم أبو يزيد بعلماء الإسلام الأجلاء الفضلاء الذين يهتمون بعلم كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وبسنة المصطفى ﷺ .

وهذا نص كلامه فقد قال :

« أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ونحن أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت »<sup>(١)</sup> .

ويعني أبو يزيد بهذا الكلام أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بتعاليم الكتاب والسنة ولا يقبلون غيرهما من العلوم الخرافية التي يدعي المتصوفة أنهم تلقوها عن الله وكلام أبي يزيد هذا فيه تهكم واستهزاء واستخفاف واضح بالصحابة الذين نقلوا إلينا هذا العلم وبجميع علماء الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ونحن نقول : يا أبا يزيد - ومن هو على طريقتك من المتصوفة - نقول لكم : ليس لكم أي علوم تتلقونها عن الله وإنما من الممكن أن يوحى إليكم الشيطان الوحي من عنده فيضلكم كما هو واضح في علومكم التي تزعمون أنكم تلقيتموها عن الله فكلها تدعو إلى الضلال

(١) « الجواهر والدرر » للشعراني بهامش « الإبريز » للدباغ (٢٨٦) وكذلك « الفتوحات المكية »

لابن عربي (١٣٩/١) .

والكفر والشرك والبدع والخرافات وكل العلوم التي تحتوي عليها متناقضة مع ما في الكتاب والسنة ولو كانت من الله على فرض التنزل معكم لما تناقضت معهما مع العلم بأننا نؤمن إيماناً جازماً بأنه لا وحي ولا علم يتلقى عن الله بعد الرسول محمد ﷺ لأن هذا الباب قد أغلق تماماً فمن ادعى التلقي عن الله فهو ضال مضل كذاب أفاك .

وادعى أبو يزيد البسطامي أيضاً أنه عرج به إلى السماوات وتكلم مع الرب سبحانه وتعالى مشافهة وأنه أراه الله السبع الأرضين وما فيها والسماوات السبع وما فيها وأنه رأى الجنان وعرش الرحمن وهذا نص كلامه فقد قال :

« أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال لي: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه. فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسلك إياه فقال: أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلي صدقاً لأفعلن بك »<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن أبا يزيد زعم بأنه تبادل الحديث مع الرب مشافهة حيث عرج به إلى السماوات العلى فرأى الجنان ومع ذلك لم يجد شيئاً يعجبه فلم يسأل الله شيئاً وذلك لأن الجنة لا تساوي مع مشائخ الصوفية الدجاجلة شيئاً لأنهم حسب زعمهم لا يعبدون الله حباً للدخول في الجنة ولا النجاة من النار وإنما يعبدونه متجردين عن الرغبة والرغبة وهذه عبادة مخالفة لما شرعه الله فإن الله سبحانه قال في وصف أنبيائه: ﴿ إِنَّهُمْ

(١) « قوت القلوب » لابي طالب المكي (٧٠/٢) وكذلك « غيث المواهب العلية » للرندي

كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿١﴾ .

والذي يهمننا من إيراد هذا النص هو زعم أبي يزيد التكلم مع الله مشافهة وهذا هو معنى التلقي عن الله .

وهذا نص آخر عن أبي يزيد يزعم فيه بأن الله رفعه وأوقفه بين يديه وقال له إن خلقه يحبون أن يروك ثم أبو يزيد طلب أن يحل فيه الله بحيث إذا رآه الخلق يصبحون كأنهم رأوا الله حقيقة وهذا نص كلامه قال :

« رفعتني مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك وألبسني أنايتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا » (٢) .

والشاهد من إيراد النص واضح ألا وهو زعم أبي يزيد التكلم مع الله وتبادل الحديث معه كما هو واضح جلي في النص .

ويزعم أبو يزيد البسطامي أيضاً بأنه خاض بحراً من العلم لم يستطع الأنبياء أن يخوضوه وإنما وقفوا بساحله لأن علمهم محدود أما علم أبي يزيد وأمثاله فغزير جداً وكثير لا يساوى علم الأنبياء بالنسبة له شيئاً وهذا نص كلامه قال :

« خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله » (٣) .

وزعم أيضاً بأنه أوتي ما لم يؤتاه النبيون من العلم وهذا نص كلامه فقد قال :

(١) الأنبياء : (٩٠) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص ٤٦١) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص ٢٧٦) وكذلك « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١/٢٦٦) .

« معاشر الأنبياء أوتيتهم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه »<sup>(١)</sup> .

وقال البسطامي أيضاً :

« تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين »<sup>(٢)</sup> .

ففي النصوص السابقة تفضيل البسطامي نفسه على جميع الأنبياء والرسول في العلم واضح وكذلك صرح بأن لواءه أعظم من لواء الرسول ﷺ وهذا كلام خطير جداً لا يمكن أن يخرج من إنسان فيه ذرة من الإيمان فضلاً عن أن يطلع من إنسان يعتبره المتصوفة من كبار أولياء الله وتنزه الله أن يكون أولياؤه هكذا .

\* ومن كبار الصوفية الذين زعموا التلقي عن الله والعروج إليه عبد الكريم الجيلي فقد قال هذا الرجل واصفاً كتابه « الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر » :

« وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح وأيدت مسائله بالخبر الصحيح . . . وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل . . . » .

ثم قال الجيلي مفترياً على الله : « فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وألغازه ووعدني بعموم الانتفاع فقلت : طوعاً للأمر المطاع وابتدأت في تأليفه متكلاً على الحق في تعريفه فها أنا ذا أكرع من دنه القديم بكأس الاسم العليم في قوابل أهل الإيمان والتسليم خمرة مرضعة من الحي الكريم مسكرة الموجود بالقديم »<sup>(٢)</sup> .

(١) « الإنسان الكامل » للجيلي (١/١٢٤) وكذلك « الجواهر والدرر » للشعراني بهامش « الإبريز » للدباغ (ص٢٨٦) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص٦) .



إذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الكريم الجيلي زعم بأن الله أمره بإظهار هذا الكتاب بكل ما يحمله من عبارات صريحة واضحة الدلالة على المقصود وعبارات هي ألغاز يصعب فهمها في الوهلة الأولى وأن الله وعده بأن هذا الكتاب سيتفتح به الكثير وهذه عبارات تدل على أنه تلقى العلم الموجود في هذا الكتاب من الله سبحانه وتعالى وهذا حسب زعمه وإلا فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لم يتلقى هذا العلم عن الله وإنما من الممكن أن يكون تلقاه عن الشيطان بل بالتأكيد وحي شيطاني لأن هذا الكتاب من أوله إلى آخره لا يحتوي إلا على الكفر والإلحاد والشرك يلاحظ ذلك بوضوح كل من يقرأ في هذا الكتاب .

وإليك نماذج من هذا الكتاب الذي يزعم الجيلي بأن الله أمره بإبرازه ووعده بعموم الانتفاع به حتى تحكم بنفسك بأن هذا الوحي وحي شيطاني وليس وحيًا رحمانياً .

فقد قال متحدثاً عن نفسه :

سواي فأرجو فضله أو فأخشاه	لي الملك في الدارين لم أر فيهما
ولا بعد من بعدي فأسبق معناه	ولا قبل من قبلي فالحق شأنه
جمال جلال الكل ما أنا إلا هو	وقد حزت أنواع الكمال وإنني
وحيوانه مع أنه وسجاياه	فمهما ترى من معدن ونباته
ومن هباء للأصل طيب هيولاه	ومهما ترى من عنصر مطيعة
ومن شجر أو شاق طال أعلاه	ومهما ترى من أبحر وقفاره
ومن شهد للعين طال محياه	ومهما ترى من صورة معنوية
أنا المتجلي في حقيقته لا هو <sup>(١)</sup>	فإنما ذلك الكل والكل مشهدي

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/٣١) .

إذا نظرنا في الآيات السابقة نجد أن عبد الكريم الجيلي ادعى بأن ملك الكون في الدنيا والآخرة له وحده وأنه لم ير غيره شيئاً حتى يخشاه وهذا إنكار لوجود الله وتنصيب نفسه رباً للكون ثم ادعى بأنه استكمل كل صفات الكمال وأنه ما هو إلا الله وهذا كفر بواح وإلحاد سافر لا بعده إلحاد ولذا أقول إن هذا الكتاب ألقاه إليه الشيطان ليضله ثم ليضل به عبد الكريم البشرية وقد فعل كما أمره إبليس عليه لعنة الله .

وهذا نموذج آخر من كتابه الذي زعم أنه تلقاه عن الله فقد قال :

الباب الملغي ستين في « الإنسان الكامل » وأنه محمد وأنه مقابل للحق والخلق حيث قال :

« اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر فاسمه الأصلي الذي هو له محمد وكنيته أبو القاسم ووصفه عبد الله ولقبه شمس الدين ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي ولست أعلم أنه النبي وظننت أنه الشيخ وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه : أشهد أنني رسول الله وكان

التلميذ صاحب كشف فعرفه فقال : أشهد أنك رسول الله ، وهذا أمر غير منكور وهو كما يرى النائم فلائاً في صورة فلان وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم ولكن بين النوم والكشف فرق وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك على الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الأدميين فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ لما أعطاك الكشف أن محمداً متصور بتلك الصورة فلا يجوز لك بعد شهود محمداً فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل . . . . . وإن رسول الله ﷺ له من التمكن في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة وقد جرت سنته ﷺ إنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلى شأنهم ويقيم ميلانهم فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم» (١) .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن عبد الكريم الجيلي صرح بأن هذا الوجود كله يدور حول قطب واحد وهو الرسول ﷺ وأن الرسول يتشكل بأشكال عديدة سواء كان في ملابسه أو أسمائه ويظهر في الكنائس التي يتعبد فيها النصرارى وصرح أيضاً بأنه اجتمع بالرسول ﷺ وهو متصور بصورة شيخه شرف الدين وأن الرسول له القدرة الكاملة على أن يتشكل بأي صورة في هذا الكون وهذه عقيدة التناسخ التي يعتقدونها الوثنيون من اليهود وليست من الإسلام في شيء والنص كله من أوله إلى آخره يدور حول عقيدة التناسخ

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (٧٤/٢) .

وأن الرسول هو القطب الذي يدير هذا الكون بكل ما فيه وهذه كما نرى عقائد باطلة فالقول بقدره بشر على التشكل بأي صورة يريد لها لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ إذا هي عقيدة دخيلة ينكرها الإسلام ويرفضها رفضاً قاطعاً وكذلك القول بأن هذا الكون كله يسيره الرسول ليس من الإسلام في شيء فمسير الكون كله هو الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك وليس لأى بشر كائناً من كان الشركة مع الله في تسيير أمور هذا الكون ومن اعتقد ذلك الاعتقاد فقد أشرك مع الله وعليه التوبة وكما نرى فهذا الكتاب لا يحتوى إلا على عقائد وثنية فقط ولذا فهو من وحي الشيطان لا من وحي الرحمن .

وهذا نص آخر عن الجيلي يزعم فيه أن المتصوفة يعرج بهم ويكالمهم الرب سبحانه فقد قال :

« ومن المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب فمنهم من يخاطب في قلبه ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا ومنهم إلى الثانية والثالثة كل على حسب ما قسم له ومنهم من يصعد به إلى سدرة المنتهى فيكلمه الله هناك وكل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له لأنه سبحانه وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ومنهم من يضرب له عند تكليمه إياه نور له سرادق من الأنوار ومنهم من ينصب له منبراً من نور ومنهم من يرى نوراً في باطنه فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية وقد يرى النور كثير وأكثر ومستديراً ومتطاولاً ومنهم من يرى صورة روحانية تناجيه كل ذلك لا يسمى خطاباً إلا أن أعلمه الله أنه هو المتكلم وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل بل هو على سبيل الوهلة فإن خاصة كلام الله لا تخفى وأن يعلم أن كل ما سمعه كلام الله فلا يحتاج هناك إلى دليل ولا بيان بل بمجرد سماع الخطيب يعلم

العبد أنه كلام الله وممن صعد به إلى سدرة المنتهى من قيل له حبيبي أيتك هي هويتي وأنت عين هو وما هو إلا أنا حبيبي بساطتك تركيبي وكثرتك واحدتى بل تركيبك بساطتي وجهلك درايتي أنا المراد بك أنا لك لا لي أنت المراد بي أنت لي لا لك حبيبي أنت نقطة عليها دائرة الوجود فكيف أنت العابد والمعبود أنت النور أنت الظهور أنت الحسن والزين كالعين للإنسان والإنسان للعين» (١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الجيلي زعم بأن الأولياء يعرجون إلى الله مع التفاوت فيما بينهم في درجات العروج المزعوم وأن الله سبحانه يكلمهم ويخاطبهم مع التفاوت أيضاً في درجات هذه المكالمة المزعومة فهذا يشتمل على شاهدين للمبحث الشاهد الأول قول الجيلي بعروج الأولياء إلى الله والشاهد الثاني تكلم الرب معهم وهذا هو التلقي عن الله ليس غير ذلك .

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يتلقون علومهم عن الله عبد العزيز الدباغ .

لقد زعم عبد العزيز الدباغ بأن الأولياء ينزل عليهم الوحي من الله ويتلقون علومًا منه سبحانه وتعالى وأنه ليس هناك أي فرق بين وحي الأولياء والأنبياء في طريقة التلقي بل طريقة تلقي الولي الوحي هي نفس الطريقة التي يتلقى بها النبي الوحي عن الله وإليك نصوص من كلامه .

قال الدباغ :

« وأما ما ذكره في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه

(١) « الإنسان الكامل » للجيلي (١/ ٦٥ - ٦٦) .

فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان ولياً أو نبياً لا بد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه وكل من قال إن الولي لا يشاهد هذا الملك ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه»<sup>(١)</sup>.

وقال عبد العزيز الدباغ أيضاً :

« وينزل الملك على الولي بالأمر والنهي »<sup>(٢)</sup>.

وزعم عبد العزيز الدباغ أيضاً أن المفتوح عليه يسمع كلام الله فقال :

« وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه إذا رحمه الله عز وجل سماعاً خارقاً للعادة فيسمعه من غير حرف ولا صوت ولا إدراك لكيفية ولا يختص بجهة دون جهة بل يسمعه من سائر الجهات بل ومن سائر جواهر ذاته وكما لا يخص السماع له جهة دون أخرى كذلك لا يخص جارحة دون أخرى يعني أنه يسمعه بجميع جواهره وسائر أجزاء ذاته فلا جزء ولا جوهر ولا سن ولا ضرس ولا شعرة منه إلا وهو يسمع به حتى تكون ذاته بأسرها كأذن سامعة ثم ذكر اختلاف أهل الفتح في قدر السماع »<sup>(٣)</sup>.

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد العزيز الدباغ صرح بأنه لا فرق بين النبي والولي في طريقة تلقي الوحي عن الله وأن من يقول بالتفريق بينهما فإنه قاصر في الفتح وأن الملك ينزل على الولي بالأمر والنهي وأن الأولياء يسمعون كلام الله بجميع جوارحهم وليس مثل الأنبياء الذين يسمعون

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (ص ١٤٣).

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص ١٤٣).

(٣) كتاب « الإبريز » للدباغ (ص ١٤٧).

كلام الله بالآذان فقط وكل هذه عقائد ضالة باطلة وأكاذيب وافتراءات ودجل من هذا الصوفي الخرافي الضال وليس له أي دليل يعتمد عليه لإثبات هذا المعتقد .

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الولي يشارك النبي في كثير من الأمور وأنه يتعلم العلم من غير طريق الكسب لسان الدين الخطيب وهذا نص كلامه فقد قال متحدثًا عن هذا الموضوع :

« الولاية أن يتولى الله الواصل إلى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف .

فالولي يساوي النبي في أمور منها العلم من غير طريق العلم الكسبي والفعل بمجرد الهمة فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم .

ويفعل بالهمة في عالم الخيال وفي الحس فإنه يسمع ويرى ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس .

ويفارق الولي النبي في المخاطبة الإلهية والمعارج فإنهما يجتمعان في الأصول وهي المقامات إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلي والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي وإن جمعهما مقامًا اختلفا بالوحدة في كل مقام من فناء وبقاء وجمع وفرق والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ومن مقامه يشهد إلا ما كان من الأولياء المحمديين فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعًا لمقامات الأنبياء أورثهم الله تعالى مقامات الأنبياء وأوصل إليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث وبوساطته فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسول مقاماتهم في عالم الأرواح ثم شاركت الأولياء الأنبياء

في الأخذ عنه فقد يرث ولي من أولياء الله آدم أو إسحاق أو إدريس أو إسماعيل أو يوسف أو موسى أو عيسى لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من محمد ﷺ إلا القطب وحده فإنه على قلب محمد ، ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون» (١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن لسان الدين زعم أن الولي يشارك النبي في أمور منها أن الولي يتعلم من غير أن يسلك الطريق الذي يسلكه الناس للتعلم بل يهبه الله العلم كما يهب النبي أي أنه يتعلم عن طريق الوحي من الله وأنه يسمع ويرى ما لا يراه الناس ولا يسمعه بمعنى أنه يعلم الغيوب وأنه يعرج إلى الله هذا في الولي الذي لم يصل إلى مرحلة القطبية أما الولي الذي يصل إلى مرحلة القطبية فإنه على قلب محمد ﷺ ومساوياً له في كل الأمور .

\* ومن الصوفية الذين قالوا إن الولي يتساوى في جميع الأمور مع النبي ابن عجيبة الحسني حيث قال بوضوح تام من غير لف ولا دوران :  
« ما قيل في النبي يقال في الولي » (٢) .

وعبارة ابن عجيبة هذه وإن كانت مختصرة جداً إلا أنها تحمل معانٍ كثيرة وخطيرة في نفس الوقت وذلك أن هذه العبارة القصيرة تعني أن الولي كالنبي تماماً وكلنا نعرف أن من خصائص النبي أن الله يوحى إليه وأنه معصوم عن الخطأ فيجب أن يقل قوله من غير مناقشة ولا تردد وأنه يجب أن يطاع وأنه المشرع وكذلك الولي وهذا دليل واضح على أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء يتلقون عن الله علومهم وأنه لا فرق بينهم وبين الأنبياء .

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » لسان الدين الخطيب (٥١٩) .

(٢) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة الحسني (ص ٢٦٤) .



\* ومن الصوفية الذين زعموا التكلم مع الله والتصرف في الكون

إبراهيم الدسوقي وهذا نص كلامه :

قال : « أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي ألبس منهم من شئت أنا في السماء شاهدت ربي وعلى الكرسي خاطبته أنا بيدي أبواب النار أغلقتها ويدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكتته جنة الفردوس »<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الدسوقي زعم بأنه تكلم مع الله وأنه رآه بأم عينيه وخاطب الله سبحانه وتعالى وهو على الكرسي وأنه بيده إغلاق النار وفتح الجنة وقد فعل وأن من سجل له زيارة واحدة أسكنه في جنة الفردوس وهذا حسب زعمه وإلا فليس عنده أي مقدرة لفعل شيء واحد مما تقدم ونحن أوردنا النص هذا للاستشهاد به على زعم المتصوفة التكلم مع الله والتلقي عنه وهذا واضح في النص وكما نرى فالنص يحتوي على عقائد باطلة كثيرة ولا نريد أن نتعرض هنا للرد على هذه المعتقدات لأن المقصود هنا هو إثبات الحجة وقد ثبت .

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الله كلمهم أحمد الرفاعي فقد أورد

صاحب كتاب « قلادة الجواهر » :

« أن السيد إبراهيم الأعزب قال : كنت جالساً في الغرفة مع السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه ورأسه على ركبتيه فرفع رأسه وضحك بأعلى صوته فضحكت أنا أيضاً ثم ألححت عليه ليخبرني عن سبب ضحكك فقال : أي إبراهيم ناداني العزيز سبحانه أني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض . فلما سمعت هذا النداء تعجبت وقلت : إلهي من ذا الذي يعارضك في ملكك وإرادتك ؟ قال سيدي إبراهيم : فأخذته الرعدة ووقع على الأرض وبقي في ذلك الحال زمناً طويلاً »<sup>(١)</sup> .

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٨/١) .

(٢) « قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الاكابر » (ص ١٨٠) وانظر كذلك « البرهان

المؤيد » للسيد أحمد الرفاعي (ص ٨٠) .

والشاهد من إيراد النص واضح حيث زعم أحمد الرفاعي أن الله ناداه  
وكلمه وأنه تبادل الحديث معه كما هو واضح أمامنا في النص .

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الله تكلم معهم أبو الحسن الشاذلي  
فقد ذكر عبد الحلیم محمود شیخ الأزهر السابق نقلاً عن أبي الحسن الشاذلي  
كيفية نزوله من جبل زغوان ومغادرة خلوته :

« قيل لي : يا علي اهبط إلى الناس ينتفعوا بك . فقلت : يا رب  
أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم .

فقيل لي : انزل فقد أصبحناك السلامة ودفعنا عنك الملامة . فقلت :  
تكلمي إلى الناس آكل من دريهماتهم . فقيل لي : أنفق يا علي وأنا الملي إن  
شئت من الجيب وإن شئت من الغيب .

ونزل الشاذلي رضي الله عنه من على الجبل ليغادر شاذلة ويستقبل  
مرحلة جديدة فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه .

وذكر عنه عبد الحلیم محمود أن الشاذلي قال : يا رب لم سميتني  
بالشاذلي ولست بشاذلي ؟ فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي وإنما أنت  
الشاذلي بتشديد الذال المعجمة يعني المفرد لخدمتي ومحبتي <sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الحلیم أورد عن الشاذلي أنه  
كلمه الله وهذا يظهر لنا في سياق القصة حيث إن تبادل الحديث بين الله  
وأبي الحسن ظاهر فيها وهذا حسب زعمه وإلا فهو كذب محض لا أساس له  
من الصحة ومع الأسف الشديد أورد هذا الكلام عن الشاذلي شيخ كان يتولى

---

(١) « المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي » (ص ٣٤ - ٣٥) وانظر كذلك نحوه  
في « تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس » للسكندري (ص ١٨) .

إدارة جامعة إسلامية عالمية فيا أسفاً على هذه الجامعة التي يتولى شئونها أمثال هذا الذي لا يميز بين الباطل والحق بل ينقل كل ما هب ودب على وجه الأرض.

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يسمعون كلام الله السهروردي وهذا نص كلامه فقد قال متحدثاً عن وصف الأولياء :

« ويسمعون كلام الله فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤيداً وسماعه متوالياً متجدداً يسمع كلام الله تعالى » (١).

\* ومن المتصوفة الذين زعموا العروج إلى الله حتى سمعوا صرير الأقلام صالح بانقا السوداني .

فقد قال : إنه أثناء سياحته باحثاً عن شيخ صوفي يتربى على يديه ويأخذ الطريقة مر بعدة مشائخ وكل من مر بهم من هؤلاء المشائخ أكرموه فقال : إن هؤلاء الذين أكرموني كلهم لا يصلحون لأتربى على أيديهم . فواصل طريقه حتى وصل إلى رجل اسمه أبو بكر وهو شيخ كبير مجتمعين عنده الناس على كرامة فقال لواحد منهم : في لحم ؟ قال له : نعم . قال : في ملاح ؟ قال : نعم . قال لي : يا فقير شيل ها الفضلة ملحها بالماء وكل . فقلت : هذا الذي لم يكرمني هو شيخي ! ثم قال له : يا فقير املا هذه الإبريق من البحر . فلما جيت عند البحر امتلأت بنفسها وجاءتني من غير أن أملاها فجئت إلى الشيخ فوجدته شاباً فتوضأ وصلى ثم طال حتى وصل رأسه عرش الخلوة ثم عاد على حالة شيخنا فقلت في نفسي : هذا شيخي فقال : أنا مان شيخك امش ادخل خلوة في باعوضة فإن شيخك يجيبك فيها

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ٢٧) .

فإنه يكون لك شأن عظيم ابق بعدها على ذريتنا عشرة . . .  
 ثم قال : « ثم قدمت على بعوضة فاخليت فيها للذكر والعبادة فجاءني  
 رسول الله ﷺ ومعه علي وقيل أبو بكر فلقني الذكر ثم قال : يا كوفي أنا  
 في الخلوة راقد رأيت نجمة كبيرة في السماء تعلقت بها روعي وخرجت من  
 جسمي فطارت فخرقت السماوات السبع فسمعت صرير الأقلام فلو كان يا  
 كوفي بعد محمد نبي لقلت تنبأت ثم رجعت فوقعت في جزيرة من جزائر  
 المالح فجاءني رجل لابس كساين من صوف فلقني اسمين ومشى معي  
 خطوتين » (١) .

والذي يهمنا في النص هو أن صالح بانقا طاف بالبلاد باحثًا عن شيخ  
 يتربى على يديه وأثناء سياحته مر بعدد كبير من المشائخ ولكن كلهم كانوا  
 يكرمونه ويضيفونه بالضيافة الإسلامية المطلوبة فتجاوزهم جميعًا لأنه كان  
 يبحث عن شيخ يهينه حتى يتربى على يديه فلما وجد من يهينه قال : هذا  
 هو الشيخ الذي يصلح لتربيته ثم قال له هذا الشيخ اذهب إلى إحدى القرى  
 فهناك شيخك وبالفعل جاءه شيخه وعرج حتى فرق السماوات السبع وسمع  
 صرير الأقلام وهكذا المتصوفة يزعمون العروج إلى الله وذلك حتى لا يتركوا  
 صفة يختص بها رسول الله دونهم .

\* ومن الصوفية الذين ادعوا العروج إلى السماوات وتبادل الحديث مع  
 الله دفع الله بن محمد الكاهلي (٢) :

وقد ذكر ود ضيف الله الجعلي أن دفع الله لما دنا من الوفاة مرض  
 مرضًا شديدًا وغاب فيه أيامًا ثم أفاق والناس قاعدين الإناث والذكور منتظرين

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) دفع الله بن محمد الكاهلي الهزلي وأمه رية بنت موسى بن هنونة ولد بالحطفاية وسمته أمه  
 دفع الله تبركًا بالشيخ دفع الله العركي لأنه شيخ أبيها « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ٢١١) .

الإفاقة أو الموت فلما أفاق قيل له : ما رأيت؟ قال : عرج بروحي إلى السماء فقبل لي : أخير عليك ترجع الدنيا وتمكث فيها أربعين سنة تدرس القرآن والعلم أو أحسن إليك لقاء ربك، فقال له حمد ولد عبد الجليل والحاج عوض الكريم : ما الذي اخترت؟ قال : اخترت لقاء ربي فضجوا الناس بالبكاء والنياح وقال لخالاته وأخواته وجملة أرحامه : أبشرون يا هنونا بيات أنا جبلكن يوم القيامة قال شيخني بدوي ولد أبو دليق أبشرون يا كاهليات أنا جبلكن يوم القيامة وأوصى فقال : يقعد في المسجد عبد الرافع مجازاتا لشيخنا الفقيه حمد <sup>(١)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علومًا خاصة بهم عن الله سبحانه وتعالى ابن سبعين <sup>(٢)</sup> :

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علومًا عن الله محمد القنوي الصوفي حيث قال في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْرِقُونَ﴾ أي لا يسرقون معارف أحد من أهل السلوك ولا يتكلمون بأسرار الأكابر من الكمل التي ما بلغ علمهم لها ولا شاهدوها كشفًا وشهودًا بل لا بد من القناعة بما هو حاصل لهم من العلوم اللدنية والمعارف الإلهية التي كشفت لهم أثناء سلوكهم بالمجاهدات النفسية والتوجهات القلبية وأميض على قلوبهم من أشعة نورانية روحانية شيخهم <sup>(٣)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين ادعوا بأن الأولياء يتلقون علومًا عن الله ويطلعون على الغيب عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندي فقد قال وهو

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ٢١١) .

(٢) انظر « بد المعارف » لابن سبعين (ص ١٣٧) .

(٣) « السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد » للبكري (ص ١٥٠) .

يتحدث عن أحد رجالات النقشبندية الكبار سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدس الله سره العزيز قال عنه عالم العلماء وولي العلماء ظهر في العالم بعلمين . . أحيأ الحقيقة بالشرعية والشريعة بالحقيقة وسلك في طريق القوم أقوم طريقة وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب<sup>(١)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء لهم علوم خاصة بهم يتلقونها عن الله أبو العباس المرسي<sup>(٢)</sup> فقد قال وهو يتحدث عن الصوفية .

« علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق والفقهاء من انفقاً الحجاب عن عيني قلبه »<sup>(٣)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوماً عن الله خاصة بهم أحمد بن مخلوف الشابي<sup>(٤)</sup> الصوفي فقد قال :

« وعلم التجليات موقوف على الأذواق فمن لا ذوق له لا علم له »<sup>(٥)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء في طريق سيرهم إلى الله تفيض عليهم علوم من الله أبو حامد الغزالي فقد قال وهو يتحدث عن المقامات التي يقطعها الصوفي الذي يسير إلى الله :

---

(١) « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » (ص ١٥٤) .

(٢) هو أحمد أبو العباس المرسي وكان يقال : إنه لم يرث غيره علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي وهو من أجل من أخذ عنه الطريقة « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢/٢٣١) .

(٣) أبو العباس المرسي (ص ٨٢) .

(٤) هو عبد الله بن مسعود الشابي العارف بالله شيخ الطريق وإمام الحقيقة والشابي نسبة إلى بلدته شابة بالساحل التونسي التي ولد بها ونشأ وهو من قبيلة هذيل . انظر مقدمة الكتاب المنقول منه النص (ص ٢١) .

(٥) كتاب « العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي مؤسس الطريقة الشابية » (ص ١٦٤) .

وفرقه أخرى جاوزت هؤلاء ولم تلتفت إلى ما يفيض عليها من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يلتفتوا إليها ولا عرجوا عليها بل جدوا في السير فلما قاربوا الوصول ظنوا أنهم وصلوا فوقفوا ولم يتعدوا ذلك فغلطوا فإن لله سبحانه سبعين حجاباً من نور وظلمة لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب إلا ويظن أنه قد وصل «(١)» .

ويدعي المتصوفة بأن علماء الظاهر وهم الذين يعلمون الكتاب والسنة جاهلون بالله لا يعرفونه حق معرفته لأنهم يجهلون علم الحقيقة الذي يدعي المتصوفة بأنهم يتلقونه عن الله .

وإلى جانب زعم التلقي عن الله ادعى المتصوفة أيضاً بأن الأولياء يلتقون بالرسول ﷺ باستمرار ويتلقون توجيهات ويصححون عنده الأحاديث وإليك نماذج من أقوال المتصوفة الدالة على ذلك .

فقد قال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء ومنها شدة قربهم من رسول الله ﷺ كل وقت فلا يحجب عنهم في ليل أو نهار وحتى أن بعضهم صحح عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها من طريق النقل الظاهر فتقوت بذلك عنده قال :

« وقد أدركت جماعة ممن لهم هذا المقام منهم سيدي علي الخواص وسيدي علي » .

وقال محمد الصبان وهو يقرر التقاء الأولياء بالرسول ﷺ وأخذ الأحكام منه وتصحيح الأحاديث عليه :

(١) « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين » للغزالي (ص ١٣٢) .

- « مشارق الأنوار » (٦٧) .

« وحرّم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله لكون رسول الله ﷺ مشهوداً لهم فإذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير رسول الله ﷺ » (١) .

وكما هو واضح أمامنا فقد زعم الشعراني والصبان بأن الأولياء يلتقون بالرسول باستمرار ويتلقون منه علوماً ويصححون عليه أحاديث وهو مجرد ادعاء فقط لا أساس له من الصحة وهذه القاعدة وضعها المتصوفة لهدم الشريعة الإسلامية حيث إن دعوى التلقي عن رسول الله وتصحيح الأحاديث عليه قاعدة خطيرة جداً لو سلم بها لكفت لتدمير الأمة الإسلامية في العقيدة والعبادة والسلوك وذلك لأنه من السهل جداً أن يأتي أي صوفي بحديث من عند نفسه ويدعي أنه صححه على الرسول ﷺ .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب تتلخص في الأمور التالية :

**الأمر الأول :** زعم المتصوفة أنهم يتلقون العلوم عن الله سبحانه وتعالى وادعوا بأن الكتب التي ألفوها إنما هي من الإلقاء الرباني عليهم وليست تأليفاً من عند أنفسهم .

**الأمر الثاني :** زعم المتصوفة أنه لا فرق بين وحي الأنبياء ووحى الأولياء في طريقة الإلقاء فكما أن الملك ينزل بالوحي إلى الأنبياء فكذلك ينزل على الأولياء بنفس الطريقة وزعموا أيضاً استمرارية النبوة وعدم انقطاعها .

**الأمر الثالث :** لقد غلا بعض المتصوفة غلوا شديداً في الأولياء فأدى

---

(١) « هامش مشارق الأنوار » لمحمد الصبان (ص ١٣٧) .



بهم ذلك إلى تفضيل الولاية على النبوة وزعموا أن الأولياء يتلقون الوحي مباشرة عن الله بدون واسطة ملك الوحي بل قال بعضهم إن الأنبياء يأخذون من خاتم الأولياء وكذلك زعموا بأنهم يلتقون بالرسول ويصححون عليه الأحاديث وهذه كلها عقائد فاسدة كما نرى ، كل منها كافية لهدم الإسلام لو آمن بها المسلمون ولكن والحمد لله لم يعتنق هذه العقائد الباطلة إلا من انخرط تحت لواء الطرق الصوفية الضالة والآن سأبين موقف الإسلام من هذه العقائد في المطلب الثاني من هذا المبحث فإلى هناك<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي يتلقى

بعد رسول الله ﷺ

تتميز العقيدة الإسلامية من بين العقائد السماوية الأخرى بمميزات فريدة تهيؤها للبقاء والثبات ومغالبة التحريف والتشويه على مدار الزمن واختلاف الأحوال وذلك التمييز هو حفظ الله عز وجل للأصل الذي تستقي منه تلك العقيدة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة لم يصل إليها كيد الكائدين ولم يضرها تحريف المبطلين ومن هنا فإن المسلم في أي زمان ومكان يستطيع أن يستدل على عقيدته بهذا الكتاب وهو آمن من أنه لا يوجد خلل به أو خطأ فيه ويبقى بعد ذلك اختلاف الأفهام وتباين الإدراكات البشرية مما يغتفر

(١) انظر (ص ٥٨٣ - ٦٠٢) .

(٢) الحجر : (٩) .

الخطأ فيه مع بذل الجهد وإخلاص النية ما لم يعارض نصاً ثابتاً أو إجماعاً من الأمة على خلافه .

وعقيدة ختم النبوة هي إحدى العقائد التي قررها كتاب الله عز وجل وبينها رسوله محمد ﷺ في كل موطن يتطلب ذلك وأجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم وعلماء الأمة الإسلامية من صدر الإسلام إلى اليوم .

وفي هذا المطلب سأورد الأدلة النقلية من الكتاب والسنة التي تدل على أن النبوة قد ختمت وأن الدين قد كمل وأنه لا يمكن أن يتلقى أحد علوماً عن الله مهما كانت مكانته بعد رسول الله ﷺ لأن طريق التلقي عن الله طريق واحد فقط وهو طريق النبوة ولا نبوة بعد محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام وكل من زعم أنه يتلقى عن الله فقد ادعى أنه نبي رضي أم كره لأن المهم ليس المسمى وإنما المهم المضمون .

**أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة وكمال الدين :**

لقد وردت الأدلة في القرآن الكريم على عقيدة ختم النبوة بصور عديدة منها ما يلي :

**أولاً : التصريح بالختم**

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١) .

ففي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتمته ﷺ للأنبياء قبله فلا نبي بعده ولا رسول وهذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الإسلام إلى اليوم .

(١) الأحزاب : (٤٠) .

يقول الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية :  
« يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا  
أحد من رجالكم الذين لم يلدوه محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه  
إياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح  
لأحد بعده إلى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير  
ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء » .

ثم ذكر عن قتادة في قوله : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أنه قال : « أي  
آخروهم »<sup>(١)</sup> .

ويقول الحسين بن مسعود الفراء البغوي رحمه الله في قوله تعالى :  
﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

« ختم الله به النبوة ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال يريد -  
أي الله تعالى - لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً »<sup>(٢)</sup> .

ويقول محمود بن عمران الزمخشري رحمه الله :  
« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ يعني أنه لو كان له ولد بالغ فبلغ مبلغ الرجال لكان  
نبياً ولم يكن هو خاتم النبيين »<sup>(٣)</sup> .

ويقول الفضل بن الحسن الطوسي :  
« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي وآخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية إلى  
يوم الدين وهذه فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختص بها من بين  
المرسلين »<sup>(٤)</sup> .

(١) « جامع البيان عن تأويل القرآن » (١٢/٢١) .

(٢) « معالم التنزيل » (٥٣٣/٤) .

(٣) « الكشاف » للزمخشري (٢٦٤/٣) .

(٤) « مجمع البيان في تفسير القرآن » (١٤٨/٢٢) .

ويقول عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي رحمه الله :

« وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ومن قرأ « خاتم » بكسر التاء فمعناه وختم النبيين  
ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين»<sup>(١)</sup> .

ويقول الفخر الرازي رحمه الله :

« وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئاً  
من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق  
على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد الولد ليس له غيره من أحد .  
قوله : « وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » يعني علمه بكل شيء دخل فيه أن لا  
نبي بعده فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد ﷺ بتزوجه بزوجة دعيه  
تكميلاً للشرع »<sup>(٢)</sup> .

ويقول ناصر الدين البيضاوي رحمه الله :

« وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم  
بالفتح »<sup>(٣)</sup> .

ويقول أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي رحمه الله :

« وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » قال ابن عطية : هذه الألفاظ عند جماعة علماء  
الامة خلفاً وسلفاً متلقة بالقبول على العموم التام مقتضية نصاً أنه لا نبي بعده  
ﷺ »<sup>(٤)</sup> .

(١) « زاد المسير » لابن الجوزي (٦/٣٩٣) .

(٢) « التفسير الكبير » للفخر الرازي (٢٥/٢١٤) .

(٣) « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » للبيضاوي (٢/٢٤٧) .

(٤) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي (١٤/١٩٦) .

ويقول النسفي رحمه الله :

« بفتح التاء عاصم يعني الطابع أي آخرهم يعني لا ينبأ أحد بعده »<sup>(١)</sup>.

ومعنى قوله : عاصم ، أي قراءة عاصم .

ويقول الحسين بن محمد القمي النيسابوري :

« ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعده »<sup>(٢)</sup>.

ويقول علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن :

« ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده »<sup>(٣)</sup>.

ويقول أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان :

« وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ».

وقال : « وروي عنه عليه السلام ألفاظ تقتضي نصاً أنه لا نبي بعده ﷺ

والمعنى أنه لا ينبأ أحد بعده »<sup>(٤)</sup>.

ويقول أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله :

« فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول

بالطريقة الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل

رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ

من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم »<sup>(٥)</sup>.

(١) « تفسير النسفي » (٣/٢٣٤) .

(٢) « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان » (١٥/٢٢) .

(٣) كتاب « التأويل في معاني التنزيل » (٣/٦١١) .

(٤) « البحر المحيط » لأبي حيان (٧/٢٣٦) .

(٥) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣/٤٩٣) .

ويقول جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن  
ابن أبي بكر السيوطي :

« وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ منه بأنه لا نبي بعده ﴾<sup>(١)</sup> .

وذكر السيوطي رحمه الله أثرًا عن الحسن أخرج عبد بن حميد أنه قال  
في ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ :

« ختم الله النبيين بمحمد ﷺ وكان آخر من بعث »<sup>(٢)</sup> .

ويقول الخطيب الشربيني :

« أي آخرهم الذي ختم لأن رسالته عامة ومعها إعجاز القرآن فلا حاجة  
مع ذلك إلى استنباء ولا إرسال » .

ثم قال : « ... والحاصل إنه لا يأتي بعده نبي مطلقًا بشرع جديد ولا  
يتجدد بعده مطلقًا استنباء وهذه مثبتة لكونه خاتمًا على أبلغ وجه وأعظمه  
وذلك إنها في سياق الإنكار بأن يكون بينه وبين أحد من رجالهم نبوة حقيقية  
أو مجازية ولو كانت بعده لأحد لم يكن ذلك إلا لولده ولأن فائدة إثبات  
النبي تهيم شيء لم يأت به من قبله وقد حصل به ﷺ التمام فلم يبق بعد  
ذلك مرام « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »<sup>(٣)</sup> .

ويقول أبو السعود محمد العمادي الحنفي رحمه الله :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ إنما كان آخرهم الذين ختموا به »<sup>(٤)</sup> .

(١) « تفسير القرآن العظيم » المعروف بالجلالين (٣/ ١١٠) .

(٢) « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » للسيوطي (٥/ ٢٠٤) .

(٣) « السراج المنير » (٣/ ٢٣٨) .

(٤) « تفسير أبي السعود » (٤/ ٤٢١) .

ويقول محمد جمال الدين القاسمي في كلام له عن الآية :

« فتمت الرسائل برسالته إلى الناس أجمعين وظهر مصداق ذلك بخيبة من ادعى النبوة بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها »<sup>(١)</sup> .

هذه هي أقوال المفسرين رحمهم الله في معنى قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وكلهم أجمعوا كما رأينا على أن معنى الآية الدالة عليه هو أن النبي ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم فبه ختمت النبوة والرسالة فلا يمكن لأحد بعده كائناً من كان أن يزعم أنه يتلقى عن الله وكل من ادعى ذلك فقد زعم أنه يوحى إليه وبالتالي يعتبر قد كفر بعقيدة ختم النبوة ووقع في انحراف خطير يهوي به في المهالك والدمار إن لم يتراجع عنه .

ثانياً : تصريحه ﷺ بأنه مبعوث إلى كافة الناس :

لقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ في كتابه العزيز بأن يقول للناس إنه مبعوث إليهم كافة يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾<sup>(٢)</sup> .

فهذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالته ﷺ إلى الناس جميعاً بمختلف لغاتهم وأجناسهم وألوانهم وهذه هي إحدى الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله إذ كان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجاً إلى من يبلغه أمر الله عز وجل ولثلا يتوهم هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام بين الله سبحانه وتعالى عموم رسالته إلى الناس جميعاً .

(١) « محاسن التأويل » لجمال الدين القاسمي (١٣/٤٨٢٤) .

(٢) الأعراف : (١٥٨) .

وإليك أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية :

يقول أبو جعفر الطبري رحمه الله :

« قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلأ إلى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالته ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم »<sup>(١)</sup> .

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

« يقول تعالى لنييه ورسوله محمد ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ يا أيها الناس ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة » ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وقال بعدها :

« والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كافة »<sup>(٢)</sup> .

وقد وردت آيات أخرى كثيرة تقرر هذا المعنى مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) « تفسير الطبري » (٥٩/٩) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٢٥٤/٢) .

(٣) سبأ : (٢٨) .

(٤) النساء : (٧٩) .



وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وبما أن هذه الرسالة عامة وتخاطب جميع الناس بدون تخصيص أو تقييد فهي إذن تشمل من كان في عهده ﷺ ومن سيأتي بعده وبذلك العموم يتضح أنها خاتمة الرسالات وآخرها إذ لا تحتاج البشرية إلى دين جديد ما دام هذا الدين قد خاطبهم جميعاً ووسعهم جميعاً .

وفي ذلك يقول الزمخشري رحمه الله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ :

« إلا رسالة عامة لهم محيططة بهم لأنهم إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم » (٢) .

ومن هنا نقول إن دعوى المتصوفة تلقي علومهم عن الله مباشرة دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة لأنها ليس لها دليل تعتمد عليه لأن الرسول محمد ﷺ بعث إلى كافة الناس وليس هناك أحد من البشر يتلقى علوماً خاصة به ولخاصة كما يزعم المتصوفة الأفاكون وبهذا بطلت دعوى المتصوفة التلقي عن الله لأن الباب الوحيد الذي يتكلم عن طريقه المخلوق قد أغلق ألا وهو باب النبوة وإلى جانب ذلك فالرسالة المحمدية عامة لجميع البشر .

ثالثاً : من الآيات التي تدل على أن باب النبوة والتلقي عن الله قد أغلق كمال هذا الدين وتمامه وعدم الحاجة إلى الإكمال :

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم بأنه قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا دينه الإسلامي .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

(١) الأنبياء : (١٠٧) .

(٢) « الكشاف » للزمخشري (٧/٢) .

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾ .

في هذا الآية يمن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأنه قد أكمل هذا الدين فلا يحتاج إلى رسول آخر يستدرك عليه شيئاً أو يزيد عليه شيئاً ويذكر سبحانه وتعالى أنها نعمة أنعم بها علينا بإكمال الدين . . ثم رضي لنا هذا الدين الكامل ديناً نتعبد به .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى تحت هذه الآية :

« هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق»<sup>(٢)</sup> .

وقد أخرج الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال :

« أكملت لكم دينكم وهو الإسلام قال أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً وقد رضي الله فلا يسخطه أبداً »<sup>(٣)</sup> .

ويقول سيد قطب رحمه الله عن هذه الآية :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا ﴾ يقول :

(١) المائة : (٣) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (١٢/٢) .

(٣) « تفسير الطبري » (٥١/٦) .

« فأعلن لهم إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معاً فهذا هو الدين ولم يعد لمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين - بمعناه هذا - نقصاً يستدعي الإكمال ولا قصوراً يستدعي الإضافة ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير وإلا فما هو بمؤمن وما هو بمقر بصدق الله وما هو بمرتضى ما ارتضاه الله للمؤمنين »<sup>(١)</sup> .

هذه بعض أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة وكلها تؤكد لنا أن معنى الآية هو أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي أو إلى من يزعم التلقي عن الله علوماً خاصة به ولخاصة يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمل هذا الدين على يد رسول الله ﷺ ثم رضيه له ولأمته ديناً يعبدون الله به إلى يوم القيامة فمن زعم أن هناك لهداية البشر علماً غير كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فقد افترى على الله افتراءً عظيماً ذلك لأن الدين قد كمل كما هو واضح في هذه الآية الكريمة لذا فدعوى الصوفية تلقي العلوم عن الله مباشرة محض افتراء فقط لا أساس له من الصحة ويقولهم هذا يعتبرون مضاهون لمدعي النبوة .

رابعاً : من الآيات التي تدل على ختم النبوة وعدم الحاجة إلى من يزعم التلقي عن الله أو يدعي النبوة صراحة تعهده سبحانه وتعالى بحفظ هذا القرآن الكريم :

لقد تعهد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بحفظ هذا الدين وذلك بحفظ الأصل الذي يستقي منه هذا الدين ألا وهو كتاب الله عز وجل وذلك حتى يبقى هذا الدين على صورته النقية لتتم به الحجة محفوظاً ولئلا يكون

(١) « في ظلال القرآن » لسيد قطب (٢/٨٤٣) .

هناك شك فيه ومن الآيات التي تدل على أن الله تعهد بحفظ هذا الكتاب قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه » (٢) .

ويقول الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

« وهو حافظ له في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأخبار فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فكان التحريف ولم يكل إلى غيره حفظه » (٣) .

وصدق الله العظيم وها نحن الآن نرى القرآن الكريم بين أيدينا محفوظًا يضيء الطريق لكل من أراد الوصول إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى غصًا طريًا كما أنزل لم يزد فيه باطل ولم ينقص منه كما قال الله سبحانه في كتابه : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤) .

وهكذا فلا رسول بعد الرسول محمد يزعم التلقي عن الله من أجل هداية البشر لأن هذا القرآن محفوظ وفيه الهداية والنور لمن أراد أن يهتدي إلى الصراط المستقيم أما المدعون تلقي العلوم عن الله فهم كذبة دجاجلة

---

(١) الحجر : (٩) .

(٢) « تفسير الطبري » (٦/١٤) .

(٣) « الكشاف » للزمخشري (٢/٣٨٦) .

(٤) فصلت : (٤٢) .

متجرؤن على الله وعلى رسوله لأنهم بقولهم هذا يكذبون الله ورسوله وهذا معتقد خبيث لا يقدم عليه إلا من فرغ قلبه من الإيمان بالله ورسوله وإلا فكيف يجروا الإنسان على أن يزعم أنه يتلقى علوماً عن الله مباشرة مع قول الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١) .

وبهذا نكتفي بالنسبة للأدلة القرآنية الدالة على أن النبوة قد ختمت بالرسول محمد ﷺ وبختم النبوة قد أغلق باب زعم التلقي عن الله وعلى هذا يصبح المدعون لتلقي العلوم عن الله كذبة فجرة فسقة دجاجلة ينبغي أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا عن هذه العقيدة الباطلة لأن القول ببقاء الباب مفتوحاً لتلقي العلوم عن الله يساوي القول بعدم ختم النبوة وهذا يفتح الباب لكل دجال أفاك تسول له نفسه ادعاء التلقي عن الله .

ثانياً : الأدلة من السنة على ختم وإغلاق باب التلقي عن الله بعد الرسول محمد ﷺ :

إن المتتبع لأحاديث رسول الله ﷺ سيرى أنها قد أكدت بأن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع بعد الرسول محمد ﷺ بعبارات مختلفة ومتنوعة يصل بعضها إلى حد التواتر وهي في جملتها متواترة تواتراً قطعياً بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده ولا شرع بعد شرعه .

وقد قال بهذا التواتر كثير من العلماء منهم من يلي :

\* فمن العلماء الذين قالوا بتواتر الأخبار عن رسول الله بأنه خاتم

(١) الأحزاب : (٤٠) .

الأنبياء عبد القاهر بن طاهر البغدادي رحمه الله فقد قال :

( وقد تواترت الأخبار عنه ﷺ بقوله : « لا نبي بعدي » )<sup>(١)</sup> .

\* ومنهم ابن حزم رحمه الله فقد قال :

« وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكوف التي نقلت نبوته وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده »<sup>(٢)</sup> .

\* ومنهم الإمام ابن كثير رحمه الله فقد قال في تفسيره :

« وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل »<sup>(٣)</sup> .

\* ومنهم السيوطي رحمه الله فقد قال :

إن حديث « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي » متواتر وكذلك حديث : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » أنه متواتر<sup>(٤)</sup> .

وقد وردت الأحاديث المؤكدة لختم النبوة وانغلاق باب التلقي عن الله سبحانه وتعالى نهائياً بصور شتى وألفاظ متعددة بحيث لا يبقى هناك شك إلى أن باب التلقي عن الله قد أغلق نهائياً .

---

(١) « أصول الدين » للبغدادي (ص ١٦٣) .

(٢) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم (١/٧٧) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٣/٤٩٤) .

(٤) « الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة » للسيوطي (ص ٣٦) .

\* فمن هذه الأحاديث التي تؤكد لنا بأن النبوة قد انقطعت وأنه ليس هناك نبي بعد الرسول محمد ﷺ :

\* ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال : « أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له »<sup>(١)</sup> .

\* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس يبقى بعدى من النبوة إلا المبشرات » قالوا : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »<sup>(٢)</sup> .

\* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « لا يبقى بعدى من النبوة شيء إلا المبشرات » قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » رواه البزار<sup>(٣)</sup> .

\* وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نبوة بعدى إلا المبشرات » قال : « قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة » رواه الطبراني<sup>(٤)</sup> .

\* وعن أم كرز الكعبية رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ذهب النبوة وبقيت المبشرات » رواه الدارمي<sup>(٥)</sup> والحميدي<sup>(٦)</sup> .

(١) « سنن النسائي » (١٨٩/٢) .

(٢) « موطأ مالك مع شرح الزرقاني » (٣٥٣/٤) .

(٣) « مجمع الزوائد » (١٧٢/٧) .

(٤) « مجمع الزوائد » (١٧٣/٧) وقال : رجاله ثقات .

(٥) « سنن الدارمي » (١٢٣/٢) .

(٦) « مسند الحميدي » (١٦٧/١) .

\* ومن الأدلة لختم النبوة الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت اللبنة ! قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » رواه البخاري (١) .

\* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع اللبنة » ثم قال رسول الله ﷺ : « فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » رواه مسلم (٢) .

\* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » رواه أحمد (٣) .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجد أنها تتناول قضية الختم من طريق التمثيل والتشبيه الذي هو أقرب الأساليب إلى الفهم حيث شبه النبي ﷺ النبوة ببيت لبناته هم أنبياء الله عز وجل الذين اختارهم قبل نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأن البيت قد بنى وجمل وكمل ولم يبق فيه إلا موضع لبنة واحدة ولا يزال البيت بدونها ناقصاً فجاء رسول الله ﷺ فكمل ذلك البناء وسد ذلك المكان ولم يبق ثمة موضع آخر للبنة أخرى تجيء بعد كما زعم ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة وبذلك يكون بناء النبوة قد كمل وتم بعد مجيء رسول الله ﷺ الذي قد ختم به ذلك البناء فكان بذلك آخر الأنبياء وبذلك تقرر عقيدة ختم النبوة في نفوس هذه الأمة ولا يبقى هناك

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥٥٩/٦) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٥٢/١٥) .

(٣) « مسند أحمد » (٩/٣) .



مجال للكذب والادعاء بأن أحداً ما يزعم أنه يتلقى العلم عن الله بعد رسول الله وإلا يصبح كاذباً مفترياً على الله .  
يقول ابن حجر رحمه الله :

« وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين »<sup>(١)</sup> .  
ومن الصور التي أكد بها ﷺ بأنه خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده إخباره بعموم رسالته .

لقد أخبر الرسول ﷺ بأنه رسالته عامة لجميع البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم .

\* فمن الأحاديث الدالة على عموم رسالته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » رواه البخاري<sup>(٢)</sup> والنسائي<sup>(٣)</sup> والدارمي<sup>(٤)</sup> .

\* وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي قبلي : نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة

(١) « فتح الباري » (٥٥٩/٦) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤٣٦/١) و« مشكاة المصابيح » (١٦٠١/٣) .

(٣) « سنن النسائي » (٣٢٢/١) مع اختلاف في الترتيب .

(٤) « سنن الدارمي » (٢٠٩/١) .

شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي وبعثت إلى الأحمر والأسود» (١) .

\* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي : أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم...» (٢) .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجدها كلها تدل دلالة صريحة وواضحة على عموم بعثته ﷺ إلى الناس كافة من غير استثناء أو تقييد بزمن دون زمن مما يؤكد أن المراد بذلك العموم هو عموم مكاني بحيث لا يخرج عنه مكان في الأرض كلها وعموم زمني كذلك بحيث يمتد منذ وجوده ﷺ إلى قيام الساعة وهذه الأحاديث نوع آخر من الأدلة النبوية التي تؤكد على أن النبوة قد ختمت وبختم النبوة فقد انقطع الوحي والتلقي عن الله وبذلك يصبح كل من يزعم ذلك مفترياً على الله .

أقوال علماء الأمة الإسلامية رحمهم الله في ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول الله محمد ﷺ :

لقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على القول بختم النبوة برسول الله محمد ﷺ وبختم النبوة فقد انقطع الوحي والتلقي عن الله ولم يبق بين أيدينا شيء نهتدي عن طريقه إلى الطريق القويم إلا كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ .

\* فمن العلماء الذين أكدوا إجماع المسلمين على القول بختم النبوة

(١) « مسند أبي داود الطيالسي » (١٢٢/٢) .

(٢) « مجمع الزوائد » للهيتمي (٣٦٧/١٠) .

برسول الله ﷺ البغدادي رحمه الله فقد قال :

« أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين محمد ﷺ » (١) .

وقال أيضاً : « كذلك كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقر بتأييد شريعته ومنع من نسخها » (٢) .

\* ومن العلماء الذين ذكروا الإجماع على القول بأن الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده القاضي عياض فقد قال رحمه الله :

« أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص » (٣) .

\* ومن العلماء الذين أكدوا ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول الله ﷺ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد قال :

« ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلا جميع الثقلين جنهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده كان من نعم الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه » (٤) .

ويقول ابن خلدون رحمه الله وهو يتحدث عن معاني الختم :

(١) « أصول الدين » للبغدادي (ص ١٥٩) و« الفرق بين الفرق » (ص ٣٣٢) .

(٢) « أصول الدين » (ص ١٦٢) .

(٣) « الشفا » (٢/ ٢٧٠) .

(٤) « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٦٣) .

« ويطلق على النهاية والتمام ومنه الأمر إذا بلغت آخره وختمت القرآن ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر » (١) .

ويقول زين العابدين بن نجيم :

« إذا لم يعرف المسلم أن محمداً آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات » (٢) .

ويقول القسطلاني :

« إن الوحي منقطع بموته ﷺ » (٣) .

ويقول سعد الدين التفتازاني :

« قد دلت النصوص وانعقد الإجماع أنه مبعوث إلى الناس كافة بل إلى الثقليين لا إلى العرب خاصة وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده ولا نسخ لشريعته » (٤) .

ويقول إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان عن قوله تعالى :

﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ :

« وكان آخرهم الذي ختموا به » (٥) .

\*\*\*

---

(١) « المقدمة لابن خلدون » (ص ٢٦٤) .

(٢) « الأشباه والنظائر » (ص ١٣٨) .

(٣) « إرشاد الساري » (١٠/١٢٨) .

(٤) « شرح المقاصد » (٢/١٩١) .

(٥) « روح البيان » (٣/١٢٢) .



## المبحث الثاني

اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء  
لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا  
الكون ويتحكمون فيه  
وتحت مطلبان :

المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم عندهم  
وذكر نماذج من النصوص عنهم  
ثبت بأنهم يعتقدون أن للأولياء  
تصرفاً في هذا الكون .

المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من هذه  
المراتب وممن يدعي التصرف  
لغير الله .



## المطلب الأول

مراتب الألياء ووظائفهم وذكر نماذج من النصوص

عنهم ثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفاً

في هذا الكون

لقد اخترع الصوفية وابتدعوا من عند أنفسهم مراتباً وألقاباً من عند أنفسهم لمن يصفونهم بأنهم أولياء الله بقطع النظر عن الشخص الذي يصفونه بهذا الوصف وهل هو مستحق لهذا الوصف العظيم وهو وصف ولي الله أو غير مستحق ذلك لأن إطلاق هذا اللفظ على شخص بعينه فيه شهادة له وتأکید بأنه من المرضي عنهم دنيا وأخرى وهذا فيه جرأة عظيمة على الله ولو لاحظنا غالب من يعتبرهم المتصوفة بأنهم أولياء الله نجد بأنهم أصحاب دجل وكهانة وشعوذة وبدع وخرافات ويظهر هذا لكل من يقرأ في كتبهم ويلاحظ سلوكهم .

ومن جملة البدع التي ابتدعتها المتصوفة هي إحداث ألقاب لمن يطلقون عليهم أولياء الله فقد ذكر الصوفية ألقاباً لأولياء الله لم ترد في الكتاب ولا في السنة وإنما أتوا بها من عند أنفسهم وإليك هذه المراتب والألقاب والوظائف التي ذكرها الصوفية في كتبهم .

أولاً : مراتب الأولياء عند الصوفية :

\* فمن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب والألقاب والوظائف محيي



الدين بن عربي والذي يصفه الصوفية بأنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر فقد قال متحدثاً عن مراتب الأولياء عند الصوفية :

« فمنهم الأقطاب ومنهم الأئمة ومنهم الأوتاد ومنهم الأبدال ومنهم النقباء ومنهم النجباء ومنهم الرجيسيون ومنهم الأفراد وما فيهم طائفة إلا قد رأيت منهم وعاشرتهم ببلاد المغرب وبلاد الحجاز والشرق »<sup>(١)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب لأولياء الصوفية لسان الدين الخطيب فقد قال متحدثاً عن هذه المراتب :

« خواص الله في أرضه ورحمة الله في بلاده على عباده : الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء وسيدهم الغوث »<sup>(٢)</sup> .

وكما نلاحظ فقد ذكر لسان الدين نفس المراتب التي ذكرها محيي الدين بن عربي وزاد عليها لقبين ومرتبتين وهما العرفاء والغوث وليس هذا بغريب عند المتصوفة لأنهم يتكلمون بأهوائهم ومن يتكلم بهواه فالاختلاف ليس بغريب عليه .

\* ومن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب والألقاب لأولياء عند المتصوفة الهجويري حيث قال متحدثاً عن هذه المراتب والألقاب :

« هم أهل الحل والعقد وقادة حضرة الحق جل جلاله فثلاثمائة يدعون الأخيار وأربعون آخرون يسمون الأبدال وسبعة آخرون يقال لهم الأبرار وأربعون يسمون الأوتاد وثلاثة آخرون يقال لهم النقباء وواحد يسمى القطب والغوث وهؤلاء جميعاً يعرفون الآخر ويحتاجون في الأمور

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢٤٤) .

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص٤٣٢) .

لأذن بعضهم البعض» (١).

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الهجويري ذكر ألقاباً ومراتب لم يذكرها محيي الدين بن عربي ولسان الدين الخطيب فقد أتى بلقبَي الأخيَّار والأبرار وهذان لقبان تفرد بهما عن سبق ذكره ولا عجب في ذلك فكل الألقاب أتى بها المتصوفة من عند أنفسهم ومن يتبع هواه يقول ما يريد لأنه ليس له عاصم يعصمه من القول على الله بغير علم .

هذه هي المراتب التي ذكر الصوفية في كتبهم لأولياء الله سبحانه وتعالى وهذه المراتب والألقاب التي ذكرها الصوفية إذا عرضناها على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ نجد أنها لم ترد فيها نهائياً وبما أن المقصود هنا في هذا المطلب إقامة الحجة على أن الصوفية بالفعل ابتدعوا مراتب وألقاباً لأولياء الله من عند أنفسهم وقد أثبتنا هذا فلتترك الرد لحينه لأنه سيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث إن شاء الله تعالى (٢) .

**ثانياً : معاني هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبة عند الصوفية:**

لقد وضح مشائخ الصوفية معاني هذه الألفاظ ووظيفة صاحب كل مرتبة توضيحاً شافياً لا غموض فيه .

ولنبداً بمعنى كلمة القطب أو الأقطاب ووظائفهم عند الصوفية .

**القطب :**

لقد تكلم كثير من مشائخ الصوفية عن معنى القطب عندهم ومن جملة المشائخ الذين تكلموا عن القطب والأقطاب محيي الدين بن عربي فقد قال

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (ص ٤٤٧ - ٤٤٨) .

(٢) انظر (ص ٦٦٩ - ٦٧٤) .

متحدثًا عن الأقطاب :

« الأقطاب جمع قطب وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم ويقال الغوث وهو على قلب إسرائيل »<sup>(١)</sup> .

وقد تحدث ابن عربي أيضًا عن أسماء القطب وأوصافه فقال :

« إن اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح ورغبا محبا للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له »<sup>(٢)</sup> .

وقد أكد محيي الدين بن عربي أن الأقطاب لم يخل منهم زمان منذ أن خلق الله البشرية وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن الأقطاب لا يخلو عصر منهم وجملة الأقطاب المكملين من الأمم السالفة من عهد آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ خمسة وعشرون قطبًا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم : الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والماضي والماحق والعاقب والمنحور وسجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والمراجع والطيّار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢٤٤) .

(٢) « البواقيت والجواهر في عقيدة الأكاابر » (٢/٧٩) .

والهادي والأصلح والباقي فهؤلاء هم الأقطاب الذين سموا لنا من آدم إلى محمد وأما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حيث النشوء الإنساني إلى يوم القيامة فهو روح محمد ﷺ» (١) .

وقد زعم ابن عربي أن لكل إقليم أو قرية قطباً صغيراً ينوب عن القطب الكبير فقال :

« واعلم أن لكل بلد أو قرية أو إقليم قطباً غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفاراً وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه » .

وقال ابن عربي أيضاً :

« قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحي حين تدور على قطبها وهو عبد الله بن الأستاذ ببلاد الأندلس صحبته زماناً طويلاً وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار عليّ أن أستره عن الحاضرين ففعلت » (٢) .

وقد تحدث التيجاني عن حقيقة القطبانية في المفهوم الصوفي فقال :

« إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالى فلا يصل إلى الخلق شيء

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الاكابر » (٨٢/٢) .

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الاكابر » (٨٣/٢) .

كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود فترى الكون أشباحًا لا حركة وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ثم تصرفه في مراتب الأولياء فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها به يرحم الوجود وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجوده في الوجود .

حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلية ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده»<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن المتصوفة يعتبرون القطب هو المتصرف الوحيد في هذا الكون لأنه نائب عن الله .

ويدعي محيي الدين بن عربي بأنه اجتمع بالأقطاب الذين كانوا في الأمم السابقة في البرزخ فيقول تحت عنوان :

### أقطاب الأمم السابقين :

« وأما أقطاب الأمم المكملين في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماءهم باللسان العربي لما أشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة في مشهد قدس ثم ذكر أسماءهم »<sup>(٢)</sup> .

### مدة حكم القطب :

يعتقد الصوفية بأن القطب ليست له مدة معينة لحكمه وأنه يمكن

(١) « جواهر المعاني » (٢/ ٨٠) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/ ٢٤٧) .

حسب المدة التي قدرها الله له وفي هذا يقول محيي الدين بن عربي :

« ليس للقرب مدة معينة فقد يمكث القرب في قطبته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها » .

وقال ابن عربي أيضاً :

« إن كل قرب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القرب من الحكم والتأثير في العالم .

فمن الأقطاب من يمكث في قطبته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فإنهم كانوا أقطاباً بلا شك »<sup>(١)</sup> .

العلامة التي يتميز بها القرب عن غيره من البشر :

لقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي أن للقرب خمسة عشر علامة

وهي :

« أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه حكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه »<sup>(٢)</sup> .

(١) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكاير » (٨٣/٢) .

(٢) نفس المرجع (٧٩/٢) .

كما نرى في النص السابق فقد وصف أبو الحسن الشاذلي القطب بأوصاف لا تليق إلا باللَّه عز وجل وعلى هذا يعتبر المتصوفة القطب مساوياً لله سبحانه وتعالى في علمه وصفاته وتصرفه في هذا الكون وهذا غلو شديد يؤدي بمن يعتقدُه إلى الخروج كلية عن الإسلام لأن من يعتقد بأن القطب يتصف بهذه الأوصاف المذكورة في النص السابق فقد اتخذهُ رباً وإلهاً مع الله وهذا شرك عظيم .

وبالجملة إذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نخرج بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن كل هذا الكون وتصريفه بيد القطب وكأنه الوزير النائب عن الله فلا يكون شيء في هذا الكون إلا عن طريق القطب الصوفي المزعوم والذي لا وجود له في الحقيقة وإنما وجوده في خيال المتصوفة فقط وليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة .

وبهذا نكتفي في مجال القطب ونتقل إلى المرتبة الثانية من المراتب التي وضعها الصوفية للأولياء وهي مرتبة البديلة .

### المرتبة الثانية : البدل أو البدلاء :

يعتقد الصوفية أن هناك رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظون هذه الأقاليم السبعة أي القارات التي يعيش فيها هذا العالم وأن كل بدل مكلف بإقليم واحد يحفظه من كل سوء ويحميه .

وإليك نصوص من بطون كتبهم :

فقد قال محيي الدين بن عربي متحدثاً عن الأبدال :

« أما الأبدال فهم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك على

صورته جسداً أي شبحاً يحيا بحياته ويظهر بأعمال أصله » .

وقال أيضاً في مكان آخر :

« اعلم أن ثم رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع ولكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين »<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عربي أيضاً متحدثاً عن الأبدال :

« وهذه الجملة أي السبعة هم الأبدال وقالوا سموا أبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله .

وقيل سموا بذلك لأنهم أعطوا من المقدرة والقوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون لآخر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد »<sup>(٢)</sup> .

وقال صاحب كتاب «معجم مصطلحات الصوفية في وصف الأبدال» :

« هم سبعة رجال فمن سافر منهم عن موضعه وترك جسداً على صورته حيا بحياته ظاهراً بأعمال أصله بحيث لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير وهو في تلبسه بالأجساد والصور على صورته على قلب إبراهيم عليه السلام »<sup>(٣)</sup> .

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣٧٦/٢) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٤٠٠/٢) .

(٣) « معجم مصطلحات الصوفية » (ص ٩٢) .



وقال أبو عثمان القسيري : البدلاء أربعون والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة ثلاثة والواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعاً ومشرف عليهم ولم يعرفه أحد ولا يتشرف عليه وهو إمام الأولياء فالثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة ويعرفون الأربعين وهم البدلاء والأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأئمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد فإذا نقص واحد من الأربعين أبدل مكانه من الأولياء»<sup>(١)</sup> .

### المرتبة الثالثة : مرتبة الوتد أو الأوتاد :

يعتقد الصوفية بأن هناك مرتبة للأولياء تسمى الأوتاد ويعتقد المتصوفة بأن هؤلاء الأوتاد يحفظون هذا الكون الذي نعيش فيه .

قال صاحب « معجم مصطلحات الصوفية » عن الأوتاد :

« الأوتاد هم أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة ويحفظ الله بهم تلك الجهات لكونهم مجال نظره تعالى والولي يتنور بصورهم فيكلم الناس في الباطن والظاهر ويخبرهم»<sup>(٢)</sup> .

وقد تحدث محيي الدين بن عربي عن الأوتاد فقال :

« وأما حديث الأوتاد الذين يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم للعالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الأبدال والإمام أخص منهم والقطب هو أخص الجماعة » .

ثم قال في وصف الأوتاد :

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحقي (ص ٩٢) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٤) .

« واعلم أن هؤلاء يحوون على علوم جمّة كثيرة فالذي لا بد لهم من العلم به وبه يكونون أوتاداً فما زاد من العلوم فمنهم من نه خمسة عشر علماً ومنهم من له ولا بد ثمانية عشر علماً ومنهم من له واحد وعشرون علماً ومنهم من له أربعة وعشرون علماً .

ولكل وجهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته»<sup>(١)</sup>.

المرتبة الرابعة : من المراتب التي ابتدئها المتصوفة للأولياء مرتبة الأفراد :

وقد تكلم محيي الدين بن عربي عن الأفراد وأطال الحديث عنهم فقال :

« أما الأفراد فهم الخارجون عن دائرة القطب وهم الذين على بينة من ربهم وهم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية » .

وقال في وصفهم أيضاً :

« الأفراد لهم الأولوية في الأمور فالإنكار ليس من شأنهم فإن لهم الأولوية في الأمور فهم ينكر عليهم ولا ينكرون » .

قال الجنيد :

« لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم » .

ثم قال : « الأفراد هم أصحاب العلم الباطن »<sup>(٢)</sup> .

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/٤٠١) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢٤٤) .

وكما نلاحظ في النص السابق أصحاب هذه المرتبة من مراتب الأولياء لا يخضعون لحكم القطب بل هم خارجون عنه وأن من صفاتهم لا ينكرون المنكر وأنه لا يبلغ أحد هذه الدرجة حتى ينكر عليه الصديقون أفعاله لأنه مخالف لأحكام الشريعة وهو يفعل ذلك لأنه عنده علم الحقيقة الذي لا يعلمه إلا من وصل هذه الدرجة ألا وهي درجة الانحلال الكلي ورمى الشريعة جانباً والعمل حسب ما يأمرهم به علمهم الباطن الذي تلقوه عن إبليس قائدهم الكبير إلى مخالفة أمر الله وعصيانه والعمل على إضلال عباده.

**المرتبة الخامسة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء**  
**مرتبة النقباء :**

ولقد عرف النقباء صاحب كتاب « معجم مصطلحات الصوفية » فقال :  
« أما النقباء فهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وأشرفوا على الضمائر لتحققهم بالعبودية »<sup>(١)</sup>.

إذاً النقباء هم الذين يعرفون ما في الضمائر ومعنى ذلك هم الذين يعلمون الغيب .

**المرتبة السادسة : من المراتب التي وضعها الصوفية مرتبة النجباء**  
وقد عرفهم صاحب كتاب « معجم مصطلحات الصوفية » بما يلي  
فقال :

« أما النجباء فهم أربعون شخصاً مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا

---

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » لحقي (ص ٢٥٨) .

يتصرفون في حق أنفسهم بل في حق غيرهم»<sup>(١)</sup> .

المرتبة السابعة : من المراتب التي وضعها الصوفية وابتدعوها من عند أنفسهم مرتبة الأئمة :

وقد تحدث محيي الدين بن عربي عن هذا عند المتصوفة فقال :

« أما الأئمة فهما إمامان أحدهما عن يمين القطب ونظره في عالم الملكوت واسمه عبد الرب والآخر عن يساره ونظره في عالم الملك واسمه عبد الملك وهو الذي يخلف القطب إذا درج »<sup>(٢)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن المتصوفة يقصدون بلفظ الأئمة الإمامين اللذين يجلسان عن يمين القطب ويساره وهذا حسب زعمهم وإلا فلا وجود أصلاً للقطب المزعوم فضلاً عن أن يكون له إمامان يجلسان بجنبه .

وهناك درجة أخرى من الدرجات التي وضعها المتصوفة لمن يسمونهم أولياء الله وهي مرتبة المجازيب .

وقد تحدث صاحب كتاب « عوارف المعارف » على هذه المرتبة فقال :

المجذوب المجرد : وهو الذي يبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب ولا يؤاخذ في طريق السلوك والمعاملة وهذا لا يؤهل المشيخة .

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » لحقي (ص ٢٥٥) وكذلك « الفتوحات المكية » (٣/٢٤٤) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢٤٤) .

وهناك درجة السالك المتدارك وهو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكابدة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم . وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب المشادة فوجد دواءه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب ومثل هذا يؤهل للمشيخة .

وهناك المجذوب المتدارك بالسلوك وهو الذي يبادئه الحق بأنوار الكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحلال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلناً :

« لا أعبد رباً لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير عناء ومكابدة بل بلذاذة وهناء ويصير قلبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كإجابة قلبه . . . ويصح أن يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فعند ذلك يطلق من وثائق الحال ويكون مسيطراً على الحال . . وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة وهذا هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحجوب المعتمق نظره دواء وكلامه شفاء »<sup>(١)</sup> .

والخلاصة التي توصلنا إليها من خلال كلامنا عن مراتب الصوفية التي وضعوها للأولياء هو أن الصوفية كونوا مملكة بشرية وهمية وزعموا أن هذه المملكة هي التي تسير هذا الكون بكامله فلا يقع في هذا الكون أمر من

---

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي الملحق بكتاب « الإحياء » (ص ٥٧) .

الأمر إلا عن طريق هذه المملكة المزعومة وأن هذه المملكة لها التصرف المطلق في هذا الكون فهي التي تحفظه من المهالك وعن طريقها يرزق كل ما في هذا الكون وهذا واضح جداً في النصوص السابقة التي أوردتها عن أئمة التصوف وبهذا نصل إلى نتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن هناك بشراً شركاء لله في تدبير هذا الكون وتسييره والحقيقة فيما أعلم هذا شرك انفرادي به المتصوفة من بين الفرق والطوائف بل وأصحاب الأديان المختلفة وذلك لأنه حتى الكفار الذين بعث إليهم الرسول محمد ﷺ لم يكونوا يقولون أن الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله لها المشاركة مع الله في التصرف في هذا الكون وإنما كانوا يقولون إنها وسائط فقط ولذا نقول فاق المتصوفة المشركين الأوائل في الشرك بالله وسأزيد هذا الموضوع توضيحاً فيما يلي بإيراد حكايات عن أئمة التصوف تثبت لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن مشائخهم لهم التصرف الكامل في هذا الكون .

ثانياً : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التي ألفها أئمة جهابذة عندهم تثبت لنا أن الصوفية بالفعل يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون

لقد بينا فيما سبق في الفقرة الأولى مراتب الأولياء ووظائفهم عند الصوفية وأثبتنا بإيراد نصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسييره مجموعة من البشر أطلق عليهم المتصوفة الألقاب التي ذكرناها وأنه لا يقع في هذا الكون أي أمر إلا عن طريق هؤلاء الأولياء المزعومين<sup>(١)</sup> والآن في هذه الفقرة نريد أن نبين ونوضح أكثر بإيراد حكايات من بطون كتبهم لكي نثبت ونؤكد ونوضح أكثر اعتقاد المتصوفة التصرف المطلق للأولياء في هذا

(١) انظر (ص ٦١٨ - ٦٤٨) .

الكون وحتى نقطع الحجة على كل متنطع صوفي تسول له نفسه أن يقول أن هذا لم يقله المتصوفة وإنما هو مفترى عليهم .

والآن أشرع في سرد جملة يسيرة من تلك الحكايات :

يقول يوسف النبهاني في معرض حكاياته لكرامات الأولياد أن عبد الله ابن علوي ابن الأستاذ الأعظم من كراماته أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب فتواجد صاحب الأبيات وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال للرجل أعد الأبيات فقال الرجل بشرط أن تضمن لي الجنة فقال : ليس ذلك إلي ولكن اطلب ما شئت من المال فقال الرجل : ما أريد إلا الجنة وإن حصل لنا شيء ما كرهننا فدعا له بالجنة فحسنت حالة الرجل وانتقل إلى رحمة الله وشيعه السيد عبد المذكور وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر فسئل عن ذلك فقال : إن الرجل لما سأله الملكان عن ربه قال شيخي عبد الله بن علوي فتعبت لذلك فسألاه أيضاً فأجاب بذلك فقال مرحباً بك وبشيخك عبد الله يا علوي قال بعضهم هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن معرفة شيخ الطريقة من الطرق الصوفية تغني عن معرفة الله ورسوله وأنه كفيل لكي ينجي مريده من عذاب النار ويدخله الجنة وأن شيخ أي طريقة صوفية يستطيع أن يحفظ مريده حياً وميتاً وعلى هذا فلا حاجة للتعب والسهر في تلاوة كتاب الله ومعرفة معانيه ولا في دراسة سنة رسوله محمد ﷺ وهذه دعوى صريحة للقضاء على الدين الإسلامي كله وتحويل البشرية إلى عبادة البشر الذين يطلق عليهم المتصوفة أنهم أولياء .

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/ ٢٤٤ - ٢٤٥) .

وقال النبهاني أيضاً :

« ومنهم الشيخ عبد الله أحد أصحاب سيدي عمر النبيّ كُتب لي أنه رأي بحضرة رسول الله وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب ألبس عبد الوهاب الشعراني طاقتي هذه وقل له يتصرف في الكون فما دونه مانع »<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص كما هو واضح ولا يحتاج إلى شرح وإيضاح هو أن رسول الله ﷺ قال للشعراني :

« تصرف في هذا الكون وأنه ليس هناك أي مانع يمنعه من التصرف فيه ومعنى ذلك أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في هذا الكون وهذا شرك بالله تعالى لم يصل إليه المشركون الأوائل الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ » .

وقال النبهاني أيضاً :

« قال عبد الله اليافعي الغوث<sup>(٢)</sup> : روى عن بعض الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولداً ذكراً فقال : إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار فسلم إليه ذلك ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له : يا سيدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي إلا أنثى فقال له الشيخ : الدنانير التي سلمتها ناقصة فقال : يا سيدي ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً فقال له الشيخ : ونحن أيضاً ما أنقصناك إلا شيئاً يسيراً فإن

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/٢٧٥) .

(٢) هو عفيف الدين بن عبد الله البافعي اليميني وهو يعتبر من كبار مشائخ الصوفية توفي

(٧٦٨هـ) .



أحبت أن نوفي لك فأوف لنا فقال : نعم يا سيدي ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان فقال له الشيخ : اذهب فقد أوفيناك كما أوفيت فرجع إلى منزله فوجد غلاماً بقدره الله تعالى وإكراماً لأوليائه عز وجل (١) .

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء لهم التصرف مع الله في هذا الكون وأنهم باستطاعتهم أن يعطوا الأولاد حسب الطلب بل ويستطيعون تغيير الأثنى إلى ذكر كما فعل هذا الولي الذي أورد عنه هذه الحكاية وتركها هكذا بلا تعليق ومعنى ذلك أنهم يؤمنون ويدينون ويعتقدون في الأولياء أن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وهذا مخالفة صريحة لما جاء في كتاب الله حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه هو وحده المعطي للأولاد ذكوراً وإناثاً وأنه يجعل البعض عقيماً لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى ويتضح لنا هذا في قوله سبحانه : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۖ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ . (٢)

ومن هنا نقول إن الاعتقاد بأن أحداً ما من المخلوقات كائناً من كان باستطاعته إعطاء الأولاد يعتبر شركاً صريحاً بالله سبحانه وتعالى وذلك لأن من العقائد الضرورية المعلومة لدى جميع المسلمين الذين سلموا من خرافات الصوفية ومتهاتهم أن التصرف في هذا الكون هو لله وحده لا شريك له ولا يشركه في هذا لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا جني ولا ولي من أولياء الله الحقيقيين فضلاً عن أن يشركه فيه دجاجة المتصوفة وقال

(١) « نشر المحاسن الغالية » (ص ٢٢) .

(٢) الشورى : (٤٩ - ٥٠) .

النبهاني أيضاً : «ومن جملة القصص المشهورة أن الفقيه إسماعيل الحضرمي رضي الله عنه أنه قال يوماً لخدامه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل إلى منزله وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها فقال لها الخادم قال لك الفقيه إسماعيل قفي له فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في الحال» (١) .

ثم ذكر بأن بعض المتصوفة قال :

« لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ وقال آخر منهم منكرًا لهذا القول المذكور :

« لو كان شيخاً ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة » (٢) .

والشاهد من النصين السابقين واضح جداً حيث إن الولي الأول أوقف الشمس عن السير ثم أطلق سراحها ولم يوقفها بنفسه بل أمر تلميذه أن يقول لها إن الشيخ يأمرك أن تقفي ، فوقفت وهذا اعتقاد تصرف لغير الله في هذا الكون .

أما النص الثاني فالشاهد فيه أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل حتى أنهم يستطيعون أن يمحو الخطايا والذنوب التي وقع فيها أتباعهم من اللوح المحفوظ ورأى أحد المتصوفة أن وقوع المريد في الذنب يعتبر نقصاً في شيخه وذلك لأنه لو كان شيخاً حقيقة لما وقع مريده في الخطيئة ومعنى ذلك أن الولي يحفظ مريده من الوقوع في المعاصي ويعصمه وهذه عقائد فاسدة وذلك لأن فيها دعوى بأن البشر لهم حق التصرف في هذا الكون .

(١) « نشر المحاسن الغالية » (ص ٣٣) .

(٢) « نشر المحاسن الغالية » (ص ٦٨) .

وقال النبهاني :

« عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين كان له خوارق مدهشة ومنها أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته وكل من تعرض له بسوء قتله في الحال دخل مرة الجعفرية فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه فقال : يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى أجمعين وقال له بعض القضاة : اسكت فقال له : اسكت أنت فخرس وعمي وصم وسافر في سفينة فوحت ولم يمكن تقويمها فقال : اربطوها بخيط في يبضي ففعلوا فجرها حتى خلصها من الوحل »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « زين العابدين بن عبد الرؤوف المناوي من أكابر الأولياء وأعيان الأصفياء . . . حدث الحمصاني وهو أحد المشايخ العارفين قال : رأيت طعيمة الصعيدي المصري وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح وأمامه إنسان كالنور أو نور كالإنسان قلت : ما هذا قال زين العابدين المناوي وقد وكل بأهل البرزخ »<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً : « عبد الرحمن بن أحمد الجامي ، ومن كراماته أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء فأخذها مولانا الجامي ومسح بيده ظهرها فظهر أثر الحياة فيها ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا »<sup>(٣)</sup> .

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/٢٨٦) .

(٢) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/٨٤) .

(٣) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢/٢٥٤) .

والشاهد في النصوص السابقة واضح جداً فقد زعم النبهاني في النص الأول أن ذلك الولي الصوفي كان يأمر بنزول المطر فتمطر وأنه كان يقتل فوراً كل من يتعرض له بسوء حالاً وأنه أمر ملك الموت أن يقتل أربعين طفلاً ضحكوا عليه فقبض أرواحهم .

أما في النص الثاني فقد زعم فيه النبهاني أن زين العابدين موكل بأهل البرزخ .

وأما في النص الثالث فقد زعم فيه النبهاني أن الجامي الولي الصوفي أحيا الميت .

وهذه كلها نخرج منها بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف المطلق في هذا الكون وذلك لأن هذه الأمور التي أوردها النبهاني لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى أما غيره من المخلوقات فليس هذا من اختصاصاتهم ومن ادعى أن المخلوق له التصرف مع الله في هذا الكون فقد وقع في الشرك الذي لا يغفر لصاحبه إلا إذا تاب منه .

وقال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء ومقدرتهم على التصرف عند المتصوفة :

« ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه كان رضي الله عنه من أجلاء مشائخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية . . . وكان رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاعة من الأسواق وغيرها . . . وكان سيدي بن علي بن وفا رضي الله عنه يوماً في وليمة فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي فقام له وأجلسه فدار الكلام بينهما فقال

سيدي علي ما تقول في رجل رحي الوجود بيده يدورها كيف شاء فقال له سيدي محمد رضي الله عنه فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور فقال له سيدي علي : والله كنا نتركها لك ونذهب عنها فقال محمد رضي الله عنه لجماعة سيدي علي : ودعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريباً إلى الله تعالى فكان الأمر كما قال وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها ثم يصغر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالته المعهودة . . . ومرضت زوجته فأشرفت على الموت فكانت تقول يا سيدي أحمد يا بدوي خاطرك معي فرأت سيدي أحمد رضي الله عنه في المنام وهو ضارب لثامين . . . وقال لها كم تناديني وتستغيثي وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين ونحن لا يخيب من دعانا وهو في موضع أحد من الرجال قولي يا سيدي محمد يا حنفي يعافيك الله تعالى فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض .

ودخلت على الشيخ يوماً امرأة أمير فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه فأنكرت بقلبها عليه فلحظها الشيخ بعينه وقال لها انظري فنظرت فوجدت وجوههن عظاماً<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص واضح حيث أن كلا الزعيمين الصوفيين ادعيا أنهما يتصرفان في هذا الكون حيث ادعى أحدهما أن رحي هذا الوجود بيده يدورها كيف شاء .

وادعى الآخر أنه باستطاعته بوضع يده فقط على كل الموجودات في

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٨٨/٢) وما بعدها وكذلك « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢٦١/١) .

هذا الكون أن يوقفه عن الحركة والدوران .  
ومعنى هذا أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في  
هذا الكون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان .

وهناك شواهد كثيرة في النص منها زعم أحمد الرفاعي أنه لا يخيب  
من دعاه وأن امرأة دعت محمد الحنفي فبرئت في الحال وأن امرأة دخلت  
عليه فوجدت عنده نساء فأنكرت هذا الفعل بقلبها فقط فأنكرت عليه فعرف  
الشيخ منها هذا الإنكار وأمرها بالنظر إلى تلك النسوة فرأت وجوههن عظاماً  
لا لحم فيها وهذه كلها فيها ادعاءات على أن الأولياء لهم التصرف في هذا  
الكون وما داموا كذلك فلا ينكر عليهم أيضاً مهما وقعوا في منكرات من  
الأعمال وإلا فقد عرض نفسه للخطورة كل من يريد أن ينكر عليهم .

وقال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء عند المتصوفة :

« ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني . . . كان من أكابر العارفين  
وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة  
بطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت :  
هذه ثلاثون ديناراً أو تضمن الجنة ، فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطاً  
لها : ما يكفي ، فقالت : لا أملك غيرها فضمن لها على الله دخول الجنة  
فماتت فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون ديناراً من الشيخ وقالوا : هذا  
الضمان لا يصح فجاءتهم في المنام وقالت : اشكروا لي فضل الشيخ فإنني  
دخلت الجنة فرجعوا عن الشيخ »<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص واضح حيث إنه ضمن لها الجنة وأدخلها فيها وهذا

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٠١/٢) و« جامع النبهاني » (٤٣٦/٢) .

فيه ادعاء على أن الأولياء لهم التصرف في الدنيا والآخرة ونحن نقول لا يستطيع أحد أن يدخل الجنة بعمله الصالح إلا أن يتغمده الله برحمته فضلاً عن أن يدخل الجنة عن طريق شيخ دجال وقد قال الرسول ﷺ وهو أفضل الخليقة على الإطلاق « لا يدخلن أحدكم بعمله الجنة » فقالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » (١) .

فإذا لم يضمن الرسول الجنة لنفسه فكيف بغيره دعوى إدخال الجنة وضمانيها لأحد من الخلق .

وقال الشعراني أيضاً :

« ومنهم الشيخ الخضري رضي الله عنه المدفون بناحية نها بالغربية وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلدًا . . . وكان يقول لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام وكان يقول الأرض التي بين يدي كالإناء الذي أكل منه وأجساد الخلق كالقوارير أرى ما في بواطنهم توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي الله عنه » (٢) .

والشاهد في النص السابق واضح حيث ادعى الرجل بأن الرجل لا يكون كاملاً حتى يكون مقره الدائم تحت عرش الله وأن هذه الأرض التي نعيش فيها هي بين يديه كالإناء وأنه يرى ويشاهد كل ما في ضمائر الخلق فلا تخفى عليه خافية وهذه الأمور التي ادعاها لا تليق إلا بالله وبما أن الصوفية قالوا : إن الأولياء لهم المقدره على التصرف في هذا الكون فلا مانع لديهم أن يصفوهم بهذه الأوصاف لأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء لله

(١) سبق تخريجه انظر (ص ٤٨١) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٠٦/٢) .

في التصرف في هذا الكون .

وحكى أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما :

« أن أبا تراب النخشي كان معجباً ببعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجده فقل أبو تراب يوماً : لو رأيت أبا يزيد فقال : إني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد قال أبو تراب : فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت : ويلك تعزز بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال : وكيف ذلك؟! قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت <sup>(١)</sup> .

فالنص السابق يحتوي على عقائد كثيرة باطلة منها ادعاء الصوفي أنه رأى الله في الدنيا وهذا لم يكن للأنبياء فكيف حصل لهذا الصوفي المخرف؟! ثم تفضيل أبي تراب رؤية أبا يزيد على رؤية الله واعتباره الاعتزاز برؤية الله غروراً وأخيراً النص فيه القول بعقيدة الحلول وهذه كلها عقائد باطلة بعيدة عن الإسلام كل البعد .

وحكى أبو القاسم القشيري أن شقيقاً البلخي وأبا تراب النخشي قدما على أبي يزيد البسطامي فقدمت السفارة وشاب يخدم أبا يزيد فقال له : كل معنا يا فتى فقال : أنا صائم فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال له شقيق : كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد : دعوا من سقط

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (١٣٩/٢) و« الإحياء » (٣٠٥/٤) .



من عين الله فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده» (١).

والشاهد في النص هو أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يستطيعون إعطاء الأجر بأضعاف مضاعفة لكل من أطاع أوامرهم ولو كان ما يأمر به تلاميذهم مخالفاً لشرع الله وإن كل من خالف أوامرهم فإلخاتمة السيئة له حتمية لا مفر منها كما حصل لهذا الخادم المسكين الذي خالف أوامر شيخه وأطاع ربه ونحن نقول : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالواجب على المسلم أن يطيع الله ورسوله ولا يطيع أحداً غيرهما إلا إذا أمره بمعروف أما إذا أمره بمنكر كما حصل لهذا التلميذ فعليه أن يعصيه كائناً من كان فليس عندنا نحن المسلمين الطاعة المطلقة إلا لله ولرسوله أما الآخرون من المخلوقات فلا طاعة لهم إلا إذا دعوا إلى طاعة الله ورسوله .

وكذلك نقول : إن توزيع الأجر ليس بيد أحد غير الله سبحانه وتعالى فهو الذي يثيب عباده على أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا خالصة له سبحانه أما غيره من المخلوقات فلا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن أن يملكه لغيره ويوزع الأجر .

وقال السيد إبراهيم الأعزب قدس سره :

«حضرت في بعض الأيام عند السيد أحمد الرفاعي قال : أي فقراء الشيخ عثمان السالم أبادى قدس سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها ويكتب عوضها بلا معارضة قال السيد إبراهيم الأعزب فأخذتني الغيرة من ذلك فالتفت إلى السيد أحمد الرفاعي وقال أي إبراهيم لا يكون الرجل ممكناً في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلاميذته

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (١٣٥/٢) .

بالقرب والبعد فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء بكرم الله ولطفه أي إبراهيم لا يكون الشيخ شيخاً كاملاً في سائر أمورهِ وأحواله وأقواله وأفعاله ولا يصح له الجلوس في المخدَّة حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع عند خروج روحه من جسده وعند مسألة منكر ونكير له وعند جوازه على الصراط والميزان» (١) .

والشاهد في النص واضح حيث ادعى تلامذة عثمان السالم بأن شيخهم يصعد إلى الديوان الذي تكتب فيه الحسنات والسيئات فينظر فيه ويمحو منه الذنوب التي وقعت فيه ذريته ويسجل بدلها حسنات في سجلاتهم .

وهناك شاهد ثان في النص وهو أن أحمد الرفاعي ادعى أن الإنسان لا يبلغ المشيخة الحقيقية إلا إذا عرضت عليه أعمال مريديه يوماً عند غروب الشمس فيمحو منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء .

وهناك شاهد آخر وهو أن أحمد الرفاعي زعم بأن الشيخ لا يكون شيخاً حقيقة إلا إذا استطاع أن يحضر مريده في أربعة أحوال وهي عند خروج روحه من جسده وعند مسألة منكر ونكير له وعند جوازه على الصراط المستقيم .

وهذه كلها أشياء لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى كما نرى وقد ادعاها المتصوفة لأنفسهم فهل هم شركاء لله في التصرف في هذا الكون !!؟

فغفران الذنوب لا يستطيع عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى ويدل على هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٢) .

وكذلك المحو والإثبات لا يكون لأحد إلا لله ويدل على هذا قول الله

(١) « قلادة الجواهر » (ص ١٩٣) .

(٢) آل عمران : (١٣٥) .

عز وجل : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١) .

ثم إن حضور الشيخ في الصور المذكورة لا يغني شيئاً عنه ومع ذلك فهذه الدعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة فالشيخ بشر كغيره لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً والمتصوفة لم يقصدوا من سرد هذه القصص المكذوبة سوى دعوة الناس إلى عبادة البشر وترك عبادة الله سبحانه وتعالى وقد فعلوها فأوقعوا كثيراً من الأمة الإسلامية في أعمال شركية .

وهذا أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية يجيب على إحدى الرسائل التي أرسلها إليه أحد مريديه فيقول :

« وأما ما طلبت من الضمان في المعرفة بالله من كونها صافية من اللبس ممزوجة حقيقتها بالشريعة فإن أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير . . . وأنا لك ضامن أن لا تسلب ما دمت في محبتنا وكل ما دونه من دخول الجنة بلا حساب إلى ما وراءه وما قبله وسامحتك فيما لا تعلمه مما مقتضاه سوء الأدب وأما السورة فتداومها (١١٠٠٠) مرة كل يوم أو كل ليلة مختلياً وحدك وقت ذكرها فقط وبدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مرة وتهدي ثوابها لأهل النوبة في ذلك اليوم من الأولياء والأحياء ثم تقوم وتقف مستقبلاً وتنادي : « دستور يا أهل النوبة جبهتي تحت نعالكم ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد ﷺ ثم تسأل المدد » (٢) .

والشاهد في النص واضح حيث إن أحمد التيجاني زعم بأن مریده الذي

(١) الرعد (٣٩) .

(٢) « كشف الحجاب » (٨٥ - ٨٦) .

أرسل إليه الرسالة لا يسلب منه الإيمان ما دام في محبة التيجاني وضمن له دخول الجنة بلا حساب وضمن له كل شيء ما قبل دخول الجنة وما بعد دخولها وهذا يدل دلالة واضحة وصريحة على أن مشائخ المتصوفة يزعمون بأن لهم المقدرة في التصرف في الدنيا والآخرة وكذبوا والله لا يستطيعون أن يضمّنوا الجنة لأنفسهم فضلاً عن أن يضمونها لأتباعهم ولكن الهوى والكذب والدجل والافتراء على الله وعدم الخوف منه سبحانه لأنهم لم يقدروه حق قدره فتجرءوا على هذا الادعاء الخالي من الصحة .

ويقول محمد بهاء الدين البيطار<sup>(١)</sup> :

فإن الكامل في وقته مظهر هذه الأسماء الثلاثة التي هي الله الرحمن الرحيم ، بل مظهر أسماء الله على الكمال القائم بحقيقة الجمال والجلال قيل لبعضهم كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت أحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير .

ويقول أيضاً في مكان آخر :

« . . . وكان هذا مقام أبي السعود تلميذ الغوث الجيلاني فإنه قيل له : هل أعطاك الله التصرف في العالم ؟ فقال : نعم منذ خمس عشرة سنة وتركته للحق تعالى تظرفاً قال الشيخ الأكبر ، ونحن تركناه أدباً ومعرفة »<sup>(٢)</sup> .

إذا نظرنا في النصين السابقين نجد أن محمد بهاء الدين البيطار زعم في النص الأول بأن العارف في وقته يجوز أن يطلق عليه الله والرحمن والرحيم

(١) هو محمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني خدام الطريقة الرشيدية الأحمدية ومن كتبه « النفحات الأقدسية في الصلوات الأحمدية الدرديرية » انظر غلاف كتاب « النفحات الأقدسية » ولم أجد له ترجمة في كتب التراجم .

(٢) « النفحات الأقدسية » (ص ٦ - ٧) .

لأنه مظهر من مظاهر الله أي قد حل فيه الله ولذا فلا حرج أن يقال له أنت الله أو أنت الرحيم أو أنت الرحمن لأنه قد أصبح إلهًا ولذا صح لبعضهم أن يدعي بأنه أصبح يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

ثم زاد الأمر وضوحًا في النص الثاني حيث زعم البيطار أن هذا المقام مقام أبي السعود تلميذ عبد القادر الجيلاني حيث زعم بأن أبا سعود أعطاه التصرف في الكون وتركه نظرًا مع الله حتى لا يشاركه في تصريف أمور الكون مع قدرة أبي السعود على التصرف في الكون حسب زعم المتصوفة .

ونحن نقول : إنه لا يستطيع أحد التصرف في هذا الكون بل المتصرف الوحيد في هذا الكون هو الله سبحانه وتعالى وكل من زعم أن أحدًا من المخلوقات شريك لله في التصرف في هذا الكون فقد افترى على الله الكذب .

ويقول أحمد التيجاني :

« ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب وعملوا ما عملوا من المعاصي وأما سائر ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة »<sup>(١)</sup> .

النص السابق زعم فيه التيجاني بأنه يستطيع أن يدخل أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب وزعم أيضًا بأنه هو المنفرد بهذا أما غيره من الأولياء فلا يستطيعون أن يدخلوا أتباعهم الجنة إلا بعد الحساب .  
ومعنى هذا أن الأولياء لهم التصرف الكامل في الدنيا والآخرة وهذا

(١) « كشف الحجاب » (ص ٣٧٣ - ٣٧٤) .

معتقد فاسد وشرك بالله عز وجل لأن دخول الجنة بيد الله سبحانه وتعالى وليس بيد أحد من خلقه وزعم التيجاني هذا ما هو إلا كذب وافتراء على الله فهو لا يضمن دخول الجنة لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره وهو يعلم ذلك ولكنه قال هذا الكلام تضليلاً للعوام حتى يتبعوه في كل ما يقوله من ضلالات وخرافات وأباطيل وأوهام التي يتفوه بها .

وقال أبو طالب المكي :

« وفوقها - أي فوق مقامات ذكرها قبل هذا الكلام - ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها أنه أعطاهم « كن » بإطلاعه إياهم على الاسم ، فزهدوا في كون كن لأجل كان توكلأ عليه وحياء أن يعارضوه في قدرته ويرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه »<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص السابق أن أبا طالب المكي زعم أن الله سبحانه وتعالى أعطى للأولياء القدرة على التصرف بحيث إذا قال أحدهم للشيء كن لكان ولكنهم تنازلوا عنه حياء من الله ولئلا يشابهوه في تكوينه للأشياء بكلمة كن فقط ونحن نقول لا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة مهما كان لأن التصرف في الكون بكلمة كن لله وحده سبحانه لا يشاركه فيه أحد من خلقه .

وهذا أحد المتصوفة واسمه أحمد زروق يزعم بأن هذا الكون كله تحت قبضته ولذا فهو يولي من يشاء ويعزل من يشاء ويعلي مقام من شاء ويخفض مقام من شاء ويعطي الأرواح لمن أراد ويقبضها عن من أراد إلى آخر ما ادعاه

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٩/٢) .

من دعاوى باطلة كلها لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى ولكنه تجراً على ادعائها لفراغ قلبه من الإيمان بالله وهذا نص كلامه :

قال :

وملكت أرض الغرب طر بأسرها  
فملكنيها بعض من كان عارقاً  
فأرفع قدراً ثم أخفض منصباً  
واعزل قوماً ثم أولّ سواهم  
وابسط أرواحاً واقبض أنفساً  
واجبر مكسوراً واشهر خاملاً  
واقهر جباراً وادحض ظالماً  
فإن كنت في كرب وضيق وشدة  
فكم كربة تجلى إذا ذكر اسمنا  
وكل بلاد الشرق في طي قبضتي  
وخلفني فيها بأحسن سيرة  
بأرفع مقدار وأرفع همة  
وأعل مقام البعض فوق المنصة  
وأحي قلوباً بعد موت القطيعة  
وارفع موضوعاً يا رفع عمتي  
وانصر مظلوماً بسطان سطوتي  
فنادا يا زروق آت بسرعة  
وكم كربة تجلى بإفراد صحبتي<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرجل ادعى أموراً لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى حيث ادعى بأنه يرفع قدر من يشاء ويخفض ويعزل قوماً ويولي آخرين وأنه يبسط أرواح من يريد ويقبض نفوس من يشاء من الخلق ثم دعى أخيراً الناس إلى التوجه إليه بالدعاء والاستغاثة إذا أصيبوا بأي مكروه وأكد ذلك بأنه فرج عن كثيرين كربهم لما توجهوا إليه وهذا كذب وافتراء فقط فإنه لا يملك لنفسه النفع والضرر فضلاً عن أن يملكه لغيره ولكن الذي يهمننا من إيراد النص هو الإثبات بأن المتصوفة يدعون بأن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وادعاء التصرف في هذا الكون مع الله يعتبر شركاً بالله تعالى لم يقل به المشركون الأوائل فينبغي على المتصوفة أن

(١) « النفة العلية في أورد الشاذلية » (ص ٢٧) .

يتراجعوا عنه .

ويقول أحمد الرفاعي الغوث :

لي همة بعضها تعلو على الهمم      وأنا الرفاعي طبولي في السماء ضربت  
والأرض في قبضتي والأولياء خدمني      كل المشايخ يأتون باب زاويتي  
وفوق هاماتهم حاز العلا علمي      ولي لواء على الكونين منتشر  
وكل أهل العلا ما أنكروا هممي      فألجأ بأعتابك عزيز التمس مددي  
وظف بيابي وقف مستمطراً نعمي<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرفاعي ادعى بأن الأرض كلها تحت قبضته وأن كل الأولياء ما هم إلا خدمه فقط وكلهم يأتون إلى زاويته حاملين فوق رؤوسهم العلم الرفاعي وأن لواءه معروف منتشر في الكونين أي في الدنيا والآخرة ثم دعا أخيراً الناس إلى عبادته وطلب المدد منه وأن يقفوا ببابه طالبين نزول النعم عليهم منه كالمطر .

وهكذا فالنص من أوله إلى آخره شرك بالله عز وجل حيث زعم الرفاعي أن الكونين في قبضته وتحت تصرفه ونحن نقول للرفاعي ولجميع المتصوفة الدجاجلة إذا كانت الأرض ومن فيها وكذلك الآخرة تحت تصرفكم فماذا أبقيتم لله يا دجاجلة يا وقحين يا من فرغت قلوبكم من الإيمان الصحيح فما قدرتم الله حق قدره فزعمتم أنكم شركاء لله في تصريف أمور هذا الكون ونحن نقول سبحانهك هذا بهتان عظيم .

(١) « قلادة الجواهر » (ص ٢٣٣) وانظر كذلك في ادعاء الرفاعيين بأن أحمد الرفاعي يتصرف

في الوجود كتاب « لباب المعاني » الملخص من « شفاء قلوب المؤمنين » (ص ٣٠) .



ويقول عبد العزيز الدباغ فيما يرويّه عن تلميذه :

« وسمعتَه رضي الله عنه يقول إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله عز وجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه قال رضي الله عنه : ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم « الرقا » بالراء وتشديد القاف وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطريهم وما تهمس به ضمائرهم فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضي الله عنهم أجمعين وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم »<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن عبد العزيز الدباغ زعم فيه بأن أهل الديوان من الأولياء المزعومين حينما يجتمعون يبحثون في الأمور التي ستقع في اليوم التالي والليلة التالية وأنهم يتكلمون في قضاء الله وقدره وأن لهم التصرف الكامل في العوالم السفلية والعلوية أي في الأرض والسماء .

وعلى هذا يعتقد المتصوفة بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون ومعنى ذلك أن الأولياء شركاء لله سبحانه وتعالى في ملكه .

ويقول أحمد البريلوي أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية :

« إن الشيخ عبد القادر متصرف في العالم ومأذون ومختار وهو المدبر لأمر العالم »<sup>(٢)</sup> .

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٨٩) .

(٢) « حقائق بخشش » للبريلوي (ص ٢٦) نقلاً عن « البريلوية » للشيخ إحسان إلهي (ص ٧١) .

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح حيث صرح فيه البريلوي بأن  
الشيخ عبد القادر متصرف في الكون.

وذكر الشعراني أيضاً أن شيخه محمد الشناوي قال :

« إن شخصاً أنكر حضور مولده أي مولد البدوي فسلب الإيمان فلم  
يكن فيه شعرة تحن إلى دين فقال : نعم ، فرد عليه ثواب إيمانه » .

ثم قال : « وماذا تنكر علينا؟ قال : اختلاط الرجال والنساء، فقال له  
سيدي أحمد : ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد، ثم قال : وعزة  
ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى  
الوحوش والسماك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً أفيعجزني عز وجل  
عن حماية من يحضر مولدي »<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص هو سلب البدوي الإيمان ممن أنكر عليه حضور  
مولده ثم رده عليه بعد الإقرار بحضور المولد ثم زعم البدوي بأنه هو الذي  
يرعى الوحوش والأسماك ويحميهم من بعضهم البعض وإذا كنت كذلك فإني  
باستطاعتي أن أحمي كل من يحضر مولدي من الوقوع في المعصية وإذا وقع  
فيها فتوبته حتمية لا محالة ولذا فلا حاجة إلى الإنكار على الأولياء إذا  
ارتكبوا منكراً لأنهم ليسوا كغيرهم من البشر فهم يحل لهم ما يحرم على  
غيرهم وذلك حسب المعتقد الصوفي الباطل .

وذكر الشعراني عن عبد العزيز الدريني أنه كان يزور سيدي علياً  
المليحي كثيراً فذبح له سيدي علي يوماً فرخاً فأكله وقال لسيدي علي : لا بد  
أن أكافئك فاستضافه يوماً فذبح لسيدي علي فرخة فتشوشت امرأته عليها فلما

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/١٨٧) .

حضرت قال لها سيدي علي : هش ، فقامت الفرخة تجري وقال : يكفيننا المرق ولا تشوش<sup>(١)</sup> .

وذكر الشعراني أيضاً عن شيخه إبراهيم المتبولي أنه رأى شخصاً من تلاميذه كثير العبادة والأعمال الصالحة والناس منكبون على اعتقاده فقال : يا ولدي ما لي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة لعل والدك غير راض عنك؟ فقال: نعم فقال : تعرف قبره؟ فقال : نعم ، فقال : اذهب بنا إلى ناحية قبره لعله يرضى قال الشيخ يوسف الكردي : فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفخ التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ فلما استوى قائماً قال الشيخ : الفقراء جاءوا شافعين تطيب خاطرهم على ولدك هنا ، فقال : أشهدكم أنني قد رضيت عنه ، فقال : ارجع مكانك فرجع<sup>(٢)</sup> .

وذكر عنه أيضاً أنه كان سما ناقعاً على الولاية فإذا تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في ليلته .

وتعرض جماعة من الظلمة إلى حماية غيظه وأراد الوزير وكان يسمى قاع التاجر أن يحدث عليهم مظلمة وقال : كان شيخنا ينفخني ، فقال : يا ولدي ما أنا أنفخ وإنما أفوق سهمي فلا يرد ، فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج فدخلوا عليه فوجدوا لحيته ووجهه في حلق الخلاء وهو ملطخ بالعدرة وهو ميت فرجع غالب الولاية عن معارضته في أمر من الأمور<sup>(٣)</sup> .

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/٢٠٢) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٨٥) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٨٧) .

وذكر الشعراني عن الشيخ حسين أبي علي قال عنه :

« كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جندياً ثم تدخل عليه فتجده سبعاً ثم تدخل عليه فتجده فيلاً ثم تدخل عليه فتجده صبيّاً وهكذا ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة » .

وذكر أيضاً أن المجرمين قتلوه ورموه ثم أصبح حياً ووجدوه جالساً في الكرسي وهو على أحسن صورة<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراني زعم في النص الأول أن الشيخ علي ذبح له عبد العزيز الدريني دجاجة وكانت امرأته لم ترض بذبحها فطبخت وحضرت بين يديه ليأكلها فأحيا الدجاجة بكلمة واحدة فقط وكما نعلم إحياء الموتى من خصائص الله سبحانه وتعالى ولكن الشعراني كما نرى أورد هذه القصة وسكت عليها .

وأما في النص الثاني فقد زعم فيه أن شيخه إبراهيم المتبولي نادى والد أحد تلاميذه بعد أن مات ودفن فأسرع والد التلميذ لإجابته وقام من قبره ونفد عنه القبر وعفا عن ابنه ثم رجع إلى قبره .

وأما النص الثالث فقد زعم فيه أنه كان سمّاً قاتلاً لكل من خالف أمره وكان يقتل في الحال كل من غضب عليه وأن أحد الوزراء خالف أمره فدخل الحمام فمات فيه ووجدوا جسمه ملطخاً بالعدرة ولذا رجع غالب الولاة عن مخالفته خوفاً من الموت السريع الفوري .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٨٧/٢) .

وأما النص الرابع فذكر فيه أن الشيخ حسين أبو علي كانت له المقدرة على التشكل بأي شكل أراده فيتحول إلى جندي إلى فيل إلى طفل وأن التراب كان ينقلب في يده ذهباً وفضة فيناوله الناس وأنه قتل ثم أحيا نفسه في الصباح الباكر.

والخلاصة من هذه النصوص أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم المقدرة على التصرف في الكون حيث زعم الشعراي في هذه النصوص بأن بعضهم أحيا الأموات وأن بعضهم أمات من خالفه حالاً وأن بعضهم كان يتشكل بأشكال مختلفة والمعلوم بالضرورة من العقيدة الإسلامية أن التصرف في الكون وإحياء الأموات وإماتة الأحياء من خصائص الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع أي أحد من المخلوقات كائناً من كان أن يتصرف في هذا الكون وإذا زعم أحد مثل هذا فقد ادعى بأنه شريك لله في ملكه .

وقال الشعراي أيضاً وهو يتحدث عن شمس الدين الحنفي (١) :

« ... وكان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاء في أحكام الولاية والقدم الراسخ في درجات النهاية والطود السامي في الثبات والتمكين وهو أحد من ملك أسراره وقهر أحواله وغلب على أمره وهو أحد أركان هذا الطريق وصدور أوتادها وأكابر أئمتها وأعيان علمائها علماء وعملاً وزهداً وتحقيقاً ومهابة وهو أحد من أظهره الله تعالى في الوجود وصرفه في الكون ومكنه في الأحوال وأنطقه بالمغيبات وخرق له العوائد وقلب له الأعيان وأظهر على يديه العجائب وأجرى على لسانه الفوائد ونصبه قدوة

---

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن الحنفي الشاذلي كان من أركان الطريقة الشاذلية علماً وعملاً ومالاً تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة واعترفوا بعلمه وعلو مقامه الذي لم يكن مفهوماً للعامة وإن كان معروفاً لدى الخاصة « جمهرة الأولياء » للمنفوي (١٥٩/٢) .

للطالبين حتى تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة وانتمى إليه خلق من الصلحاء والأولياء واعترفوا بفضلته وأقروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار وحل مشكلات أحوال القوم»<sup>(١)</sup> .

وذكر الشعراني عن يوسف العجمي أنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه تتوقد كأنها قطعة جمر فكل من وقع نظره عليه انقلب ذهباً خالصاً ولقد وقع بصره يوماً على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب فأرسل خلف الكلب وقال اخساً فرجعت عليه الكلاب لعضه حتى هرب منها .

ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب ليكون ويظهرون الحزن عليه فلما مات أظهروا البكاء عليه والعيويل والههم بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان<sup>(٢)</sup> !!؟

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح وبيان ولكن لا ندري ماذا يقصد الشعراني من إيراد مثل هذه القصة المكذوبة أساساً ولعله يريد أن يدعو الناس إلى عبادة الكلاب بعد أن دعاهم إلى عبادة البشر .

وقال الشعراني أيضاً :

« سمعت سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول الشيخ علي الخواص البرلس أعطي التصرف في ثلاثة أرباع مصر وقراها » .

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٨٨ - ١٠٤)

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٦٦) .

وسمعت مرة أخرى يقول : « لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص وكان رضي الله عنه يعرف أصحابه التوبة في سائر أقطار الأرض ويعرف من تولى منهم ساعة ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتي هذا وكان له اطلاع عظيم على قلوب الفقراء فكان يقول فلان اليوم زاد فتحه كذا وكذا دقيقة وفلان نقص اليوم كذا وكذا وفلان فتح عليه بفتح يدوم إلى آخر عمره » (١) .

وذكر الشعراني أيضاً أن سيده محمد عنان إذا جاءه أهل الحوائج الشديدة كشخص رسم السلطان بشنقه أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك يرسل صاحب الحاجة للشيخ ويقول نحن ما معنا تصريف في هذا البلد فتقضى الحاجة (٢) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراني زعم فيها بأن الأولياء لهم التصرف مع الله في هذا الكون .

وقال المناوي (٣) وهو يتحدث عن امتيازات الأولياء دون غيرهم من البشر :

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٥٠) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٥١) .

(٣) هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين حضر دروس الأستاذ محمد البكري له في التفسير والتصوف وأخذ التصوف عن جمع وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراني ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلي والطريقة الشاذلية عن الشيخ منصور الغيطي والطريقة النقشبندية عن مسعود الطاشكندي وغيرهم وتوفي ١١/٤ / ١٠٢٢ هـ انظر ترجمته في « خلاصة الأثر » المحبي (٢/٤١٣) .

« النوع الأول إحياء الموتى وهو أعلاها فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها فقامت تنفض أذنيها وأن مفرجاً الدماميني أحضر له فراخاً مشوية فقال: طيري بإذن الله تعالى فطارت ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها: قومي بإذن الله فقامت .

ومات لأبي يوسف الدهماني ولد فجزع عليه فقال له الشيخ : قم بإذن الله فقام وعاش طويلاً وسقط من سطح الفاروقي طفل فمات فدعا الله فأحياه » (١) .

وقال أحمد التيجاني وهو يتحدث عن الولي في المفهوم الصوفي :  
« أنه خليفة الله يملكه الله كلمة التكوين حتى قال للشيء كن فيكون من حينه » (٢) .

وهذا إبراهيم الدسوقي يزعم أن إغلاق النار وفتح الجنة بيده وإليك نص عبارته قال :

« أنا بيدي أبواب النار أغلقها وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس وما كان ولي متصلاً بالله إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه » (٣) .

وذكر ود ضيف الله الجعلي السوداني أن فاطمة بنت عبيد مرضت مرضاً شديداً أشرفت فيه على الموت وجاءه الفقيه النور وقال له : يا سيدي الشيخ حسن أحياء الميت والحسن يريدك تسأل الله لها أن يحييها قد نذر لك

(١) « الكواكب الدرية » للمناوي (ص ١١) .

(٢) « جواهر المعاني » لعلي حرازم (٨/٢) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٨١/١) .



بفرخة وأنه تفل للفقير النور في ماء الركوة وأدخله في فمها فمجته لأنها في حالة السياق ففي آخر الليل خاطبت النور بصوت هادئ وقالت : أنا طيبة فإني رأيت الشيخ خوجلي واقف عند الصندوق فوكزني بعصاة وقال لي : قومي ثم إن النور قام في ليلة وركب وسار إلى توتي فوجد الفقيه أحمد بن الشيخ إمام المسجد وقال له البشارة بنت عبيد طيبة وقال له أحمد الفقيه ساد الخلوة عليه إلى الآن وقال : أنا عيان كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي<sup>(١)</sup> .

وذكر عنه أيضاً بأنه أحيا عفيشة ولد أبكر غرق في بحر الخشاب فمكث في البحر ثلاثة أيام وقضى نحبه وقالوا له : صل على حوارك فقال : أنا ما حسن الأول عند سيدي أنا حوارى غرقان له ثلاثة أيام ما أخبره فلما رآه قال له : قم فقام فتمالت روحه وتزوج بعد ذلك وولد له ولد أسماه أبكر قال سوار الخليفة : أنا شفت أبكر المولود بعد موت أبيه .

وذكر عنه أيضاً بأنه أحيا ولد المرقوبين رجلاً مراقيب عنده خرجوا معه للقنص عندهم فرد ولد لقبوه ميت جاءه شافه قال لهم : ما مات قم فقام وتمالت فيه الروح<sup>(٢)</sup> .

وذكر عنه أيضاً بأنه جاءه رجل غرباوي مسافر للحج وأودعه فرخة وقال وصلها إلى الفتاة وبعد وقت بسيط أرسلت له الفتاة تخبره بموت الفرخة وطلب الكفن لها ثم قدم صاحبها من الحج فطلب جاريته وأرسل الشيخ إلى الفتاة وقال لها : فرخة الفقير هاتوها فقالت له الفتاة : ماتت وأنت جئت

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ١٩٨) .

(٢) « طبقات ود ضيف الله الجعلي السوداني » (ص ١٤٣) .

كفنتها ودفنتها فقال الشيخ : ما ماتت امشوا اثتوا بها فنبشوها فوجدوها حية وأعطوها لصاحبها<sup>(١)</sup> .

وذكر الشعراني عن الشيخ أبي مدين :

« أن بعض الفقراء شاوره في السفر إلى بلاده ليقطع علاقته ويجيء الشيخ بالكلية فإذن له فباع ذلك الفقير بقوته وبعض أمتعته وجعل ثمنها في صرة ووضعها في رأسه فلما جاء في المركب نفض الراجع عمامته فوقعت الصرة في بحر النيل أيام زيارته فلما دخل الشيخ حكى له ما وقع فرفع سيدي مدين رضي الله عنه طرف السجادة وأخرج تلك الصرة تقطر ماءً »<sup>(٢)</sup> .

وقال عبد العزيز الدباغ حاكياً عن شيخه أن عبد الله البرناوي أحد شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم الصوفية أنه كان شديد الاتباع في ظاهره وباطنه لشريعة النبي وكان يتولى التصرف في جميع من يزور الصالحين الموتى فهو ينظر في حوائجهم ويقضي ما قضى الله منها<sup>(٣)</sup> .

وقال الشيخ حسين أحد القادريين الصوماليين وهو يتحدث عن تصرف الأولياء في هذا الكون :

« كانت الأرض كرة فأمر الله تعالى رجالاً منهم أنا والشيخ محيي الدين العلي دحيها فدحونها بقدرته تعالى »<sup>(٤)</sup> .

وقال الشيخ علي بن مؤمن الصومالي القادري جاءني مرة الشيخ محمد

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي السوداني » (ص ١٤٤) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٥٦/٢) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص ٢٤٢) .

(٤) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص ١٣) .

حسن بركات ومعه جماعة ونزلوا به وأصفتهم فقال لي : أتعرف شيخك الشيخ محيي الدين العلي فقلت له فقال : لم ؟ فقلت : هو أعظم من أن أعرفه وأقول إنه إنسان أو جن أو ملك فقال صدقت هل أعلمكه؟ فقلت : نعم فقال : كنا ألف ألف ومائتي ألف نقيباً فأمرنا الله تعالى أن نكسح مواضع البحار ونأتي بماء في جرة من البحر المسجور ونصب في المواضع التي كسحناها ففعلنا ذلك وكانت الجرة مفتوحة الطرفين وأمسكت الماء بقدرة الله تعالى وأعلمنا أنه لا يخلق خلقاً لا يعيش بلا ماء وبقي من هؤلاء النقباء الآن أربعة أنا وشيخك الشيخ محيي الدين والشيخ أبو حسين والشيخ نور كليز ولا نرفع من الدنيا بل نغيب من مكان إلى مكان ما بقي القرآن ونتبعه وقت رفعه<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن دعوى التصرف للأولياء في الكون واضحة فيها وبما أن النصوص واضحة فلا تحتاج إلى شرح ولا إلى بيان فكما سبق ادعى المتصوفة أن الأولياء يحيون ويميتون ويرزقون ويسلبون الإيمان عنم خالفهم وغير ذلك من الحكايات الكثيرة التي أوردتها المتصوفة عن مشايخهم

والخلاصة التي نخرج بها بعد أن أوردنا هذه النصوص الكثيرة من بطون كتب المتصوفة ومن أفواه مشايخهم هي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون فهم الذين يديرونه ويحفظونه ويرزقون من فيه ويحيون ويميتون بل ولهم التصرف الكامل في الآخرة حيث إنهم يدخلون الجنة من اتبعهم بل إن مفاتيح أبواب النار والجنة بأيديهم وهذه حقائق أثبتناها والحمد لله بإيراد نصوص من بطون كتبهم ولا يستطيعون أن

(١) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص ١٤) .

ينكروا بأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء لله سبحانه في التصرف في هذا الكون والآن بعد أن أثبتنا عليهم معتقدتهم الباطل هذا نريد أن نبين موقف الإسلام من معتقداتهم الباطلة هذه تجاه من يسمونهم أولياء الله وها أنا أشعر فيه الآن<sup>(١)</sup> .

## المطلب الثاني

موقف أهل الإسلام من هذه المراتب

وممن يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون

لقد بينا في المطلب الأول المراتب التي وضعها الصوفية لمن يطلقون عليهم أولياء الله ووضحنا بنصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من البشر أطلقوا عليها الأولياء وعلى رأس هذه المجموعة القطب الذي يعتبر الزعيم الأكبر المسيطر على هذا الكون بحيث لا يقع في هذا الكون من خير أو شر إلا عن طريقه<sup>(٢)</sup> .

ثم أتبع ذلك بإيراد نصوص وحكايات أوردها الصوفية عن مشايخهم وكلها تثبت وتؤكد لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون وأنهم ينفذون كل ما يريدون بكلمة كن ويحيون ويميتون وغير ذلك من الأمور التي ذكرها المتصوفة على أن الأولياء لهم القدرة عليها رغم أنها أمور لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر (ص ٦٤٨ - ٦٧١) .

(٢) انظر (ص ٦٠٥ - ٦٠٧) .

(٣) انظر (ص ٦١٨ - ٦٤٦) .

والآن نريد في هذا المطلب أن نبين موقف الإسلام من هذه المراتب التي ابتدعتها الصوفية وممن يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون .

وإذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام من هذه المراتب فإننا نجد أنه يرفض هذه المراتب رفضاً قاطعاً وذلك لأنها من بدعة الصوفية وليس لهم أي دليل يستندون عليه لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ وإنما أتوا بها من عند أنفسهم وبما أننا نحن أهل السنة والجماعة نعتقد أن الإسلام هو ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله محمد ﷺ نعتبر هذه المراتب بدعية وما دامت هي بدعية فهي مرفوضة عندنا قطعاً .

وكما وضح لنا في المطلب الأول من هذا المبحث لم يقف الصوفية في ابتداع هذه المراتب والألقاب لمن يسمونهم الأولياء بل زعموا بأن هؤلاء الأولياء الذين تطلق عليهم هذه الألقاب هم الذين يسرون هذا الكون، وهذا اعتقاد فاسد وباطل وشرك بالله عز وجل في التصرف لأن الشرك أنواع وهذا من شرك التصريف .

ومن هنا نقول : إن هذه المراتب والوظائف المزعومة نرفضها رفضاً قاطعاً وعلى المتصوفة أن يتنازلوا عنها إن أرادوا النجاة لأنفسهم .

وخير من ناقش الصوفية في هذه المراتب والوظائف شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » في عدة أماكن من هذا الكتاب حيث أجاب رحمه الله تعالى على سؤال وجه إليه عن مراتب الصوفية هذه والوظائف التي نسبوها إلى الأولياء .

فقال : « أما الأسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامّة مثل الغوث الذي بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين

والنجباء الثلاثمائة فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه إلا ألفاظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : « إن منهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً » ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأئمة قبولاً عاماً وإنما توجد على هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها إما أثراً لها عن غيره أو ذاكراً . . . . . » .

ثم قال شيخ الإسلام :

« فالكتب المنزلة من السماء والإشارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومته وإطلاقه باطل فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى ويتقلون في الأمكنة وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد .

وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وإن كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم .

نعم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصى عدده إلا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ولما انقضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عدداً محصوراً فهو من المبطلين عمداً أو خطأ فنسأله من كان القطب والثلاثة إلى سبعمائة في زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> أي كان مؤمناً موحداً وكان الناس كفاراً جميعاً .

وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة : « ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك » <sup>(٢)</sup> .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا عليه السلام نسألهم في أي زمان كانوا ومن أول هؤلاء وبأية آية وبأي حديث مشهور في الكتب الستة وبأي إجماع متواتر من القرون الثلاثة تثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقده لأن العقائد لا تعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة ومن البرهان العقلي ﴿ قُلْ هَاتُوا

(١) النحل : (١٢٠) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/٣٨٨) .

(٣) الجمعة : (٢) .

بُرْهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ فَإِنْ لَمْ يَأْتُوا بِهَذِهِ الْأَدْلَةِ الْأَرْبَعَةِ الشَّرْعِيَّةِ فَهَمْ  
الْكَذَّابُونَ بَلَا رَيْبٍ فَلَا نَعْتَقِدُ أَكَاذِبَهُمْ . . .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« فأما لفظ الغوث والغيث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين  
فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل ومن زعم أن  
أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول  
الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين  
والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب  
ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿وَإِذَا  
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكُمْ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ  
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣) .

فكيف المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب وهو  
القائل تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ  
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤) .

وقال إبراهيم عليه السلام داعيًا لأهل مكة : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ

(١) النمل : (٦٤) .

(٢) الإسراء : (٦٧) .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) البقرة : (١٨٦) .



ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١﴾ .

وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » (٢) .

وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم لا ظاهراً ولا باطناً بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك فسائر ما يقوله الظالمون علواً كبيراً وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به ثم مع هذا يقولون أنه كان صيباً دخل السرداب مع أكثر من أربعمئة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والأعداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان » (٣) .

(١) إبراهيم : (٣٧ - ٣٩) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١١/٥٠٠) .

(٣) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١١/٤٣٣ - ٤٣٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً :

« وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال : يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم أيهم له مثل ما يسهم لأضعفهم فقال : «يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم» (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً :

« وليس في أولياء الله المتقين ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين من كان غائب الجسد دائماً عن أنظار الناس بل هذا من جنس القائلين أن علياً في السحاب ومحمد بن الحنفية في جبال رضوى وأن محمد بن الحسن بسرداب سامري وأن الحاكم بجبل مصر وأن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان» (٢) .

وقال ابن خلدون عن هؤلاء المتصوفة الذين ابتدعوا هذه المراتب والوظائف للأولياء :

« إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤٤٢/١١) وأخرج هذا الحديث البخاري بنحوه

(٨٨/٦) وأحمد في «المسند» (١٩٨/٥) .

(٢) نفس المرجع (٤٤٣/١١) .

عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرفضية الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتي يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب « الإشارات » في فصول التصوف منها فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد الواحد » وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرفضية ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء « (١) » .

وقال أحمد أمين المصري :

« إن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي وصاغت صياغة جديدة وسمته قطباً وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح وعلى هذه المملكة الروحية القطب وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع والقطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض ويلى القطب النجباء » (٢) .

ومما سبق يتبين لنا أن القول بهذه المراتب التي وضعها المتصوفة ما

(١) « مقدمة ابن خلدون » الفصل الحادي عشر في علم التصوف (ص ٤٧٣) .

(٢) « ضحى الإسلام » لأحمد أمين (ص ٢٤٥) .

هي إلا بدعة قلد فيها المتصوفة للشيعة وليست من الإسلام في شيء وأن قول المتصوفة بأن هذا الكون يسيرونه هؤلاء المجموعة الذين أطلقوا عليهم هذه المراتب والأسماء محض افتراء وكذب وبهتان لا أساس له من الصحة وذلك لأن هذا الكون ملك لله سبحانه وتعالى من سماوات وأرضين ولذا فهو المسير له سبحانه والمتصرف فيه لا يشركه في هذا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح عابد لله فضلاً عن أن يشركه فيه دجاجة المتصوفة وكهانهم .

يقول الشيخ حسين بن مهدي النعيمي في معرض رده على المتصوفة الذين يزعمون أن الأولياء لهم القدرة على التصرف في هذا الكون ويقضون حوائج من توجه إليهم :

« وبالجملة فاختصاصه تعالى بكونه القوي القادر القاهر يدبر الأمر وحده وغير ذلك من أسمائه وصفاته أمر ظاهر منكشف وحذار من الاستدراك عليه بقولك : إلا من جعله الله قاهراً مديراً للأمر، كما تجاسر خواص عباد الموتى فإنه زيادة مضادة للمعاني المقصودة بتلك الأسماء والصفات .

وإن زعمت أن أول ذلك الاستدراك وعقد القلب عليه بمانع المضادة المذكورة فقل لي هل أتاك به عن الله من سلطان صحيح بل هل هو موافق للفترة السليمة والعقل الصحيح وبماذا تجيب السريع الحساب بعد نزولك دار الملامة؟؟ فإياك والهوى في مزالق التقليد الأعمى ومتالفه المهلكة بنسبة خصائص الفقير العاجز إلى القوي الغني الحميد فما أشنعها من فرية وتعطيل وما أقبحه من جهل بما للعلي الجليل .

هذا الله العزيز الحكيم يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأُرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ .

ويقول الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ .

ثم قال الشيخ : « وكذلك إخراج شيء من مقتضيات أسماء ربنا سبحانه وتعالى وصفاته عن محله لآيات : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤﴾ .

ونسبة ما للقوي القادر إلى الضعيف العاجز من ربوبية أو إلهية ومعبودية أو مقتضياتهما ، حسب أو مثلاً وما في معناهما أقبح شرك بالله وتنديد .

يقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٥﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

(١) « لقمان : (١٠ - ١١) .

(٢) الروم : (٤٠) .

(٣) الحديد : (٣) .

(٤) الحج : (٧٤) .

(٥) الأنعام : (١) .

اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿١﴾

ثم قال الشيخ : « ولكننا لا نعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل شرك القوم وتنديدهم هو ذهابهم إلى اتخاذ الند والشبيه له صفات ربوبيته من حكمته وعلمه وقدرته وقوته وصفة الخلق والرزق والإحياء والإماتة وغيرها فأضافوها إلى أندادهم وجعلوها مثلاً له في ذلك متصفة بتلك النعوت أو أن المسألة لها كانت شركاً بأولئك الآلهة لأن التصرف والتصرف استقلالاً أو نيابة أو لأن لها بالتعبد لها والاستشفاع بها أثراً مقطوعاً بحصوله ونيله كما ترى عليه اليوم بعض عباد القبور أو عاقبهم فيما يصفون لها بل غاية ذلك فيما قص الله علينا - أن شفاعتهن لترتجى .

وحاصل الأول أن القصد الأول وهو الحاصل بالتوجه والمسألة إذ هما عينه واقع لا ما وراءه من نية أنها هي المحصلة لما سأله لتأهلها وصحة انبعاثه عن تأثيرها فلا نعلمه .

ولكن القوم عمدوا إلى ما تقتضيه تلك الصفات العلا وتستتبعه وتنادي به أن يكون من الآثار والتعلقات المعمولة بحسب ما ينبغي ويتجه لتلك الصفات فنقلوه عن هذه الجهة وقطعوه منها إلى غيرها وصرّفوه لذلك الغير كدعاء الأوثان والتأله لأحد من الأغيار ثان وحكم بسوى ما رسمه منزل القرآن وسوق الهدايا إلى ما لم يأذن به والقربان والتعلق في نفع أو دفع بعبد ميت أو مكان أو زمان على النحو الذي سمعت فيما مر لك أيها الإنسان .

وشائع شرك الوثنية وعامته هو فيما يعلم كل عاقل من هذا القبيل ولقد تتبعنا في كتاب الله من فصول تراكيبه وأصول أساليبه فلم نجده تعالى حكى

(١) البقرة : (١٦٥) .

عن المشركين أن عقيدتهم في آلهتهم وشركائهم التي عبدوها من دونه أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وتنزل من السماء ماءً وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي .

بل إذا ضاق عليهم الأمر واشتد بهم الكرب فزعوا إلى الله وحده فإذا سئلوا عن حقيقة دينهم هل هو شرك في الربوبية دانوا وأذعنوا للرب وحده بالاختصاص بكل ذلك والانفراد وهذا واضح لمن ألقى السمع للقرآن فيما حكى عنهم بقوله : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٥ ﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ ٨٦ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ٨٧ ﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٨ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿ ١ ﴾ .

ثم قال : « فتأمل ذلك وتصفح بغير صاف ونظر ثاقب وعقل سليم وتدبر صحيح سيما من بيده كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

واعتبر عقائد عباد الموتى وصرافهم التدبير الإلهي بالملاحظة لما لم يقع ليقع والنسبة لما وقع إليها قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

(١) المؤمنون : (٨٤ - ٨٩) .

(٢) فاطر : (٣) .

(٣) الروم : (٤٠) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢) .

ثم قال رحمه الله :

« تأمل دين عباد القبور اليوم خصوصاً الغالين منهم إذا مسهم الضر أنابوا إليه ويروون قاتلهم الله » إذا دهمتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور » ثم يذوقون الرحمة من الله مع كفرهم هذا فيقولون : كرامة الشيخ وبرهانه وإذا أخفق سعيهم يقولون : هو غائب أو ساخط .

وهذه قضية واقعة فاشية في الكثير أو الأكثر وإن السالم من حماها نزر لا يكاد يذكر والاستفهام في قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يؤتى بمثله للتقرير على المخاطب بما يعلمه وهو أمر ثابت عنده .

ومن المعلوم أن خالق الحب والنوى وبارئ النسيم عندهم هو الله العلي العظيم فانظر هداني الله وإياك بعين الاعتبار وتأمل بقلب شهيد قول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ

(١) الروم : (٣٣) .

(٢) الرعد : (١٦) .



شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿١﴾

وقوله : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ ﴿٢﴾

وقوله : ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

وقوله : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

وقوله : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَقَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٥﴾

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦﴾

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

(١) الروم : (٢٨) .

(٢) يونس : (٣١ - ٣٢) .

(٣) يونس : (٣٣) .

(٤) يونس : (٣٤) .

(٥) يونس : (٣٥) .

(٦) الحج : (٧٣) .

﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ .

ثم قال بعد أن ذكر هذه الآيات :

« واعلم أن ذكرنا لهذه الآيات الكريمة عظة لمن يقول : إنني من المسلمين وإيقاظاً له إن كان ممن عمه داء عباد القبور فيتفقد نفسه ويحذر من كيد عدوه ويعرف لماذا قص الله من أنباء من سبق ونعى أفعالهم وجعلها آيات تتلى وبثها في العالمين وكررها في كتابه الحكيم المبين ليعلم أن الشيطان الذي أضل السابقين وأوقعهم في الشرك الوبيل لم يسالمه ولم تضع أوزاره بين أمة محمد ﷺ وأن أمة محمد لم تغير سنن الله فيها ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة والنسيان والجهل والكفر والفسوق والعصيان فمن علم ذلك أخذ حذره دائماً وكان على بصيرة من أمره فلم يقدم على عمل إلا على هدى من كتاب ربه ونور من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

فينظر العبد : أي شيء هو في هذه المقامات وهل دب فيه غائلة هذا من داء الأمم وهو لا يشعر « (٢) .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) :

(١) النحل : (٢٠ - ٢٢) .

(٢) « معارج الالباب في مناهج الحق والصواب » لحسين بن مهدي النعيمي (ص ٢٠٠ - ٢٠٥)

باختصار .

(٣) الاعراف : (٥٤) .

« ألا أداة يفتح بها القول الذي يهتم بشأنه لأجل تنبيه المخاطب لمضمونه وحمله على تأمله والخلق في أصل اللغة التقدير وإنما يكون في شيء يقع فيه واستعمل بمعنى الإيجاد بقدر أي ألا إن لله الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات وله فيها الأمر وهو التشريع والتكوين والتصرف والتدبير فهو المالك والملك لا شريك له في ملكه ولا في ملكه »<sup>(١)</sup> .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضاً تحت قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ الآية :

« بدأ بنفي القدرة على التصرف فيما ليس من شأن البشر التصرف فيه لعدم تسخير الله تعالى إياه لهم بإقذارهم على أسبابه وثني بنفي علم الغيب الخاص بالله تعالى فقال : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ أي لا أقول لكم إنني أعلم الغيب وهو ما حجب الله علمه عن الناس بعدم تمكينهم من أسباب العلم به ككونه مما لا تدركه مشاعرهم الظاهرة والباطنة لأنها لم تخلق مستعدة لإدراكه ولا لطرق الاستدلال عليه أو لأنها مستعدة له بالقوة غير متمكنة من أسبابه بالفعل كعالم الآخرة فالغيب من جنس المعلومات كخزائن الله من جنس المقدورات يراد بهما ما اختص بالله تعالى فلم يمكن عباده من علمه والتصرف فيه أي لم يعطهم القوى ولم يسخر لهم الأسباب الموصلة إلى ذلك . . . » .

ثم قال بعد كلام طويل :

« فعلم مما قرناه أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يعطوا علم الغيب بحيث يكون إدراكه من علومهم الكسبية كما أنهم لم يعطوا قوة

(١) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٨/٤٥٤) .

التصرف في خزائن ملك الله وهي ما لم يمكن البشر من أسبابه فيكون من أعمالهم الكسبية ولا أعطاهم إياه أيضاً على سبيل الخصوصية كما أظهرهم على بعض الغيب الذي هو موضع الرسالة ونفي ادعاء الرسول لكل من الأمرين يتضمن التبرؤ من ادعاء الإلهية أو ادعاء شيء من صفات الإله وهو أولى ويستلزم الأول لأن كلاً منهما خاص بالإله الذي هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وقدرته وعلمه صفتان ذاتيتان له ويتضمن بيان جهل المشركين بحقيقة الإلهية وحقيقة الرسالة إذا كانوا يقترحون على الرسول من الأعمال ما لا يقدر عليه إلا من له التصرف فيما وراء الأسباب ومن الإخبار بما يكون في مستقبل الزمان ما لا يعلمه إلا من كان علم الغيب صفة له كسائر الصفات . . .

وإذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاص به عز وجل يستحيل أن يشاركه فيه غيره فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفين وغير المعروفين حتى صاروا يدعون من دون الله تعالى ما عز نيله بالأسباب والسنن الإلهية .

وقد قال المفسرون أن نفي النبي ﷺ لهذين عن نفسه هو عبارة عن نفي ادعاء الإلهية وبيان لكون ما اقترحوه عليه مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فضلال المشركين في فهم الرسالة وجعلهم إياها شعبة من الربوبية لا يزال منتشرًا في أذهان الناس حتى بعض المؤمنين باسم القرآن المتبركين بجلد مصحفه وورقه وبالتغني به في المآتم وغيرها الجاهلين بما أنزل لبيانه من توحيد الله تعالى وشئون ربوبيته وألوهيته ومن حقيقة الرسالة ووظيفة

الرسول ومن معنى الجزاء على العقائد والأعمال دع ما دون هذه الأصول الثلاثة من أمور الدين إذ نرى بعض هؤلاء المعدودين في عرفهم وعرف الناس من أتباع القرآن يدعون التصرف في خزائن الله وعلم الغيب لمن دون الرسول» (١) .

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفاً في الحياة وبعد الممات في سبيل الكرامة :

« هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذر وأثبتوا لهم فيها الأجور قال : وهذا الكلام فيه تفریط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة وفي التنزيل : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢)

إلى أن قال : الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم . . . إلى أن قال : فأما قولهم أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى : ﴿ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ

(١) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٧/٤٢٢ - ٤٢٥) باختصار .

(٢) النساء : (١١٥) .

(٣) النمل : (٦١) .

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وقوله : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) ونحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق والتدبير والتصريف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكاً وإحياء وإماتة وخلقاً وتمدح الرب سبحانه بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (٤) .

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فقوله في الآيات كلها ﴿ مِنْ دُونِهِ﴾ أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده فإن من لم يقدر على نصرته نفسه كيف يمد غيره إلى أن قال : فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرف إن هذا من السفاهة لقول وخيم وشرك عظيم إلى أن قال : « وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ثم ذكر الآيات التي تدل على أن كل بني آدم وغيرهم من المخلوقات ميتون وذكر الحديث الذي يدل على أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث المستثنية في الحديث وهي الصدقة الجارية والولد الصالح الذي يدعو لوالديه والعلم النافع » .

ثم قال : « فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك أن ليس للميت تصرفاً في ذاته فضلاً عن غيره بحركة وأن روحه

(١) الأعراف : (٥٤) .

(٢) المائدة : (١٢٠) .

(٣) فاطر : (٣) .

(٤) فاطر : (١٣) .

محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون أن الأرواح مطلقة متصرفة قل أنتم أعلم أم الله .

ثم قال : « وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أوليائه لا قصد لهم فيها ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني .

ثم قال : « وأما قولهم : فيستغاث بهم في الشدائد . فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب وأنه المتفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك كله وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي « (٢) .

وقال الشيخ السيد محمد صديق حسن وهو يتحدث عن الأشياء التي يختص الله بها سبحانه وتعالى دون غيره من المخلوقات وأن أحداً إذا صرفها لغيره يصبح قد وقع في الشرك .

(١) النمل : (٦٢) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص ٢٣٢) .

قال : « الشيء الثاني أن التصرف في العالم بمحض الإرادة أي من دون أسباب عادية كتصرفه تعالى بلفظ كن والقضاء بكل شيء والإحياء والإماتة وتوسعة الرزق وتقديره والصحة والمرض والفتح والهزيمة والإقبال والإدبار وإنجاح المرام وقضاء الحوائج ودفع البليات والإعانة في المشكلات والإغاثة عند حلول الآفات وفي أوقات المكروهات كل ذلك شأن الله تعالى ليس هذا الشأن لأحد من الأولياء والأنبياء والمشائخ والشهداء والجن والشياطين والملائكة .

فمن أثبت مثل هذا التصرف لأحد غير الله ويطلب منه المرادات وينذر على هذا التوقع ويوجب على نفسه النذور لهم ويدعوهم عند المصائب والمصاعب فهو مشرك بالله الذي لا إله إلا هو ولا حكم إلا له وحده لا شريك له .

ويقال لهذا الإشراك في التصرف أي إثبات التصرف لغير الله كإثباته لله تعالى سواءً اعتقد أن قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه أو أعطاه الله إياها فالشرك ثابت على كل حال » (١) .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري تحت عنوان « شرك الربوبية ومظاهره في الأمة الإسلامية » :

« . . . وهنا بيان مقتضب لتلك المظاهر الشركية في بعض أفراد الأمة الإسلامية نذكرها تحذيراً منها وتعليماً بأن عقيدة المؤمنين الحقّة خلو من كل مظاهر الشرك وآثاره لابتنائها على هدي الكتاب والسنة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

(١) « الدين الخالص » لمحمد صديق حسن (١/٣٠٤ - ٣٠٥) .



١ - اعتقاد كثير من عوام المسلمين وأشباههم أن هناك في الكون أقطاباً وأبدالاً من الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف معين في حياة الناس فهم يولون ويعزلون ويعطون ويمنعون ويضرون وينفعون كما شاع بين عوام المسلمين أن لهؤلاء الأقطاب والأبدال ديواناً يطلق عليه ديوان الصالحين منه تصدر القرارات والمراسيم بريح فلان وبحاجة وخيبة فلان وخسرانه ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالصالحين وهتفت بهم الألسنة واستغيث بهم ودعوا عند الشدائد ونودوا للخلاص من المحن وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية لما فيه من اعتقاد التصرف والتدبير في الكون لغير الله تعالى أو له ولغيره معه سبحانه وتعالى .

٢ - اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفاً بعد موتهم وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذاً لكل خائف ومستشفى لكل مريض فمن أصابه كرب أو نزل به ضيم أو حلت به نكبة فزع إلى تلك الأضرحة والمشاهد والقبور وأناخ بساحتها وتعلق بأهداب أصحابها راجياً منها تفريج كربه وقضاء حاجته . . . وهذا من خصائص الربوبية إذ هو من التدبير للخلق الذي اختص به الرب تبارك وتعالى . . . .

ثم قال :

٣ - تقديس المشايخ من رجال التصوف والطرقين والمشعوذين وطاعتهم في غير طاعة الله فقال : وطاعة رسوله بل فيما هو مكروه لله ورسوله ﷺ وقبول ما يشرعون لهم من البدع وما يسنون لهم من سنن الباطل واتباعهم في ترك الهدى ومعاداتها ومعادة أهلها والداعين إليها والاستجابة المطلقة لهم بحيث يمكنونهم من نفوسهم فيتسلطون عليها ومن أرواحهم

فيهيمنون عليها فاعتقدوا فيهم أنهم يعلمون سرهم ونجواهم وأنهم يكتشفونهم في كل أحوالهم ويطلعون منهم على كل مخبآت نفوسهم فذلوا لهم وهانوا وضعفوا أمامهم واستكانوا لهم حتى مكنوهم من أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فهل هذا الخضوع والذل والطاعة المطلقة والتسليم التام لهم لا يعد شركاً في ربوبية الله تعالى وهل أولئك الرجال الذين استعبدوهم لا يعدون أرباباً وآلهة لهم»<sup>(١)</sup>.

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن أوردنا أدلة عديدة من كتاب الله عز وجل تدل على تفرد الله سبحانه وتعالى بخلق هذا الكون وتصريفه وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائناً من كان وذكرنا نبذة من أقوال العلماء قديماً وحديثاً يتبين لنا بوضوح وصراحة لا غموض فيها أن موقف الإسلام من المراتب التي ابتدعتها المتصوفة للأولياء والوظائف التي ادعوها بأنهم أهل لها هو الرفض التام وذلك لأنها تتصادم مع العقيدة الإسلامية والتي تؤكد بأن هذا الكون المتصرف الوحيد فيه هو الله سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبوب عند الله وذلك لأن التصرف في هذا الكون من شأن الربوبية خاص به سبحانه وتعالى وكما رأينا في أقوال العلماء التي مرت آنفاً يعتبر الاعتقاد بأن في هذا الكون أحداً من الخلق له التصرف التام في هذا الكون شركاً بالله عز وجل ويدخل في هذا الحكم أولئك المتصوفة الذين يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من الأولياء كما سبق لنا في المطلب الأول من هذا المبحث حيث أوردنا نصوصاً

---

(١) « عقيدة المؤمن » للشيخ أبي بكر الجزائري (ص ٧٥) .

كثيرة تثبت بأن المتصوفة يعتقدون هذا والذي نرجوه من المتصوفة هو أن يتراجعوا عن هذه المعتقدات الوثنية ويرجعوا إلى عقيدة التوحيد الصافية التي جاء بها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم إذا أرادوا النجاة والفوز في الدنيا والآخرة وذلك لأن أي مدعو من دون الله لا يستطيع أن يقدم أي عون لمن يتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة ومما يدل على هذا الآيات التالية :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (١) .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٢) .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٣) .

\*\*\*

(١) الإسراء : (٥٦) .

(٢) سبأ : (٢٢) .

(٣) فاطر : (١٣ - ١٤) .

## المبحث الثالث

اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت  
بأنهم يعتقدون بأن الأولياء  
يعلمون الغيب .

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله  
تعالى وحكم من يدعي علم  
الغيب .



## المطلب الأول

ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يعتقدون

بأن الأولياء يعلمون الغيب

لقد ادعى الصوفية بأن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنه لا يغيب عنهم شيء حتى أنهم ليعلمون ما في اللوح المحفوظ فضلاً عن الأشياء الموجودة في هذا الكون معنا بل أنهم يعلمون العوالم كلها على ما هي عليه بكل ما فيها من فروق من المبدأ إلى المعاد وأنهم يعلمون كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون ويعلمون ما لم يكن لو لم يكن يعلمون كل ذلك علمًا أصليًا حكميًا كشفياً ذوقياً وأنه لا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء وهذا ما سيتضح لنا إن شاء الله الآن حينما نسرّد النصوص التي تثبت بأن المتصوفة بالفعل رفعوا الأولياء إلى منزلة الإله في معرفة الغيب وأن الإنسان حينما يقرأ هذه النصوص التي سأوردها عنهم سيقنع بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون في الأولياء ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يعلم الغيب وحده وها أنا أشرع في ذكر النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء .

\* من الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب عبد الكريم الجيلي فقد زعم بأنه رأى العوالم العلوية والسفلية بعد أن كشف الله له الحجب وأنه شاهد الملائكة جميعاً وتبادل الحديث معهم والرسل والأنبياء

إليك نص كلامه في هذا المجال قال :

« وفي هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت فيه بزويد بشهر ربيع الأول سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين والمقربين وملائكة التسخير ورأيت روحانية الموجودات جميعها وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد وتحققت بعلوم الألوهية لا يسع الكون أن تذكرها فيه .

ثم زعم بأنه رأى نوحًا عليه السلام في السماء الثانية جالسًا على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء فسلم عليه وتمثلت بين يديه فرد عليّ السلام ورحب به وقام .. إلى أن قال : وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان .

ثم واصل الجيلي افتراءاته فادعى بأنه رأى في السماء الثالثة يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما حديث وأنه كان يعلم تلك العلوم التي أخبره بها يوسف قبل أن يتفوه بها .

حيث قال : « اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلام فرأيته على سرير من الأسرار كاشفًا عن رمز الأنوار عالمًا بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبا متحققًا بأمر المعاني مجاوزًا عن قيد الماء والأواني فسلمت عليه تحية وافد إليه فأجاب وحيًا ثم رحب بي » ثم زعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها إدريس وأن أكثر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وإدريس وجرجيس .. وغيرهم .

وهنا كما نرى ذكر الجيلبي اسم نبي لم نجد له ذكر في القرآن ولا في السنة فمن أين علم ذلك !!؟

ثم واصل الجيلبي وصفه للسموات وما تحتويها فقال في وصف السماء الخامسة :

« هي سماء الكوكب المسمى بهرام وحاكم هذه السماء هو الملك المسمى عزرائيل وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ » .  
وذكر الجيلبي أيضاً أنه رأى في السماء السادسة موسى عليه السلام ودار بينهما حديث طويل .

ثم قال : إنه رأى في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام قائماً في هذه السماء وله منصة يجلس عليها على يمين العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ... ﴾ .

إلى أن قال إنه صعد سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبد الله وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم<sup>(١)</sup> .

ثم بدأ عبد الكريم الجيلبي في وصف الأراضي السبعة فقال :  
« أما الطبقة الأولى من الأرض فأول ما خلقها الله تعالى كانت أشد بياضاً من اللبن وأطيب رائحة من المسك فاغربت لما أهبط آدم عليها بعد أن عصى الله تعالى وهذه الأرض تسمى أرض النفوس . . . دورة كرة هذه

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلبي .



الأرض مسيرة ألف عام ومائة عام وستة وستون عاماً ومائتا يوم وأربعون يوماً . . . ثم سلك الإسكندر الجانب الجنوبي وهو الظلمات حتى بلغ يأجوج ومأجوج وهم في الجانب الجنوبي من الأرض لم تطلع الشمس على أرضهم أبداً ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلاً منه لم تغرب الشمس فيه وهذه الأرض بيضاء على ما خلقها الله تعالى عليه هي مسكن رجال الغيب وملكها الخضر عليه السلام وهي قريبة من أرض بلغار وبلغار ، بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء أيام الشتاء لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها . . . وهذه الأرض أشرف الأراضي وأرفعها قدرًا لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء والصالحين» (١) .

ثم تطرق الجيلي لذكر المعجزات التي وهبها الله لداود وسليمان عليهما السلام وصرح بأن هذه المعجزات ليست مقصورة عليهما بل الأقطاب والأفراد من الأولياء يشاركونهم فيها بل ويزيدون عليها وهذا نص كلامه :

« وهذا الأمر الذي جعله الله لداود وسليمان عليهما السلام غير محصور فيهما ولا مقصور عليهما وإلا فكل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلاً عن لغة الطيور وقد قال الشبلي رحمه الله : « لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت أني مخدوع أو ممكور بي » وقال غيره : « لا أقول ولم أشعر بها لأنها لا تدب إلا بقوتي وأنا محركها فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها » (٢) .

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص ٩٧/٢ - ١١٢) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/ ١٢٢) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد الكريم الجيلي صرح بأن الأولياء يعلمون الغيوب بشتى أصنافها فليس هناك من حاجة تخفى على الأولياء كبرت أو صغرت وهذا طبعاً حسب زعمه وإلا فالغيب علمه خاص بالله عز وجل لا يشركه فيه أحد من خلقه .

وقال عبد الكريم الجيلي في مكان آخر من كتابه « الإنسان الكامل » في معرض حديثه عن الأولياء :

« فإذا كشف الحجاب وفتح لهم الباب علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريحها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون وعلم ما لم يكن ولم لا يكون ما لم يكن ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون كل ذلك علماً أصلياً حكماً كشفياً ذوقياً من ذاته لسريانه في المعلومات علماً إجمالياً تفصيلاً كلياً جزئياً مفصلاً في إجماله ومنهم من تجلى الله عليه بصفة السميع فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات وكان البعيد عنه كالقريب »<sup>(١)</sup>.

وهكذا كما رأينا في النصوص السابقة التي أوردتها عن عبد الكريم الجيلي نرى بوضوح كامل بأنه ادعى أن الأولياء يعلمون علم الغيب وأنه بهذا القول فقد زعم بأن الأولياء يشاركون الله في هذه الخاصية التي أخبرنا بأنها خاصة به وأنه لا يعلم الغيب إلا هو .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد العزيز الدباغ فقد زعم هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون الغيب وأنه هو بنفسه من الأولياء الكبار الذين يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم منه شيء .

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١/٦٣ - ٦٤) .

فقد قال أحمد المبارك تلميذه :

« وسمعتَه رضي الله عنه يقول مرة أخرى السماوات والأرضون بالنسبة إلي كالموزونة في فلاة من الأرض يصدر هذا الكلام منه رضي الله عنه وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائماً رضي الله عنه وقد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أمياً فقلت : فمن أين تعرفهم ؟ فقال رضي الله عنه : أهل الفتوح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي فقلت هو من الأكابر فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته فقال رضي الله عنه : لو عاش سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه من زمنه إلى زمننا ما أدرك من المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز - يعني نفسه - من أمس إلى اليوم والله ما قاله أخوك افتخاراً وإنما تعريفاً وتحدثاً معكم بنعمة الله » (١) .

وقال عبد العزيز الدباغ في معرض حديثه عن بعض الأشياء التي يشاهدها المفتوح عليه وهو الولي :

أما في المقام الأول فإنه يكشف فيه بأمور منها :  
أفعال العباد في خلواتهم ومنها مشاهدة الأرضين السبع والسماوات السبع ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة وغير ذلك مما في الأرض والسماء ومن الأشياء التي يشاهدونها اشتباك الأرضين بعضها ببعض وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى وما تمتاز به عن أرض أخرى والمخلوقات التي في كل أرض ومنها مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض وما نسبتها من السماوات وكيف وضع النجوم التي فيها ومنها مشاهدة الشياطين وكيف

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٦٨) .

توالدها ومنها مشاهدة الجن وأين يسكنون ومنها مشاهدة سير الشمس والقمر  
والنجوم . . . »

ثم قال : « وأما ما يشاهده في المقام الثاني فإنه يكشف بالأنوار  
الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية فيشاهد في هذا  
المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونه .

وأما المقام الثالث : فإنه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار  
المتقدمة .

وأما المقام الرابع : فإنه يشاهد فيه النور الذي ينسط عليه الفعل  
وينحل فيه كانهلال السم في الماء فالفعل كالسم والنور كالماء . . .

وفي المقام الخامس يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور فيرى النور نوراً  
والفعل فعلاً والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما في الأرحام فضلاً عن غيره<sup>(١)</sup> .

وقد بالغ عبد العزيز الدباغ في إثبات علم الغيب للأولياء فزعم أن  
الأولياء يعلمون كل الغيوب بما في ذلك الأمور التي ذكرها الله في كتابه  
وأخبرنا بأنها من الغيوب التي لا يطلع عليها غيره والتي هي في سورة لقمان  
في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا  
تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
خَبِيرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

حيث ذكر تلميذه ابن المبارك أنه قال :

« قلت للشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه : أن علماء الظاهر من

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٥١) وما بعدها .

(٢) لقمان : (٣٤) .

المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) ؟ .

فقال رضي الله عنه وعن سادتنا العلماء :

« كيف يخفى أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس » (٢) .

وقال عبد العزيز الدباغ أيضاً :

« إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره » (٣) .

وقال أحمد بن المبارك تلميذ عبد العزيز الدباغ :

« سمعت الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه يقول : في ذات كل ملك خمسة رؤوس لكل رأس يمين وشمال وفوق سبعة فله فوق تسعة أفواه مجموع ذلك ثلاثة وستون فما في كل رأس فإذا ضربت عدد الرؤوس الخمسة في عدد الأفواه السابقة كان الخارج ثلاثمائة فم وخمسة عشر فمًا والفم يكون فيه ثلاثة ألسن وقد يكون فيه خمسة ألسن وقد يكون فيه سبعة ألسن فإذا كان فيه ثلاثة فالخارج من ضربها في عدد الأفواه تسعمائة وخمسة وأربعون لسانًا وإن كان فيه خمسة كان الخارج ألف لسان وخمسمائة لسانًا وخمسة وسبعون لسانًا وإن كانت سبعة كان الخارج ألفي لسان ومائتي لسان

(١) لقمان : (٣٤) .

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص ٢٧٤) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص ١٥٣) .

وخمسة ألسن وإذا تكلم الملك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلها  
فسبحان الملك الخلاق العظيم<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النصوص المتقدمة نرى بوضوح أن عبد العزيز الدباغ  
ادعى بأن الأولياء لديهم المقدرة على علم كل الغيوب حتى تلك الأشياء التي  
أخبرنا الله بها في كتابه بأنها خاصة به سبحانه وتعالى ولهذا فقد صرح الدباغ  
بأن الأولياء شركاء لله في معرفة علم الغيب الذي ذكر الله في كتابه بأنه من  
خصائصه سبحانه .

وقد ذكرت نماذج من الحكايات التي أوردها عنه تلميذه بأنه اطلع على  
أمور كثيرة عن طريق الكشف ومنها ذكره للأوصاف السابقة التي وصف بها  
الملائكة وهي أوصاف أتى بها من عند نفسه متبعاً هواه فقط وإلا ليس له  
دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله لإثبات هذه الأوصاف  
للملائكة الكرام ولكنه اتباع للهوى فقط ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى  
من الله .

وقد ذكر تلميذ عبد العزيز الدباغ بأنه سمع شيخه وهو يتحدث في  
مراتب الأولياء :

« وسمعتة رضي الله عنه يقول : ليس كل من يحضر الديوان من  
الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه  
ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجه إليه لعلمه  
بأنه ليس من أهل النظر إليه قال رضي الله عنه كالهلال فإن رؤية الناس إليه  
مخالفة »<sup>(١)</sup> .

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٦٩) .

وأظن بعد هذه النماذج التي ذكرتها عنه قد ثبت لنا بالتأكيد بأن الرجل من المتصوفة الكبار الذين زعموا علم الغيب لأنفسهم وزعموا أن الأولياء يعلمون الغيب .

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب أحمد الرفاعي فقد قال متحدثاً عن الدرجات التي يمر بها الإنسان حتى يصل إلى مرحلة الغوثية والتي إذا وصلها الإنسان يصبح الغيب عنده كالمشاهدة فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا نص كلامه :

« إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق فيطلع على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق . . . وكان يقول : إن القلب إذا تخلى من حب الدنيا وشهوتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس »<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الرفاعي صرح بأن الولي إذا وصل إلى مرحلة الغوثية يطلع الله على الغيب فلا يخفى عليه شيء وهذا شرك للولي في خاصة اختص الله بها من بين مخلوقاته وأخبرنا في كتابه بأنه لا يعلم الغيب أحد إلا هو سبحانه وتعالى .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد الوهاب الشعراني وهك نماذج من كلامه :

فقد قال الشعراني في معرض حديثه عن شيخه وأستاذه علي

---

(١) « قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر » (ص ١٤٨) .

الخواص<sup>(١)</sup> البرلس كان رضي الله عنه أمياً لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً يحترق فيه العلماء وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات فكان إذا قال قولاً لا بد وأن يقع على الصفة التي قال وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعة التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيتخير الشخص<sup>(٢)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراني وصف شيخه بأنه كان يتكلم في تفسير القرآن والسنة بكلام يتحير العلماء تجاهه مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب فمن أين إذاً هذا العلم الغزير ولعله من اللوح المحفوظ بل إنه من اللوح المحفوظ لأنه زعم بأن شيخه كان محل كشفه اللوح المحفوظ وإذا كان شيخه كذلك فقد زعم الشعراني بأن شيخه شريكاً لله في خاصة اختصاص الله بها ، وكما هو واضح أمامنا في النص الذي نقلناه عن الشعراني فقد ذكر بأن شيخه كان يعلم ما في ضمائر الناس قبل أن يتحدثوا بما يريدون ونحن نقول هذا لا يمكن أن يكون إلا لله وأن الشعراني ليس بصادق في هذا الكلام ولكن الغلو ومجاوزة الحدود في مقام الأولياء المزعومين دفعه إلى الكذب لهم .

---

(١) قال عنه الشعراني : ومنهم شيخي وأستاذي علي الخواص البرلس رضي الله تعالى عنه كان رضي الله عنه أمياً لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً يحترق فيه العلماء (١١١) وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات . . وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول الشيخ علي البرلس أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر . قلت : وهذا كله كذب وافتراء وغلو زائد . انظر : « الطبقات » (٢/ ١٥٠) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/ ١٥٠) .



وقد ذكر الشعراني عن شيخه علي الخواص أنه قال :

« لا يكمل إيمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ويسري منه الإيمان في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهلهم »<sup>(١)</sup> .

وقال الشعراني عن إبراهيم العريان<sup>(٢)</sup> أنه كان إذا دخل بلد سلم على أهلها كباراً وصغاراً بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم وكان رضي الله عنه يطلع على المنبر ويخطب عربياً فيقول السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طولون الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم . . . وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه<sup>(٣)</sup> .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراني وصف شيخه العريان الذي كان يخطب عربياً أمام الناس وهذا طبعاً حرام فإن ستر العورة من الأشياء التي أوجبها الإسلام ولا ندري كيف وصف الشعراني شيخه هذا بالولي وهو منحط إلى هذا المستوى والشعراني أورد هذه الحكاية عنه حتى يثبت بأن الأولياء يعلمون الغيب وهذا يظهر بوضوح في زعمه بأن شيخه إذا دخل قرية يسلم على أهلها بأسمائهم لأنه يعلم الغيب وعلم الغيب وصف خاص بالله سبحانه فلا ندري كيف تجرأ الشعراني أن يصرح بأن الأولياء يعلمون الغيب والله عز وجل يقول في كتابه : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا

(١) « الطبقات للشعراني » (١٥٦/٢) .

(٢) انظر ترجمته في « طبقات الشعراني » فقد وصفه بأوصاف لا تليق بإنسان عادي فضلاً عن يزعم بأنه ولي (١٤٢/٢) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٤٢/٢) .

يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِهِ أَحَدًا»<sup>(١)</sup>

\* ومن الصوفية الذين يزعمون بأن الأولياء يعلمون الغيب علي حرازم ابن العربي برادة فقد قال واصفًا شيخه التيجاني :

« ... ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب وفي غيرها من إظهار مضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات »<sup>(٢)</sup> .

وقال في « رماح حزب الرحيم » :

« وينبغي على المرید أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة »<sup>(٣)</sup> .

وقال في « بغية المستفيد » :

« وأما مكاشفته رضي الله عنه بمعنى إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع وفق ما أخبر به فلا يكاد ينحصر ما حدث به الثقات عنه رضي الله عنه ومن إخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي الله عنه إخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته إما بالتصريح أو التلويح »<sup>(٤)</sup> .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن علي حرازم قد وصف شيخه بأنه كان يعلم ما في ضمائر الناس وكان يخبر بالمغيبات ويعلم عواقب

---

(١) الجن : (٢٦) .

(٢) « جواهر المعاني » (١/٥٣) .

(٣) « رماح حزب الرحيم » (١/٥٢) .

(٤) « بغية المستفيد » (ص٢٤٦ - ٢٤٧) .

الأمور التي تصير عليها في النهاية وأنه كان يخبر بالأمر قبل وقوعه وأنه ينبغي على كل مريد أن يعتقد أن شيخه مطلع عليه أينما كان وهذه أمور غيبية لا يمكن أن يعلم بها أي مخلوق مهما كان لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي لأن علم الغيب خاص بالله عز وجل وكما نرى علي حرازم فقد اعتقد في شيخه بأنه يعلم الغيب وبذا يصبح بأنه أشرك شيخه في خاصية اختص الله بها من بين مخلوقاته جميعاً .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب إبراهيم الدسوقي حيث ادعى هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة »<sup>(١)</sup> .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو الحسن الشاذلي فقد ادعى هذا الرجل بأن الإنسان قد يصل إلى مرحلة يكشف له فيها كل شيء موجود في هذا الكون بل قد يصل إلى مشاهدة حياة كل شيء ومحبي هذه الأشياء بمعنى أنه قد يصل إلى مرحلة يرى فيها الله وإليك نص كلامه فقد قال :

« من عبد الله باسمه الحي واستغرق فيه ليلاً ونهاراً شاهد حياة كل شيء وكوشف بسر الملك والملكوت .

ومن عبد الله باسمه الأحد المحيي وأكثر منه ولا حد لأكثره شاهد

(١) « جمهرة الأولياء » للمنوفي (ص ٢٤٢) .

حياة كل شيء ومحبيه .

ومن ذكر بهم جميعاً صعدت روحه إلى الملاء الأعلى وصعدت روحه إلى العرش ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين» (١) .

\* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب لسان الدين الخطيب فقد ادعى هذا الرجل بأن الإنسان من الممكن أن يصل إلى مرحلة يرى فيها كل الغيبات المحجوبات وإليك نص كلامه قال :

« النفوس عند صفائها تتشبه بالملاء الأعلى وتتنقش فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما وتشاهد المحجوبات وتؤثر في العوالم السفلية» (٢) .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب ابن عجيبة الحسني فقد زعم هذا الرجل بأن الله سبحانه وتعالى قد قسم الخلق إلى قسمين قسم وهم العوام والقسم الآخر الخواص الذين يكشف الله لهم المغيبات وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن الحق سبحانه قسم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين : قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته» (٣) .

\* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو القاسم القشيري فقد ادعى بأن الإنسان وهو يترقى في درجات السلوك التي وضعها الصوفية لمريدهم قد يصل إلى مرحلة يصبح لا يخفى عليه شيء من هذا

(١) « أبو الحسن الشاذلي » للدكتور عبد الحليم محمود (ص ٦١٤) .

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص ٤٦٣) .

(٣) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عجيبة الحسني (ص ٧٧) .

الكون فقد قال وهو يتحدث في بيان درجات السلوك :

ثم من خلال هذه الأحوال قبل وصوله إلى هذا المقام الذي هو نهاية  
كان يرى جملة الكون يضيء بنور كان له حتى لم يخف من الكون عليه شيء  
وكان يرى جميع الكون من السماء والأرض ورؤية عيان ولكنه بقلبه وكان لا  
يرى في هذا الوقت بعين لأنه شيء ولكن لم يكن هذه رؤية علم بل لو  
تحرك في الكون ذرة أو نملة (١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن القشيري ادعى بأن الإنسان قد يصل  
إلى مرحلة يرى فيها كل شيء في هذا الكون حتى حركات الذرة والنملة  
الصغيرة بمعنى أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا  
وصف لا يليق إلا بالله فما أجزأ المتصوفة على الله وتعديهم على حقوقه  
ووصف أوليائهم المزعومين بها .

ويقول الشعراني :

« وأما سيدي علي الخواص فسمعتة يقول : « لا يكمل الرجل عندنا  
حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم ﴿ألست  
بربكم﴾ إلى استقراره في الجنة أو في النار » (٢) .

وهنا كما نرى في هذا النص فقد ساوى هذا الرجل بين علم الله وعلم  
الأولياء فماذا بقي لله؟! سبحانك هذا بهتان عظيم .

\* وهذا أحمد الرفاعي يزعم بأن الله أطلعته على سبعة مدائن وكل  
سكانها لا يذكرون الله وهم ليسوا من الجن ولا من الإنس وأن الله يأمر

(١) « رسالة ترتيب السلوك » للقشيري من « مجموعة الرسائل القشيرية » (٢/٧٣٥) .

(٢) « الكبريت الأحمر » (٣/٢) .

الملائكة بأخذ ذنوب أمة محمد وقذفها على تلك المدن السبعة وكل من يصاب منهم بذنوب من الذنوب التي ارتكبتها فرد من أفراد أمة محمد ﷺ يصبح من أهل الجنة .

وإليك نص كلامه فقد قال إبراهيم الأعزب :

« كنت قائماً في بعض الليالي في موضع هناك للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فأيقظني وقال : أي إبراهيم ألا أخبرك أظهرني الله سبحانه في هذه الساعة على سبعة مدائن كل مدينة منها بقدر هذه الدنيا سبع مرات وهي مملوءة من الخلق ليسوا من الجن ولا من الإنس وما فيهم من يذكر الله تعالى وكل ليلة عند غروب الشمس يأمر الله تعالى الملائكة فيأخذون ذنوب أمة محمد ﷺ وينفضوها على تلك المدائن السبعة وكل من أصاب منهم ذنباً فهو من أهل الجنة » (١) .

\* وهذا أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد يدعي بأنه يعرف الجنة قصرًا قصرًا ورأى الشمس في العجلة يجرها ملكان وهذا نص كلامه، فقد ذكر عنه صاحب كتاب « المحاسن الغالية » أنه قال :

« والله إنني لأعرف الجنة قصرًا قصرًا وأعرف النار حانوتًا حانوتًا وأعرف أصحابها في الدنيا واحدًا واحدًا »

وذكر عنه أنه قال أيضًا :

« كشف لي عن الشمس فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق » (٢) .

(١) « قلادة الجواهر » (ص ١٩٣) .

(٢) « نشر المحاسن الغالية » (ص ٧٦) .

\* وهذا علي بن أحمد بن خضر المطوعي المشهور بين الناس بحشيش الحمصاني قال عنه النبھاني :

« أحد أكابر الأولياء العارفين وأخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات أي المحيط الأطلسي وأن به بلدًا لا تبصر أهلها إلا في الظلمة وأنه رأى خلف جبل قاف أرضًا تتحرك بنفسها تسمى الرجراج ليس بها ساكن وأنه رأى إرم ذات العماد وأنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صور مختلفة وبالقطب فوجده يلبس كل يوم لباسًا غير لون الآخر »<sup>(١)</sup> .

قيل لأبي يزيد : دخلت إرم ذات العماد؟ فقال : « دخلت ألف مدينة لله في ملكه أدناها ذات العماد ثم عدد المدن وذكرها فقال : « البيته وتاويل وتاريخي وجابلق وجابرس ومسك »<sup>(٢)</sup> .

وقال البريلوي أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية إحدى الطرق الصوفية بالقارة الهندية ناقلاً عن أمثاله من المتصوفة :

« إن النبي لا يخفي عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة وكيف يخفي عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء ومنه كل شيء » .

ثم قال : « وكيف يخفي أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس فاسمعوا هذا يا منكرين ولا تكونوا لأولياء الله مكذبين فإن تكذيبهم خراب للدين وسيتقم

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبھاني (٢/٣٧٩) .

(٢) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٧/٢) .

اللَّه من الجاحدين وأعاذنا الله بعباده العارفين» (١) .

وقال البريلوي أيضاً :

« الكامل قلبه مرآة الوجود العلوي والسفلي كله على التفصيل » .

وقال أيضاً : « ليس الرجل من يقيد العرش وما حواه من الأفلاك  
والجنة والنار وإنما الرجل من نفذ بصره إلى خارج هذا الوجود كله » (٢) .

ونقل الكلاباذي عن أبي عبد الله الأنطاكي (٣) أنه قال :

« إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب  
يدخلون في أسراركم ويخرجون من هممكم » (٤) .

وقال محمد محيي الدين الأحمدى الشناوي حفيد الشعراني الصوفي  
وهو يتحدث عن مناقب جده الشعراني :

« وكان رضي الله عنه يشهد بقلبه تطور أعماله ثم تصعد إلى أماكنها  
من السماوات والأفلاك ومعرفة الأملاك الذين شاركهم في العمل من حملة  
العرش وملائكة الستور والملائكة الذين نصفهم نار ونصفهم ثلج وذلك لأن  
أعماله الموافقة لأعمالهم تصعد مع أعمالهم إلى حضرة الله تعالى ومعلوم أن  
أهل كل حرفة يعرفون بعضهم » (٥) .

---

(١) « خالص الاعتقاد » للبريلوي (ص ٥٣ - ٥٤) نقلاً عن البريلوية لإحسان (ص ٩٢ - ٩٥) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) هو أحمد بن عاصم الأنطاكي من أقران بشر بن الحارث والسري السقطي والحارث

المحاسبى وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلب لحدة فراسته انظر « الرسالة » للقشيري .

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي (ص ٣٣) .

(٥) كتاب « المناقب الكبرى » لمحمد محيي الدين الأحمدى الشناوي (ص ١٠٨) .



وقال عبد الله بن محمد المشري العلوي التيجاني :

« قال لشيخنا التيجاني: إن القطب منذ وقت جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين رسول الله حجابية أصلاً وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحجب عنه في كل لحظة من اللحظات »<sup>(١)</sup> .

ويقول محمد المهدي السراقي وهو يتحدث عن علم الأولياء ناقلاً عن أحد المتصوفة قال بعض العارفين :

« أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في الأرض والسموات بقدرته التي أنطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان الواقع الذي هو ليس بعربي ولا أعجمي وليس فيه حرف وصوت ولا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهر الحس الناسوتي وهذا النطق الذي بكل ذرة من الأرض والسموات مع أرباب القلوب إنما هو مناجاة السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله »<sup>(٢)</sup> .

ويقول أحمد عز الدين عبد الله خلف وهو يتحدث عن الدسوقي ويقرر بأنه من الذين فتح الله لهم الغيوب .

يقول عنه : « صاحب المحاضرات القدسية والمعراج الأعلى في المعارف والمنهاج الأسنى في الحقائق . . . والباع الطويل في التصريف النافذ والكشف الخارق عن حقائق الآيات والفتح المضاعف في معنى المشاهدات وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق

(١) « إنذار وإفادة إلى بائع دينه بالشهادة » لعبد الله بن محمد المشري (ص ٧٧) .

(٢) « جامع السعادات » لمحمد مهدي السراقي (١/١٣٦) .

وصرفه في العالم ومكنه في أحكام الولاية وقلب له الأعيان وأنطقه بالمغيبات» (١) .

ويقول محمد بن يحيى التاذفي الحلبي القادري وهو يتحدث عن مناقب أحد القادريين :

« ومنهم الشيخ القدوة حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه كان من أجلاء المشائخ وعظماء العارفين . . . صاحب الفتح السني والكشف الجلي . . وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الخلق وصرفه في الوجود وقلب له الأعيان وخرق له العوائد وأنطقه بالمغيبات وهو أحد أركان هذا الشأن وهو أحد الأربعة المتصرفين في قبورهم تصرف الأحياء» (٢) .

ونقلوا عن عبد القادر الجيلاني أنه قال :

وأعلم نبت الأرض كم من نباتة      وأعلم رمل الأرض كم هو رملة  
وأعلم علم الله أحصى حروفه      وأعلم موج البحر كم هو موجة

\*\*\*

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته      أنا الواصف الموصوف علم الطريقة  
ملكك بلاد الله شرقاً ومغرباً      وإن شئت أفنيت الأنام بلحظة  
وقالوا يا هذا تركت صلاتك      ولم يعلموا أنني أصلي في مكة  
مريدي تمسك بي وكن بي واثقاً      فأحميك في الدنيا ويوم القيامة (٣)

ويقول أبو عثمان :

« العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب» (٤) .

(١) « السيد إبراهيم الدسوقي » لأحمد عز الدين (ص ٩٢) .

(٢) « فلائد الجواهر في مناقب عبد القادر » لمحمد يحيى التاذفي (ص ١١٥) .

(٣) « فتوح الغيب » للجيلاني (ص ٢٣٢) .

(٤) « سراج الطالبين » (ص ٢١٠) .

## المطلب الثاني

### بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى

#### وحكم من يدعي علم الغيب

مما سبق في المطلب الأول تبين لنا أن الصوفية بالفعل يدعون أن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنهم لا يخفي عليهم شيء في السماوات والأرض<sup>(١)</sup>.

وإذا عرضنا هذا المعتقد على الكتاب والسنة سنجد بأنه يتصادم مع ما فيهما وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد قرر في كتابه بأن علم الغيب خاص به وأنه لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا جني ولذا فكل من يدعي علم الغيب فهو مفترٍ على الله .

والنصوص التي تدل على اختصاص الله بعلم الغيب من الكتاب والسنة كثيرة جداً وسأذكر منها نماذج فقط للرد على هؤلاء المتصوفة الذين يدعون علم الغيب وسأذكر أولاً النصوص القرآنية ثم سأتابع ذلك بذكر النصوص النبوية .

**أولاً : النصوص القرآنية التي تدل على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره كائناً من كان :**

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن مفاتيح الغيب عنده وحده سبحانه وتعالى وأنه لا يعلمها غيره من الخلق سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو جنًا وأخبرنا بأن علم ما في هذا البر والبحر من الموجودات وأن كل

(١) انظر (ص ٦٧٥ - ٦٩٤) .

ورقة تسقط وأن كل حبة في ظلمات الأرض وأن كل رطب ويابس علمه خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لا يحصل شيء في هذا الكون إلا ما كان مسجلاً في اللوح المحفوظ وأنه العالم بكل ما يقترفه الإنسان من الأعمال الصالحة والطالحة وهذه هي الآية التي تدل على أن مفاتيح الغيب خاصة به سبحانه وتعالى :

\* قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات :

« قوله : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .

وقال ابن عباس : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ قال :

« ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها » .

وقال عبد الله بن الحارث في معنى هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ قال :

« ما في الأرض من شجرة ولا مغرز ابرة إلا وعليها ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا يبست » .

(١) الأنعام : (٥٩ - ٦٠) .

وقال ابن عباس أيضاً :

« خلق الله النون وهي الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ آخر الآية « (١) .

وقال الإمام الشوكاني في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ :

« المفاتيح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن : أي عنده مخازن الغيب جعل للأمور الغيبية مخازن تخزن فيها على طريق الاستعارة أو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح جعل للأمور الغيبية مفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً ، والمعنى أن الله عنده خاصة مخازن الغيب ، أو المفاتيح التي يتوصل بها إلى المخازن » .

وقوله : ﴿ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها . . . وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخدولة .

ثم قال وقوله : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ خصهما بالذكر لأنهما من أعظم مخلوقات الله أي يعلم ما فيهما من حيوان وجماد علماً مفصلاً لا يخفى عليه منه شيء أو خصهما بالذكر لكونهما أكثر ما يشاهد الناس ويتطلعون لعلم ما فيهما (٢) .

(١) « تفسير ابن كثير » (١٣٧/٢) .

(٢) « فتح القدير » للشوكاني (١٢٣/٢) .

وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :  
 « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما  
 تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض  
 تموت إلا الله ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله » (١) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في معرض حديثه تحت هذه الآية :

« فإن قيل ما حكمة تخصيص هذه الأشياء بالذكر؟ قلنا: إن المعلوم أو  
 ما يتعلق به العلم إما موجود وإما معدوم والموجود إما حاضر مشهود وإما  
 غائب في حكم المفقود وليس في الوجود شيء غائب عن الله تعالى فعلمه  
 تعالى بالأشياء إما علم غيب وهو علمه بالمعدوم وإما علم شهادة وهو علمه  
 بالموجود وأما أهل العلم من الخلق فمن الموجودات ما هو حاضر مشهود  
 لديهم ومنها ما هو حاضر غير مشهود لأنه لم يخلق لهم آلة للعلم به كعالم  
 الجن والملائكة مع الإنس ومنها ما هو غائب عن شهودهم وهم مستعدون  
 لإدراكه لو حضر فكل ما خلقوا غير مستعدين لإدراكه دائماً أو في بعض  
 الأحوال فهو إن غاب عنهم غيب إضافي وقد بين الله تعالى لنا في هذه الآية  
 أن خزائن علم الغيب كلها عنده وعنده مفاتيحها وأسبابها الموصلة إليها وإن  
 عنده من علم الشهادة ما ليس عند غيره وذكر على سبيل المثل علمه بكل ما  
 في البر والبحر من ظاهر وخفي ثم خص بالذكر ثلاثة أشياء مما في البر  
 إحاطة علمه بكل ورقة تسقط من نبتة وكل حبة تسقط في ظلمات الأرض  
 وكل رطب ويابس » (٢) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

(١) البخاري مع الفتح (٣٧٥/٨) .

(٢) « تفسير القرآن الحكيم » لمحمد رشيد رضا (٤٥٨/٤) .

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴿ يدل علي كونه تعالى منزهاً عن الضد والند وتقريره أن قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ يفيد الحصر أي عنده لا عند غيره ولو حصل موجوداً آخر واجب الوجود لكان مفاتيح الغيب حاصلة أيضاً عند ذلك الآخر وحيثئذ يبطل الحصر (١) .

وقال الإمام الأمين الشنقيطي في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ الآية ، بين تعالى المراد بمفاتيح الغيب بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) .

ومن كل ما سبق من أقوال المفسرين نستنتج أن كلهم صرحوا بأن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائناً من كان .

\* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣) .

ويستوي في هذا الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء الحقيقيون أو الأولياء المزعومون فإنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله سبحانه وتعالى جلت قدرته .

\* فمن الآيات التي تدل على أن الملائكة لا يعلمون الغيب قوله

(١) « تفسير القرآن الحكيم » لمحمد رشيد رضا (٤/٤٦١) .

(٢) « أضواء البيان » للشنقيطي (٢/١٧٤) .

(٣) النمل : (٦٥) .

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١﴾ .

فإذا نظرنا في هذه الآية نخرج بنتيجة أن الملائكة لا يعلمون الغيب وذلك لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما عجزوا عن معرفة الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام في حين أن مسمياتها كانت معروضة عليهم ولهذا لم يجد الملائكة المخرج من هذا الطلب الذي وجهه الله إليهم سوى أن يسلموا بأنهم لا يعلمون من الأشياء إلا ما علمهم الله إياه فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ورد الله عليهم بقوله : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

وكذلك الرسل وهم أشرف خلق الله لا يعلمون الغيب إلا ما أوحاه الله إليهم سبحانه وتعالى

قال الإمام الذهبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رِصْدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ (٢) .

(١) البقرة : (٣٠ - ٣٣) .

(٢) الجن : (٢٦ - ٢٨) .



قال ابن الجوزي : «عَالِمُ الْغَيْبِ» هو الله عز وجل لا شريك له في ملكه ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ أي يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ لأن الدليل على صدق الرسل أخبارهم بالغيب والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب وفي هذا الدليل على من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم<sup>(١)</sup> .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :  
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾<sup>(٢)</sup> .

ووجه الاستدلال بالآية أن آدم عليه اسلام لو كان يعلم الغيب هل كان يأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه في حين أن خروجه من الجنة مترتب على أكله منها حتمًا الجواب لا ولكنه لما جهل الغيب أكل منها فكان سببًا لخروجه منها وإذا كان آدم عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله لا يعلم الغيب فمن باب أولى دجاجلة المتصوفة لا يمكنهم أن يعلموا الغيب .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :

(١) «الكبائر» للذهبي (ص ٢٧٤) .

(٢) البقرة : (٣٤ - ٣٨) .

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿١﴾ .

فالرسل المذكورون في هذه الآية هم من الملائكة وقد جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام بصورة بشر فظنهم ضيوفاً من البشر مثله فذبح لهم العجل وقدمه إليهم ولكنهم لم يأكلوا منه شيئاً لأنهم ملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فلما قبضوا أيديهم عن الأكل خاف منهم إبراهيم عليه السلام فأخبروه بأنهم مرسلون إلى قوم لوط لقلب الأرض بهم وهذا يدل دلالة قاطعة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى وأنه لا يعلمه أحد مهما كانت منزلته عند الله لأنه لو كان إبراهيم يعلم الغيب لما ذبح العجل لضيفة الملائكة لأنه نبي من أنبياء الله ويعلم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولذا أقول : إن ادعاء المتصوفة بأن الأولياء يعلمون الغيب ادعاء باطل وإفك وافتراء على الله .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

(١) هود : (٦٩ - ٧٠) .

أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿١﴾ .

فلو كان لوط عليه السلام يعلم الغيب لما وقف ذلك الموقف العصيب مستميتاً في الدفاع عن أضيافه ضد رغبة قومه الآثمة في حين أنهم ملائكة أرسلهم الله لإهلاك أولئك القوم وإذا كان لوط عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله يجهل علم الغيب فمن باب أولى أن يجهل علم الغيب أولياء ومشائخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء بمراتب كثيرة ولذا أقول: إن دعوى الصوفية إن الأولياء تنكشف لهم الغيب دعوى لا دليل عليها وإنما هي محض افتراء قالوها اتباعاً لأهوائهم فقط وإلا فإدلة الكتاب والسنة كلها ضدهم .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله عز وجل عن يعقوب عليه السلام حين ضاع منه ابنه يوسف وأخيه : ﴿ قَالَ بَلِّ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ .

فلو كان يعقوب عليه السلام يعلم الغيب لعلم بمكان يوسف في هذا الوقت الطويل الذي عاشه حزينا عليه ثم تبعه أخاه بنيامين ولكنه لما كان علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لم يعلم بمكانهما حتى ذهب إخوة يوسف فاكتشفوا مكانه في مصر والقصة معلومة وهي طويلة تحتاج إلى صفحات

(١) هود : (٧٧ - ٨١) .

(٢) يوسف : (٨٣ - ٨٧) .

والذي يهمننا منها هو أن يعقوب عليه السلام لم يعلم بمكان يوسف في هذه المدة الطويلة التي غاب عنه فيها وإذا كان يعقوب عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله يجهل الغيب فمن باب أولى دجاجلة الصوفية أن يجهلوا الغيب .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١﴾ .

قصة موسى مع شعيب عليهما السلام معروفة حيث إن موسى كان راعياً عند شعيب فلما قضى موسى الأجل الذي حدده سار بأهله مسافراً بهم إلى بلده مصر فأبصر من جانب الجبل ناراً تتقد فقال لأهله : انتظروا فقد أبصرت ناراً لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق الذي أضللناه أو آتيكم بقطعة من الحطب فيها النار تستدفئون بها من البرد . . فلما وصل عليه السلام النار ناداه الله تعالى من جانب الوادي الذي هو عن يمين موسى في ذلك المكان المبارك عند الشجرة بأنني أنا الله رب العالمين اطرح عصاك التي تحملها فألقاها فلما رآها تتحرك كأنها جان من الحيات ولى هارباً منها ولم يرجع على عقبه فنودي أقبل ولا تخف من الذي تهرب منه فإنك في أمان من أن يضرك .

فلو كان موسى عليه السلام يعلم الغيب لما فزع وفر من عصاه في حين أنها ستعود عصا كما كانت ولكن لما كان علم الغيب خاصاً بالله تعالى لم

(١) القصص : (٢٩ - ٣١) .

يعلمه موسى عليه السلام وإذا كان موسى عليه السلام لم يعلم الغيب وهو نبي من أنبياء الله فمن باب أولى أن يجهله دجاجلة الصوفية وهم أبعد ما يكونون عن اتباع الكتاب والسنة .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن داود عليه اسلام : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ۝ (١)

فلو كان داود عليه السلام يعلم الغيب لما جلس للقضاء بين الخصمين في حين أنهما أرسلتا فتنة له ولكنه لما كان يجهل الغيب حكم بينهما وقد تاب وأناب إلى الله فغفر الله له كما هو واضح بين في الآيات .

وإذا كان داود عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله يجهل الغيب فمن باب أولى أن يجهله شيوخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء مهما علت درجاتهم فادعائهم الاطلاع على علم الغيب كذب واقتراء محض .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَذَّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ (١)

(١) ص : (٢١ - ٢٥) .

﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بَنِيَّ يَقِينٍ  
﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾  
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ  
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
الْعَظِيمِ ﴿١﴾

سليمان عليه السلام آتاه الله ملكاً لم يؤته أحداً بعده وقد جمع جنوده من جميع الأجناس في مسير لهم وتفقد عليه السلام أنواع الطير فقال ما الذي جعلني لا أرى الهدهد أخطأه بصري فلم أره وقد حضر أم هو غائب لم يحضر فلما أخبر أنه غائب أقسم ليعذبن الهدهد عذاباً شديداً أو ليقتلنه إن لم يأت به بحجة واضحة تبين لسامعها صحتها فمكث سليمان عليه السلام وقتاً قصيراً حتى جاءه الهدهد فسأله عليه السلام عن تخلفه وغيبته فقال : أحطت بعلم لم تحط به أنت وجئتك من سبأ بخبر يقين لقد وجدت امرأة تملك سبأ وقد أوتيت كل شيء في الدنيا من العتاد والآلة ولها عرش عظيم من ذهب قوائمه من الجواهر واللؤلؤ ووجدت هذه المرأة وقومها يعبدون الشمس فيسجدون لها وحسن لهم إبليس عبادتهم هذه فمنعهم بذلك أن يتبعوا دين الله الحق فهم لا يهتدون له ولا يسلكونه . . . زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يخرج المخبوء في السماوات والأرض من الغيث والنبات ويعلم السر من أمور خلقه والعلانية فهو وحده الذي لا معبود سواه ولا تصلح العبادة إلا له سبحانه وتعالى .

والمقصود من إيراد هذه القصة أن سليمان عليه السلام لم يعلم بمكان

(١) النمل : (٢٠ - ٢٦) .

الهدهد التي اتجه إليها مع أنه نبي من أنبياء الله حتى جاء الهدهد وأخبره بهذه المملكة العظيمة التي كانت غائبة عن سليمان عليه السلام وإذا كان الأنبياء يجهلون الغيب فمن باب أولى أن يجهله غيرهم .

وهناك آيات كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى وتنفيه عما سواه من المخلوقات .

\* من هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) .

فإذا نظرنا في هذه الآية نجدها صريحة في حصر علم الغيب في الله وحده ونفيه عما سواه يقول الإمام القرطبي المفسر الكبير رحمه الله تعالى تحت هذه الآية :

« فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويشته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك ألا تسمع قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقول الله تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٣) فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره .

\* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب محصور في الله قول الله تعالى : ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٤) .

إذا نظرنا في هذه الآية نجد بوضوح وصرحة قد بينت بأن علم الغيب

(١) النمل : (٦٥) .

(٢) الأعراف : (١٨٧) .

(٣) القصص : (٨٨) .

(٤) يونس : (٢٠) .

خاص بالله سبحانه وتعالى ومحصور فيه لا يشركه فيه أحد من خلقه مهما كانت درجته وذلك لأن « إنما » من أدوات الحصر .

\* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وفي هذه الآية أيضاً نرى أن علم الغيب حصره الله سبحانه وتعالى في نفسه وذلك لأن تقديم الجار والمجرور من أدوات الحصر ولذا أقول : إن من ادعى علم شيء من علم الغيب فقد ادعى بأنه قد شارك الله في خاصية خص الله بها نفسه .

\* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى قوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

\* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (٣) .

\* وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

\* وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَّلَعَ عَلَيْكَ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ (٥) .

(١) هود : (١٢٣) .

(٢) النحل : (٧٧) .

(٣) الكهف : (٢٦) .

(٤) فاطر : (٣٨) .

(٥) آل عمران : (١٧٩) .



وبالجملة فكل هذه الآيات التي تقدم ذكرها تدل دلالة واضحة  
وصريحة على اختصاص الله بعلم الغيب وحده دون من سواه فلا يعلم  
الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بمن سواهما .

كما وردت آيات أخرى كثيرة تنفي عن الرسول محمد ﷺ علم الغيب  
مع أنه أفضل الخليفة على الإطلاق ومعلوم أنه إذا كان الرسول وهو أحب  
خلق الله إليه لم يعلمه الغيب فغيره من باب أولى أن يجهل علم الغيب ومن  
هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ  
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ  
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا تحت هذه الآية :

« وإذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب  
التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة  
الذاتية وعلم الغيب خاصاً به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه فمن أين  
جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة  
وكرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفين وغير المعروفين » (٢) .

وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ  
مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٣) .

ففي هذه الآية قد حكى الله لنا على أن عيسى عليه السلام أسند علم

(١) الأنعام : (٥٠) .

(٢) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٤٢٥/٧) .

(٣) المائدة : (١١٦) .

الغيب إلى الله وحده وتبرأ هو من علم الغيب وإذا كان عيسى عليه السلام كذلك وهو من الرسل الكرام فغيره من باب أولى أن ينتفي عنه علم الغيب .  
هذا ما يتعلق بما جاء في القرآن من الآيات التي تدل دلالة واضحة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى .

ثانياً : الأدلة من السنة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى :

لقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لم يعلم الغيب للرسول محمد ﷺ وهو أحب خلق الله إليه فضلاً عن غيره .

\* من هذه الأحاديث ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال :  
«من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : لا يعلم الغيب إلا الله» (١) .

فإذا كان محمد بن عبد الله سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائناً من كان لا يعلم الغيب .

\* ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «  
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأحم إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا ولا يعلم متى يأتي المطر أحداً إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» (٢) .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة :

« استعار للغيب مفاتيح بما نطق به الكتاب العزيز ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣٦١/١٣) .

(٢) البخاري مع الفتح (٣٦١/١٣) .

الْغَيْبِ ﴿١﴾ وليقرب الأمر على السامع لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب الأبواب والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أخرى ألا يعرف (١) .

\* وعن إياس بن سلمة قال : حدثني أبي أنه كان مع النبي ﷺ إذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق ومعه مهرة له يبيعهها فقال : من أنت؟ قال : «أنا نبي الله» قال : وما نبي الله؟ قال : «رسول الله» قال الرجل : متى تقوم الساعة؟ فقال ﷺ : «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله» قال : متى تمطر السماء؟ فقال ﷺ : «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله» قال الرجل : ما في بطن فرسي هذا؟ فقال ﷺ : «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله» . قال : أرني سيفك فأعطاه النبي ﷺ سيفه فهزه الرجل ثم رده إليه فقال ﷺ : «أما إنك لم تكن تستطيع الذي أردت» يقول : إياس وكان الرجل قال اذهب إليه فاسأله عن هذه الخصال ثم اضرب عنقه (٢) .

\* وروى الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة رجل من أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال : إن أرضنا أجذبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣) .

(١) «فتح الباري» (١٣/٣٦٥) .

(٢) «أسباب النزول» للنيسابوري (ص١٩٨) .

(٣) نفس المرجع السابق (ص١٩٩) والآية من سورة لقمان : (٣٤) .

وروى خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت : جاء النبي ﷺ يدخل حين بنى عليّ فجلس على فراش كمجلسك فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد فقال ﷺ : « دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين » (١) .

فإذا نظرنا في الحديث السابق نرى أن الرسول ﷺ حرص على تصحيح العقيدة الإسلامية في مسألة الغيب ولو أغنية من الأغنيات مما كانت الجارية تنسب إليه ﷺ شيئاً من علم الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هذا القول : « فلا يعلم ما في غد إلا الله » وطلب منها أن تعود إلى ما كانت تتغنى به من ذكر أوصاف البطولة والفداء فما بالناس في هذه الأيام يتساهلون في هذه المسألة الخطيرة وينسبون علم الغيب لكل من هب ودب من أولياء وكهنة وسحرة ومنجمين ويزعم المتصوفة أن الله قد كشف عن شيوخهم الحجاب فأشركوهم بهذا الزعم في خاصية هي لله تعالى وحده وكما سبق لنا فقد أسس المتصوفة عقيدتهم تجاه الأولياء على الادعاء بأنهم يعلمون الغيب معرضين عن الأدلة الشرعية والتي مصدرها كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ .

وعن طريق هذا الادعاء والزعم الباطل شككوا الناس في مصادر الشرع الصحيحة ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله وشرعوا لهم شرائع أخرى زاعمين بأنهم يطلعون على الغيب ويتلقون علوماً عن الله خاصة بهم دون غيرهم من الأمة الإسلامية .

(١) البخاري مع الفتح (٢٠٢/٩) .

## موقف علماء الإسلام ممن يدعي علم الغيب :

لقد وقف علماء الإسلام الأجلاء الذين فهموا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ فهماً صحيحاً موقفاً مشرفاً من كل من يدعي علم الغيب وشنعوا عليهم ادعاءهم هذا بل حكموا عليهم بالكفر والضلال .

\* ومن هؤلاء العلماء الذين شنعوا على كل من يدعي علم الغيب الإمام أبو حيان المفسر المشهور رحمه الله حيث قال مشنعاً على المتصوفة الذين يدعون علم الغيب مع جهالتهم بالأحكام الشرعية تحت قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾<sup>(١)</sup> :

قال : « ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوفية أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رءوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية »<sup>(٢)</sup> .

والله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم .

(١) الأنعام : (٥٩) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٨/٢) .

(٣) النمل : (٦٥) .

فارتموا يدعون أمراً عظيماً      لم يكن للخليل ولا الكليم  
بينما المرء منهم في انسفال      أبصر اللوح ما به من رقوم  
فجنى العلم منه غضاً طرياً      ودرى ما يكون قبل الهجوم  
إن عقلي لفي عقال إذا ما      أنا صدقت بافتراء عظيم<sup>(١)</sup>

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تكفير من ادعى شيئاً من علم الغيب:

« قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده « رسله » فمن قال : إنه ينزل الغيث غداً وجزم به فهو كافر أخبر عنه بأمانة ادعاها أم لا ، وكذلك من قال : إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر ، فإن لم يجزم وقال : إن النوء ينزل الله به الماء عادة وإنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر جهلاً بلطف حكمته لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء .

قال الله تعالى : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر »<sup>(٢)</sup> .

قال : وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً<sup>(٣)</sup> .

وقال القرطبي أيضاً في حكم اتخاذ المنجمين والذهاب إليهم وأن من

(١) « البحر المحيط » لأبي حيان (١٤٩/٤) .

(٢) أي في الحديث القدسي الذي رواه البخاري مع الفتح (٣٣٣/٢) .

(٣) « تفسير القرطبي » (٢/٧) .

فعل ذلك فقد ارتكب من كبائر الذنوب .

قال علماؤنا: « وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لاسيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين بل انخدع كثير من المتسبين للفقه والدين فجاؤا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أموالهم على السراب والآل ومن أديانهم على الفساد والضلال وكل ذلك من الكبائر لقوله عليه السلام : « لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »<sup>(١)</sup> فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم »<sup>(٢)</sup> .

والخلاصة التي نخرج بها هو أن علم الغيب خاص باللَّه سبحانه وتعالى لا يشركه فيه أحد وذلك لما ذكرناه من نصوص قرآنية من كتاب الله تعالى ونصوص نبوية من سنة رسوله محمد ﷺ وأقوال العلماء وأن من يدعي الاطلاع على المغيبات التي لا يمكن أن يطلع عليها غير الله سبحانه وتعالى فقد كفر كما قال علماؤنا الأجلاء فيما سبق ومن هنا نقول : إن المتصوفة الذين ادعوا علم الغيب قد وقعوا في انحراف عقدي خطير فيجب عليهم إن كانوا أحياء أن يتوبوا من هذا المعتقد الفاسد ويرجعوا إلى المعتقد الصحيح والذي هو أن الغيب علمه خاص باللَّه سبحانه وتعالى أما ما سواه من المخلوقات فليس لديهم القدرة على الاطلاع على علم الغيب وقد أثبت ذلك فيما سبق بإيراد نصوص قرآنية وأحاديث نبوية على أن الأنبياء والملائكة وهم أفضل المخلوقات لم يعلموا الغيب فغيرهم من باب أولى أن لا يكون مؤهلاً للاطلاع على الغيوب والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

(١) « مسند أحمد » (٦٨/٤) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٣/٧) .

## المبحث الرابع

توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة  
وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت  
بأنهم يتوجهون إلى الأولياء  
بالدعاء والاستغاثة.

المطلب الثاني : حكم الإسلام في دعاء غير الله .





## المطلب الأول

ذكر النصوص التي تثبت بأنهم يتوجهون

إلى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة

لقد بينا في المبحث السابق بأن الصوفية يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب وذلك بإيراد نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم الذين يعتبرونهم أئمة في الأوساط الصوفية ثم أتبعنا ذلك بالرد عليهم وإبطال مزاعمهم وأثبتنا بأن الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبوب عند الله لأن علم الغيب من الخصائص التي اختص الله بها دون غيره من المخلوقات<sup>(١)</sup>.

واعتقاد المتصوفة في الأولياء بأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب أدى بهم هذا الاعتقاد الفاسد إلى اعتقاد النفع والضر في الأولياء فتوجهوا إليهم بالدعاء والاستغاثة طالبين منهم تفريج الكرب والنجاة من النار والدخول إلى الجنة وهذا ما نريد أن نبينه الآن في هذا المبحث إن شاء الله وسأبدأ أولاً بذكر النصوص التي تثبت توجههم إلى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة ثم سأتبعه في المطلب الثاني ببيان حكم الإسلام في دعاء غير الله.

وها أنا أشرع فأقول :

(١) انظر (ص ٦٧٥ - ٧١٨).

« لقد اشترط الصوفية على المرید الذي يريد أن يصل إلى مرتبة الولاية الصوفية أن يعلق قلبه دائماً بشيخه قائماً وقاعداً وحتى ذاكراً ويتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة في كل ما يريده .

وإليك النصوص التي تثبت على أنهم يشترطون هذا .

قال محمد أبو الهدى الصياد الرفاعي :

« إن من ضاق حاله لمهمة أو لحاجة أو عسر عليه مقصد أو كان عليه دين أو كان في سجن أو بغى عليه ظالم فليتوضأ ويصلي ركعتين ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ويكون ذلك العمل في بيت خال ويقرأ الفاتحة للنبي ويتوجه قائماً للشرق ليرى البصرة لفلاة أم عبدة محل مرقد الغوث الحسيني سيدي السيد أحمد الرفاعي وينادي بالاعتقاد والانكسار: يا وسيلة الطالبين يا كعبة الطائفين يا غوث الخلق يا باب الحق يا أشجع الفوارس يا أبا المدد . . يا مصد الطلاب يا معجزة الرسول يا سر الله يا درة الغيب يا سيف القدرة يا نائب النبي الجليل يا خليفة إبراهيم الخليل يا مبرد النار يا مبدل السموم . . . يا موصل كل أخرج يا قطب الأقطاب المتصرفين يا مظهر حضرة القدس في كل مكان وأمان يا صاحب الآيات الباهرة يا كثر العنايات يا صاحب التصرف في الحياة والممات . . . أغثني توجه لجدك خير الأنام وقوموا بقضاء حاجتي . . أدركني يا أحمد الأولياء رضي الله عنك أغثني »<sup>(١)</sup> .

ففي النص السابق أمر الصيادي كل من أصيب بأمر يكرهه ويريد أن يرفع عنه بالتوجه إلى قبر أحمد الرفاعي ويدعوه ويستغيث به طالباً منه الإغاثة وتفريج ما به ولا حاجة إلى تجديد أماكن الشاهد في النص لأن كله شواهد

(١) « قلادة الجواهر » (٢٣٧) .

واضحة وهذا شرك صريح ينقل عن ملة الإسلام لأنه فيه القول بجواز صرف عبادة لغير الله .

ويقول عبد المجيد محمد الخاني النقشبندي :

« اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته ولها صور أهونها أن يتصور المرید صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة ولا يزال متوجهاً إليه بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب . . . وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ . . . فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين » (١) .

ففي هذا النص أمر عبد المجيد أن يربط الإنسان الصوفي قلبه بشيخه دائماً وأبداً ويتوجه إليه بكل حواسه إذا أراد أن تقضى له حوائجه لأن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون أحياءً وأمواتاً فيجب على كل صوفي التوجه إلى أهل التصرف كلما أراد شيئاً من الأشياء ونحن نقول : وأين الله أيها الصوفي الوقح الذي قال في كتابه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٢) .

وهكذا المتصوفة أصبحوا دعاة إلى الوثنية والشرك فأوقعوا ملايين من الأمة الإسلامية في الشركيات حيث أمرهم بالتوجه إلى الأولياء أحياءً وأمواتاً .

(١) « السعادة الأبدية » (٢٢ - ٢٣) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

ويقول ابن عجيبة الحسني متحدثاً عن آداب المرید مع شيخه :

« للقوم في لقاء المشائخ آداب منها أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله إن جرت بذلك عادة الفقراء فهو من أحسن التعظيم . . . ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار خافضين أصواتهم ناكسين رءوسهم غاضين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالسلام » (١) .

« فإن تعذر عليه « أي على المرید » الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيبته ويشكو له فإنه يبرأ بإذن الله وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه » (٢) .

ففي النص السابق أمر ابن عجيبة المرید إذا لم يستطع الوصول إلى شيخه لسبب من الأسباب أن يتوجه إليه بقلبه ويشكو إليه حاله حتى يفرج ما به من مصائب وهذه دعوة صريحة إلى التوجه إلى غير الله بالدعاء والاستغاثة لتفريج الكرب والنص كما هو أمامنا واضح جداً ولا يحتاج إلى شرح أو تحديد الشاهد منه .

ويقول سراج الدين الرفاعي الصيادي ويشاركه أبو الهدى الصيادي متحدثاً عن آداب المرید مع شيخه :

« ومن آداب المرید اللازمة : أولاً حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والحضور والتواضع له ولذريته وأقاربه وثبوت القدم على خدمته وأوامره

(١) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص ٣٠٨) .

(٢) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص ٣٣٩) .

كليها وجزئها وربط القلب به واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات واستمداد همته والفناء فيه وأن يكون ملازماً له لا يفترق عنه طرفة عين ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المرید كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها ويعانقها ويجامعها فخرج منكراً على شيخه فأخذ منه حالاً جميع ما استفاده من شيخه ومع ذلك أن المرأة امرأة الشيخ وزوجته « (١) .

ففي النص السابق أمر الرفاعي للمريد أن يراعي شيخه سواء كان حاضراً أو غائباً ويحذر من الوقوع فيما يكرهه الشيخ لأن المتصوفة يعتقدون أن الشيخ يعلم كل ما يجري في هذا الكون ثم أمره أيضاً أن يستحضر أمامه دائماً شخصية شيخه إذا أراد أن تقضى له مهماته ويطلبه من شيخه وحذره أيضاً من إنكار المنكر على شيخه حتى لا يسلب ما استفاده من شيخه وذلك لأن المتصوفة يعتقدون أن مشائخهم أعلى وأعظم من أن ينكر عليهم وهذا سأعرض له إن شاء الله حينما نتكلم في الآثار التي نتجت عن الفكر الصوفي في العالم الإسلامي (٢) .

ونحن نقول إن الشيخ بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولذا لا يستحق هذه الأمور التي أمر الصيادي المرید أن يقوم بها نحو شيخه .

وذلك لأن المطلوب من المؤمن بالله وبرسوله حقاً هو أن يراقب الله في السر والعلن لأنه هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأن

(١) « قلادة الجواهر » للصيادي (٢٧٨) وكذلك « تنبيه الأخوان » لأحمد سكيرج .

(٢) انظر (٩٦٤ - ١٠٠١) .

يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى في كل ما يطلبه من دفع شر أو جلب خير .  
ولذا أقول : إن دعوى الصيادي هذه هي دعوة وثنية لأنه حث الناس  
على عبادة الشيوخ .

ويقول يوسف العجمي :

« ومن شأن المرید إذا ذكر الله تعالى أو فعل عبادة من العبادات أن  
يستحضر نظر شيخه إليه ليتأدب ويضم شتات قلبه »<sup>(١)</sup> .

ولا ندري ماذا يرد العجمي من هذا الكلام أيريد أن ينوي شيخه مع الله  
في أي عبادة من العبادات أم لا !!؟  
وإلا فما الداعي أن ينوي شيخه ونظره إليه . . وهل الشيخ يعلم  
الغيب !!؟

ويقول علي بن عثمان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي حائماً أتباعه بالتوجه  
إليه في كل ما يريدون تحقيقه في هذه الدنيا :

« يا سادة من كان له منكم حاجة فليزمني بها ومن شكى إلى سلطانه  
أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه إن كانت لا تنبت أو نخلة لا تثمر أو  
دابة لا تحمل فليزمني بها فإنني مجيب له »<sup>(٢)</sup> .

ففي النص السابق أمر الرفاعي أتباعه أن يتوجهوا إليه ويدعوه في كل ما  
يريدون وأكد لهم بأنه يسجبيهم وينفذ لهم كل ما يطلبون وهذه دعوة صريحة  
إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى .

---

(١) « الأنوار القدسية » (٢/٩٨) ونحوه في « تنبيه الإخوان على أن الطريقة التيجانية لا يلقها  
إلا من له إذن صحيح » لأحمد سكيرج كل الكتاب من أوله إلى آخره في آداب المرید .

(٢) « روضة الناظرين » (ص ٨٤) .

ويذكر الصيادي قصة قوم في بيروت يستغيثون بالبدوي وهو في قبره في مصر ويسألونه بحق النبي ﷺ أن ينجيهم من قبضة الإفرنج والصليبيين .  
يقول الصيادي :

« وذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الإفرنج فألهمهم الله أن يقولوا : يا سيدي أحمد يا بدوي إن الناس يقولون إنك تأتي بالأسرى إلى بلادهم وقد سألناك بالنبي ﷺ أن تردنا إلى بلادنا فمكنهم البدوي من الهروب من الإفرنج »<sup>(١)</sup> .

فهذه القصة فيها دعوة صريحة إلى التوجه إلى الشيوخ بالدعاء والاستغاثة والزعم بأنهم يغيثون من استغاث بهم ولم يورد هذه القصة إلا لتشجيع الناس لكي يقدم على عبادة البشر ويتركوا عبادة الله .

وروى النبهاني عن عامر العراقي أنه أتى الشيخ إبراهيم الأعزب مودعاً فقال له إبراهيم : إذا وقعت بشدة فناد باسمي ، قال عامر : ففي صحراء خراسان أخذتنا خيالة (قطاع الطرق) فذكرت قول الشيخ وكان بجانبه رفقة فاستحييت من ذكر اسمه بلساني لأنهم لا يفهمون مثل ذلك فاختلج في صدري الاستغاثة به فلم ينم ذلك حتى رأيته على جبل يومئ بعضا إليهم فجاءوا بجميع أموالنا<sup>(٢)</sup> .

ففي هذا النص ذكر النبهاني بأن هذا الصوفي توجه إلى شيخه الصوفي بالدعاء والاستغاثة فأغاثه كما زعم هو وإن كنا نحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لم يغيثه لأنه ليس باستطاعته أن يغيث نفسه بعد أن مات ودخل تحت الثرى

(١) « قلادة الجواهر » (ص ٢-٤) .

(٢) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (١/٣٩٤) .



فضلاً عن أن يغيث غيره والذي يهمنا من النص هو أن هذا الرجل توجه إليه بالدعاء والاستغاثة .

وذكر محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي أنه لما مات الشيخ عبد الله البلتاجي زاره يوسف العجمي فضاعت حمارته في الطريق فجاء إلى قبر البلتاجي وقال له :

« يا عبد الله رد علي حمارتي وإلا لم أعد أزورك فطلع الشيخ عبد الله من القبر وأتاه بالحمار من البرية وقال : يا يوسف إذا جئت لزيارتنا مرة أخرى فقيد حمارتك بقيد من حديد »<sup>(١)</sup> .

والشاهد في النص أن هذا الرجل الصوفي توجه إلى شيخه بالدعاء والاستغاثة طالباً منه رد حمارته التي ضاعت منه وأنه بالفعل ردها إليه كما زعم هو .

ورأى أحد مريدي الشيخ عز الدين الصيادي أن ينقطع عن مجلسه وتعذر له بأعذار عديدة وفي إحدى الليالي رأى القيامة قد قامت وأنهم جاءوا به إلى جهنم فلما قذفوه في النار صاح ( يا شيخني ) فمد شيخه عز الدين الصيادي يده واجتذبه قبل أن يصل وقد لفح النار ثيابه فاستيقظ مذعوراً مرعوباً وقام لوقته ذاهباً إلى شيخه المذكور فلما دخل عليه أكب على رجليه معتذراً قال له شيخه عز الدين : « لفح اللهب كما مس ثيابك جئتنا وصانك الله من النار » .

قال المرید : « لقد رأيت أثر لفح اللهب في ثيابي وفي جبة أكمام سيدي حيث صارت دخاناً »<sup>(٢)</sup> .

(١) « قلادة الجواهر » (ص ٤١٣) .

(٢) « إرشاد المسلمين » (ص ١٠٢) وكذلك « خزنة الأمداد في تاريخ بني صياد » (ص ٢٩ - ٣٠) .

وهكذا يتضح لنا في النص السابق أن هذا الصوفي زعم بأن أحد المريدين استغاث بشيخه لكي ينجيه من جهنم وبالفعل استجاب له ونجاه كما زعم هو والذي يهمننا من النص هو استغاثة هذا الرجل بشيخه عز الدين الصيادي تاركًا وراءه الله سبحانه وتعالى الذي يجيب المضطر إذا دعاه والذي هو بإمكانه أن يغيث من استغاث به أما هؤلاء المتصوفة الذين يزعمون هذه المزاعم فهم كذبة فجرة لا يملكون لأنفسهم دفع الضر ولا جلب النفع فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم .

أما الآن فإليك جملة من النصوص الشعرية التي قالها المتصوفة متوجهين إلى مشائخهم طالبين منهم الإغاثة وتفريج الكرب .

فقد قال محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي متوجهاً إلى شيخه الرفاعي بالدعاء والاستغاثة :

يا رفاعي وقعت في أعتابك	فتدارك عبداً يلوذ ببابك
يا رفاعي يا غوث كل البرايا	لا تضيع طفلاً جميلاً الرجا بك
أنت غوث الوجود مفتاح كنز الـ	وجود والخير صح من ميزابك
أنت حصن الملهوف والباذل الـ	معروف والعاجزون من أحزابك

\* \* \*

وأنا عبدك الذي باعتقاد	علقت راحتاه في ثوابك
فتحرك بهممة وأغنني	وتذكر تشرفي بانتسابك
رضي الله عنك أدرك فاني	يا رفاعي وقعت في أعتابك <sup>(١)</sup>

(١) « الكنز المطلسم » للصيادي (ص ٦١ - ٦٢) .

وهكذا كما نرى في هذا النص وصف الصيادي شيخه الرفاعي بأنه غوث البرايا وغوث كل هذا الوجود بكل ما فيه ووصفه بأنه حصن لكل ملهوف أصيب بكارثة وملجأ له ثم طلب منه في الأخير أن يغيثه وذكر له بأنه قد وقع في أعباء طالب الإغاثة وفرج ما به من كرب وهذه كلها أمور لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى فهو غيث البرايا والوجود بأكمله وهو الذي يغيث من استغاث به أما غيره من المخلوقات فلا يصح أن يوصف بهذه الأوصاف التي وصف الصيادي شيخه الرفاعي بها فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغيره سبحانه ومن صرفه لغير الله فقد وقع في الشرك والمهم هذا النص كله من أوله إلى آخره شرك جلي

ويقول محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي أيضاً موجهاً الناس وداعياً لهم إلى التوجه بالدعاء والاستغاثة بالرفاعي :

لذا بباب الجليل الرفاعي	ولك الأمن مسلم الدواعي
وتململ برحبه فمحاه	حرم الوصل قاطع الانقطاع
فهو في العارفين كعبة بيت ال	وصل محراب جامع الانتفاع
وملاذي وملجأئي ونصيري	ومغيثي ومنقذي من ضياع
فعليه الرضا من الله ما صلى مصل	وطاف بالبيت ساعي <sup>(١)</sup>

ويقول الصيادي أيضاً واصفاً شيخه الرفاعي :

يلاذ به إن جار في الدهر حادث ويحمي بعلياه إذا الزمن اعتدى<sup>(٢)</sup>

ويقول الصيادي أيضاً مستغيثاً بشيخه الرفاعي :

(١) « ديوان الفيض » المدي (ص ١٢٠ - ١٢١) .

(٢) « تنوير أبصار » (ص ١٠) .

به أحتمي إن سامني عذر غادر      ودومًا إليه في الصعاب التجائيه  
ومن كرب أستغيث باسمه      فذا مأمني من كل عاد وعاديه  
وما لي سواه في الأنام وسيلة      ولا منجد أيام تسطو أعاديه  
وما لي إله إذا جئت خائفًا      وقمت أؤدي في القيام حسابيه<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجدها كلها من أولها إلى آخرها شرك  
بواح واضح لا غموض فيه .

فقد أمر الصيادي من أراد تحقيق مأرب من المآرب أن يلوذ بالرفاعي  
وَيتملَم بِحَمَى الرَّفَاعِيِّ ، ثم صرح الصيادي بأن الرفاعي هو ملاذه الوحيد  
وملجأه ونصيره ومغيثه ومنقذه من الضياع وهذه كلها أوصاف لا تليق إلا بالله  
ومن زعم أن هذا يجوز وصف مخلوق به فقد وقع في الشرك الأكبر .

ثم وصف الصيادي شيخه الرفاعي بأنه الملاذ إذا حدث أي حادث في  
هذا الكون وأنه الحمى الوحيد الذي يحمي به إذا خاف الإنسان أن يصاب  
بأي مكره في هذا الزمن وهذا أيضًا لا يكون إلا لله فإنه هو الملاذ الوحيد  
لكل من أراد النجاة في هذا الكون .

ثم صرح الصيادي بأنه يحمي بالرفاعي من غدر كل غادر في هذه  
الدنيا وأنه دائمًا في كل الصعاب لا يلتجئ إلا إليه لأنه ملجأه الوحيد الذي  
ليس له ملجأ سواه وأنه يستغيث به باسم الرفاعي إذا أصيب بأي كرب من  
الكروب في هذه الدنيا لأنه مأمنه الوحيد الذي يحمي به ويطلب منه النجدة  
والنصرة .

وهكذا الصيادي نسي خالقه الذي قال في كتابه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ  
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

(١) « الكثر المطلسم » (ص ٨٤ - ٨٥) .

دَاخِرِينَ ﴿١﴾ .

والذي قال أيضاً : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَاكَ ﴿٢﴾ .

والذي يقول أيضاً : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴿٣﴾ .

فتوجه الصيادي إلى شيخه الرفاعي بتلك الأدعية التي سبق ذكرها والتي

هي كلها شركيات كما نراها أمام أعيننا فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ويقول محمد نور أفندي متوجهاً إلى الرفاعي بالدعاء والاستغاثة :

يا ابن الرفاعي الرفيع مقامه	يا سيد الأقطاب والسادات
شرفت قيعان العراق جميعها	فغدت بقبرك مهبط البركات
كم نظرة وجهتها لمضيع	فجمعت الأمر منه بعد شتات
ولكم صرفت القلب نحو عويجز	فرفعت رتبته إلى الغايات
يا من يؤمل كل يوم ملمة	يا من يؤم حماه للفضحات
يا صاحب العلمين يا بحر الندى	يا عمدتي أبداً وحصن نجاتي
أدعوك غوثاً يا ابن بنت محمد	يا سيدي يا عالي الدرجات
لا تقطن رحمي لذنب مسني	وأقل دائماً بفضلك عثراتي ﴿٤﴾

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) « الكنز المطلسم » (ص ٨٠ - ٨١) .

إذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن النص من أوله إلى آخره شرك صريح حيث وصف محمد نور أفندي شيخه الرفاعي بأنه هو الأمل الوحيد عند حصول أي ملمة وإن حماه هو الذي يأمه كل من أصيب بفضائح في هذه الدنيا حتى يسترها عليه وأنه عمدته وحصنه الوحيد وأخيراً طلب منه الإغاثة وإقالة عثراته التي قد تقع منه .

وهذه أوصاف لا يجوز أن يوصف بها غير الله سبحانه وتعالى ومن صرفها لغير الله كما فعل هذا الصوفي فقد وقع في الشرك الأكبر .

ويقول عبد القادر أفندي الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد في مدح الرفاعي :

الجم المناقب من سلالة أحمد	شيخ الورى ابن أبي رفاعة أحمد
بعد النبي لخطبها المتلدد	غوث الخليفة والغياث المرتجى
وإن الغوث شيخ الكل يقصد	قصدت الغوث شيخ الكل أحمد
إمام القوم والشهم الممجد	أبو العلمين مولانا الرفاعي
متى ناديته في الحال يوجد	فيا لله من غوث جليل
فإني من نوالك صرت أحسد	تداركني أبا العليا بلطف
وجرد سيفك العصب المهند	وأدرك مسرعاً واردد حسودي
يؤمل منك أن يحمى وينجد	وكيف لا تجير أبا هموم
وبابك دائماً للخير مرصد	وأنت الغوث يا شيخ البرايا
ولا أحد من الأعتاب يطرد <sup>(١)</sup>	ملاذ الكل في الدنيا حماه

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن الغلو فيها واضح حيث وصف

(١) « الكنز المطلسم » (ص ٨١) .

هذا الصوفي للرفاعي بأنه غوث كل الخليفة وأنه الغياث المرتجى وأنه قد قصد الغوث الرفاعي وكل الناس يقصدونه لتفريج ما بهم من الكرب ثم وصف الرفاعي بأنه متى ناداه أي إنسان يأتيه حالاً ويقضي له قرضه ثم طلب من الرفاعي أن يتداركه بلطفه وهو مسرع ثم قال وأنت الغوث يا شيخ البرايا وأنه بابه يقصده كل من يريد الحصول على الخير وأنه المنجد الوحيد وملاًداً لكل من في هذه الدنيا وحماه ولا يطرد أحد من أعتاب قبره .

ولا عجب في هذا فإن الصوفية يعتقدون بأن الاستغاثة بالأنبياء والأولياء جائزة مطلقاً بلا قيد ولا شرط أحياناً وأموأناً كما قال الشهاب الرملي: إن الاستغاثة بالأولياء والأنبياء والعلماء والصالحين جائزة فإن لهم إغاثة بعد موتهم كحياتهم<sup>(١)</sup> .

ويقول أحد المتصوفة في السيد البدوي وداعياً كل من أصيب بمصيبة وأراد أن تنفج عنه بالتوجه إلى السيد البدوي<sup>(٢)</sup> :

يا من رماه الدهر بالإزعاج	ناد بعزم يا أبا فراج
فهذه الأزمان من الحوادث إن أتت	وهو الملاذ لنا وعون الراجي
وهو المراد إذا الخطوب تراكمت	وهو المجيب لدعوة المحتاج
وهو الطبيب لنا ومرهم طبه	يبرى ضعيف الحال دون علاج <sup>(٣)</sup>
وقال فيه أحد المتصوفة أيضاً :	
وهو المجيب لسائل يتوسل	إذ باسمه عند المخاوف يهتف
وهو الملاذ إذا الخطوب تراكمت	وهو المعاذ في الشدائد يعرف

(١) « مشارق الأنوار في نور أهل الاعتبار » لحسن العدوى (ص٦٧) .

(٢) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٢٨٠) .

(٣) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص٢٨١) .

وهو الذي في الكرب يكشف غمه وهو الذي يلقى السعادة عنده وهو الذي يحنو عليك ويعطف وهو الذي عمّن اعتابه كل المخاوف والمتاعب يكشف<sup>(١)</sup> ويقول فيه آخر :

إني أتيتك راجياً ومؤملاً أنقذ مریدك من الأشرار وانظر علي بنظرة علوية أنجو بها من عصبة الفجار أنا والذين معي فإنك عارف واللّه مطلع على الأسرار<sup>(٢)</sup>

وقال الآخر متوجهاً إلى السيد البدوي أيضاً بالدعاء والاستغاثة :

أتيت محاك الرب استمطر الندى وبذل إياد حاله من مضارع وحاشا وكلا أن أخيب وإن لي فؤاداً بقصد الغير ما هو قانع نحوتك أرجو منك سالف عادتي فجد لي وأسعفني بما أنا طامع أغيرك ينحوه المؤمل أو سوى رحابك أهل تنني اليد المطامع<sup>(٣)</sup> وقال فيه آخر :

ومما أبغي يا أبا الفتيان في خطب هاج القلب من حسراته من لي سواك أرومه في كشفه أو أرتجي إن ضقت من وثباته عار عليك إذا أردت خويدماً قصر الفؤاد عليك في حاجاته<sup>(٤)</sup> إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن هؤلاء المتصوفة قد غلو في السيد البدوي غلواً شديداً حتى رفعوه إلى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعاً

(١) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص ٢٨١) .

(٢) « متابعة الأسرار ومطالعة الأنوار » (ص ٥١) .

(٣) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص ٢٨١ - ٢٢٠) .

(٤) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص ٣١٩) .



عديدة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله حيث توجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة وهذا يعتبر شركاً بالله سبحانه وتعالى .

وقال عبد الرحمن حسنين الشريف مستغيثاً بمشائخه المتصوفة وواصفاً لهم بأنهم أصحاب التصريف في هذا الكون ومجيبو كل من دعاهم وطالباً منهم الإغاثة لنفسه وهذا نص كلامه فقد قال :

ألا يا سادتي أنتم رجال	هلموا وانظروا قد ضاق حالي
هم السادات أرباب العطايا	ملوك العالمين على التوالي
هم الخلفاء للتصريف دوماً	بذي الدنيا لهم همم عوالي
وفي الأخرى يريدهم بعز	ينال الخير مع رتب الكمال
إذا قال تابعهم أغيشوا	عبيدكم أتوه بكل حال
أبا العلمين يا درعي وحصني	أغشني أنه ضاق حالي
دسوقي يا أبا العينين أدرك	معنى لائذاً من سوء حالي
أهل أجنح لغيركم وأنتم	ملوك الأرض بل أنتم رجالي
وهل يخفاكم حالي فحاشا	بأن يرضيكم ذلي وآلي <sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في الآيات السابقة نرى بوضوح أن الشرك فيها بالله سبحانه وتعالى واضح حيث وصف فيها الأولياء بأنهم أهل التصرف في هذا الكون وهم أرباب العطايا وأن كل من توجه إليهم وصار مريداً لهم يكون عزيزاً باستمرار وأن أي أحد من أتباعهم يستغيثوا به يغيثونه ثم توجه إلى شيخه قائلاً له أنت درعي وحصني وطالباً منه أن يغيثه إذا ضاق حاله ثم صرح في الأخير بأنه لا يمكن أن يلتفت إلى غيرهم وهم الذين بأيديهم مقاليد الأمور في هذا الكون ثم أكد بأنهم لا يخفى عليهم شيء من حاله فهم يعلمون كل ما يكون في هذا الكون لأنهم أهل التصريف وكيف يتمكنون من التصرف

(١) « الرسالة الخيرية » لخير الدين الشريف الخلوتي (ص ١٧٠ - ١٧١) نقلاً عن « مصرع

الشرك والخرافة » (ص ٤٩٨) .

المطلق في هذا الكون وهم لا يعلمون حال من غاب عنهم من مريديهم إذا فالنص كله من أوله إلى آخره يحتوي على شرك بواح .

وهذا أحد المنتسبين إلى الطريقة القادرية واسمه الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد بن الشيخ صوفي الملقب بالشيخ عطا يقول مادحاً للشيخ عبد القادر الجيلاني ومستغياً به من دون الله :

تحيات الإله على ابن موسى	أبي الفقراء إمام الأولياء
ألوذ بشيخ كل الأولياء	أبي الفقراء إمام الأتقياء
بمدح قطب محيي الدين غوثي	وغوثي لا يخيب به رجائي
تيقظ يا أخي لزيارة الغو	ث بدر الدين سر الأصفياء
طلائع غوثه عمت جميع الورى	يشفى بهـا كل الوباء
قفا كم قطب الله قفوا	اقتداء منك لا قفوا لابـاء
كريم القوم كيلاني بن موسى	كثير الخير كعبـة أتقياء
لئام الناس بالإنكار ولوا	من الجيلاني وجه الكبرياء
ننادي باسمه في كل حال	وفي وقتي الشدة والرخاء <sup>(١)</sup>

وقال الشيخ أويس القادري الصومالي متوجهاً إلى مشائخه المتصوفة ومستغياً بهم لتفريج الكرب وطالباً منهم المدد قال :

علونا علونا مذ سلكننا طريقكم	ولا نرتقي المقام إلا بذكركم
فجودوا لنا الأمداد والفضل والعطايا	علينا تفضلوا بحسن حماكم
أيا جملة الأحباب أنتم صباية	لقلب الجريح في حمايا بحبكم
إذا ما جلى العشاق بالجذبة ألسناً	تميل بها الأعناق في شأن شأنكم
وكونوا لنا عوناً وحفظاً مؤبداً	سلونا من الرحمن حفظاً لدينكم

(١) « جلاء العينين » (ص ٥٩) .

فغيثوا أويس الواله ذا قيم ولو كان في الخطأ يرجو لقاءكم<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النصين الأول والثاني السابقين نجد فيهما الغلو الشديد حيث قال صاحب النص الأول بأنه يلوذ بعبد القادر الجيلاني ويلتجئ إليه ليكشف عنه ما به من كرب ووصفه بأن غوثه عم جميع الورى ثم قال إنه ينادي باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في كل حال سواء كان في وقت الشدة أو وقت الرخاء وبهذا فاق في شركه المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ حيث إن أولئك المشركين كانوا يشركون بالله في وقت الرخاء فقط أما في وقت الشدة فكانوا يخلصون الدعاء لله سبحانه وتعالى كما قال تعالى في كتابه : ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِّكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ .

أما النص الثاني فقد صرح أويس القادري فيه بأنه ارتفع مقامه وعلا منزه سلك طريق المتصوفة وأنه لا يمكن أن يرتقي أي مقام إلا بذكر مشائخه المتصوفة ثم توجه إليهم طالباً منهم المدد والفضل والعطايا ثم طلب منهم أن يكونوا لهم عوناً وأن يحفظوهم دائماً وأبداً .

ثم طلب منهم طلباً خاصاً لنفسه أن يغيثوه وينقذوه مما يصيبه من المكاره والنكبات والمصائب في هذه الدنيا .

وهذه كلها شركيات بالله سبحانه وتعالى التي بعث الله الرسول لمحاربتها وإخراج الناس من ظلمات الشرك والخرافة إلى نور التوحيد الخالص .

(١) « الجواهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص ٥٢) .

وقال أحد المادحين لأويس القادري :

ذكرنا الصالحين إذا ألمت بنا كرب يضيق بها ضميري

بأهل الفضل من قطب وغوث

نلوذ بهم كجيلاني وليث

ونرجو فيضهم بهمي كغيث

رضا الله عن شيخي وغوثي أويس الفاضل الفرد الكبير

زيارته لنا نـدب أكيد نروم بها نـجاة من سعيـر

ملاذ عمدتي جاهي وعوني به أرجو من الرحمن صوني

من الآفات بل وقضاء ديني

غيائي ملجأي هو نور عيني إمام سيد سندي نصيري

لنا منه الأساتذة الهداة كغوث سيدي علوي الكبير

لنا الأقطاب أعـلام ستون وأوتاد وأمجاد سيوف

على الأعدا لهم سر منيف

مئون لنا حصـر ألوف كشيخي الزيلعي القطب الوقور

ملاذي يا مرادي يا نفيس

ومسندنا وعمدتنا الأنيس

مليح أنت يا شيخي أويس ومادح أحمد الهادي النذير

بنثر مديحكم والنظم أهجو

على أعدائكم غوثي وألجو  
بكم لأنال أمالي وأنجو<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا المادح لأويس القادري قد توجه إليه بالدعاء والاستغاثة من دون الله حيث وصفه بأنه ملجأه ومغيثه وملاذه ومراده وعمدته وجاهه ثم ذكر بأن من أصحاب هذه الطريقة القادرية الأقطاب والأوتاد وقد علمنا فيما سبق أن الأقطاب والأوتاد هم الذين يسيرون أمر هذا الكون حسب المعتقد الصوفي المنحرف .

ونحن نقول باختصار أن المغيث والملاذ والملجأ الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى أما سواه من المخلوقات فإنهم لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم فضلاً عن أن ينقذوا غيرهم وهذه أدعية شركية تؤدي بصاحبها إلى الانسلاخ كلية من الإسلام لو قالها وهو عالم بأنها شرك بالله وأي شرك أعظم من هذا!!؟

وقال صاحب كتاب « الجوهر النفيس » مادحاً للشيخ أويس القادري ومتوجهاً إليه بالدعاء والاستغاثة :

مدد هيا غوثنا النفيس ونفحة منك يا أنيس

أنت إمام لنا رئيس

مدد مدد شيخنا أويس مدد غوثنا أويس

أنت غياث الورى ظهير

---

(١) « الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص ١٩٧ - ٢٠١) .

وشمس دين كذا شهير

طريق غوث الوري الجيلاني عبد لقادرنا أويس  
لأمرك الأمر أطـاعات ولقلوب الأعادي راعت

أخباركم وبحسن ذاعت

شهرتكم في الأنام شاعت أنت الشفا شيخنا أويس

من كل داء ومن ملاهي

ومن كروب ومن ملاهي

بكم نلوذ إذا اتسمت بنا الكروب وكذا وهمت

كل الأعادي بنا وعمت<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النص السابق نجد كله يدور حول الاستغاثة بالشيخ  
ودعائهم من دون الله وكما نعلم بالدعاء عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك

بواح .

وقال أحد المادحين لأويس القادري ومتوجهاً إليه بالدعاء والاستغاثة :

مدد يا صاحب العاطر أويس القادري شاهر  
أبث إليك حاجاتي فأسعدني أباشاعر  
بهي الوجه بابك من يقف يوماً يعد ظافر  
تقي أنت توجني بتاج الأولياء فاخر  
ثبني يا ملاذي في محبتكم أيا ذاكر

(١) « الجواهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص ١٩٠) .

زيارته عظيم يا  
 سعيـد من زاره أو  
 ظهير كن لنا ولـمن  
 فقاتله شقيـي  
 قريب في ضريحه  
 كشيخه عبد قادرنا  
 لثيمًا لا يكون وصيكم  
 منأي ملجأي مأوي  
 يقينًا من أنا لجننا  
 فتى كالغوث قم بادر  
 رأى في النوم يا سامر  
 غدى لضريحكم زائر  
 ليس يفلح دائمًا خاسر  
 ثم حي يسمع الزائر  
 مرتبته من الفاطر  
 يا صاحب العاطر  
 الغريب ميـد للكافر  
 بكم ينجو من الضائر (١)

وقال أحد القادرية مادحًا للشيخ أويس القادري ومقرًا له بأنه غياث  
 جميع من هذا الوري :

حي شافع غياث الوري معين منجي كاشف الكروب

وقد ذكر القادرية للشيخ أويس القادري الصومالي عدة أسماء وادعوا  
 بأن من قرئت عليه هذه الأسماء يبرأ في حينه (٢) .

كما نرى في البيت السابق ادعى فيه هذا القادري الصوفي بأن غياث  
 جميع ما في هذا الكون هو شيخه أويس القادري وهذا شرك جلي واضح  
 لكل منصف كفيل بإخراج الإنسان من الانسلاخ منه إذا قاله وهو يعرف أنه  
 شرك .

وقال الشيخ علي بن محمد زوله الصومالي القادري في مدحه شيخه

(١) « الجواهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص ٢١٢) .

(٢) انظر « الجواهر النفيس في خواص الشيخ أويس » (ص ١٥) .

محيي الدين العلي ومسغيثًا به من دون الله :

فلاح لمن في جوفه حب شيخنا      ممجد يحتوي على بلوغ المسرة  
قريب لمن ناداه باسمه قاهر      معادى مرديه مصيب بمحنة  
له العز والتصرف في الكون والعلال      له الخارقات كالتراب بكثرة  
مربي ومرشدي ملاذي به مؤمن      ميازيب علم الله محيي الطريقة  
مهين ذليل لاأذ في حماكمو      على سل له الإله رفع البلية  
نلوذ بمحيي الدين نور البصائر      من الضر والأذى وضيف المعيشة  
هو الغوث للأنام والليث للعدى      هو الغار للمريد عند الأزمة  
لا بغي بمدحه بلوغ المطالب      بدينا وأخرى رب جد لي بسرعة  
يمينا بأن الله ينجي جميع من      يلوذ بمحيي الدين مع حسن نية<sup>(١)</sup>

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن علي بن محمد بن زويلة قد ادعى بأن شيخه محيي الدين العلي له التصرف في السموات والأرض وأنه ملاذه الوحيد وادعى بأنه يلوذ به إذا أصيب بضر أو أذى أو أصيب بضيق معيشي ووصفه بأنه هو الغوث لهذا الأنام كله وهذا شرك جلي واضح الذي بعث الرسل وأنزلت الكتب من أجل محاربتة .

وقال السيد جعفر الصادق<sup>(٢)</sup> مادحًا لمحمد الطيب الحسن أحد أفراد الطريقة الختمية المشهورة متوجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة :

أنت الغياث إذا ناداك ذو كرب      أنت العياذ ملاذ الخائف الحزن  
أنت الصفوح عن الزلات يا أملي      كجدك المصطفى المعهود بالمنن

(١) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين » (ص ٨٦) .

(٢) هو السيد جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني السوداني حفيد محمد عثمان الميرغني

مؤسس الطريقة الختمية والتي انتشرت انتشارًا واسعًا في السودان وأرتيريا .



أنت الرحيم وقاك الله كل ردى      ودمت تهدي الورى ما دمت في الزمن  
 عين العناية يا سر الرعاية      يا نور الهداية هادي واضح السنن  
 قطب الطريقة غوث السالكين أغث      من جاءكم قاصداً يا كامل الفطن  
 يا ضنو مجد أخاك فضل حليف ندى      يا روح روعي وروح الجسم والبدن  
 أنبذ كلام وشاة عمهم عمه      باءوا بخزي النار والههم والحزن<sup>(١)</sup>

فالنص السابق وصف فيه هذا الصوفي شيخه بأنه الغياث لكل من أصيب بكربة وناداه وأنه العياذ والملاذ لكل خائف ثم وصفه بأنه غوث لكل من سلك طريق المتصوفة وطلب منه أن يغيث كل من جاءه قاصداً له وهكذا فقد نسي الله نهائياً وأله الشيخ وصرف له أنواعاً من العبادات لا يجوز صرفها لغير الله .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد إيرادنا لنصوص عديدة من كتب عديدة من كتب المتصوفة ومن مشائخ عديدين أن المتصوفة بالفعل نسوا الله عز وجل نهائياً وصرفوا الدعاء والاستغاثة لمشايخهم وهذا أمر لا يجوز في الإسلام لأن الدعاء والاستغاثة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

وفي المطلب الآتي سنذكر حكم الإسلام في دعاء غير الله وبه سيتقرر حكم صرف الدعاء لغير الله وذلك بإيراد أدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء قديماً وحديثاً إن شاء الله تعالى .

(١) « الديوان الكبير » لجعفر الصادق الميرغني (ص ٧٣) وانظر كذلك كتاب « الزيارات » لمحمود العدوي (ص ٢٩) وكذلك « سفينة اللجوء » (ص ٤١) .

## المطلب الثاني

### حكم دعاء غير الله في الإسلام

إذا أردنا أن نعرف حكم الإسلام في دعاء غير الله فلا بد وأن نرجع إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ ونقرأ فيهما بتدبر حتى نعرف حكم الإسلام في دعاء غير الله .

وإذا رجعنا إليهما فسنجد بأنهما دلا دلالة واضحة على أن دعاء غير الله شرك وإلى جانب ذلك فقد صرح كثير من أئمة العلم في عصور مختلفة بأن دعاء غير الله شرك وكفر وسأبدأ أولاً بذكر الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير الله شرك ثم سأتابع ذلك بنصوص من السنة النبوية ثم سأتبعه بأقوال العلماء وذلك حتى نقطع الحجة على أولئك الصوفية القبوريين الذين يتوجهون بالدعاء والاستغاثة إلى مشائخهم في السراء والضراء معرضين عن الله سبحانه وتعالى .

**أولاً : الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير الله**

**شرك:**

لقد تنوعت دلالة القرآن الكريم على كفر من دعا غير الله تعالى وجاءت بأساليب شتى وطرق متنوعة وإليك نماذج من هذه الأساليب .

**أولاً :** توجد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الدعاء عبادة وهذا يدل على أن من صرفه لغير الله تعالى قد أشرك بالله تعالى معه غيره وكفر لأن من صرف شيئاً من العبادات لغير الله تعالى فقد أشرك والله سبحانه وتعالى قد أمر عباده أن يخلصوا له العبادة ونهاهم عن أن يشركوا به في كثير من الآيات القرآنية .

\* ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (١) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾  
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ  
عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ (٢) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا ﴾ (٣) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا  
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٤) .

فالأيات المتقدمة كلها تحث على إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى  
وحده لا شريك له وتنهى عن أن يشرك فيها معه غيره وما دام الأمر كذلك  
فيجب أن يفرد الله سبحانه بالدعاء أيضاً لأنه عبادة وصرف العبادة لغيره  
سبحانه شرك جلي والشرك بالله يعتبر ظلماً عظيماً كما قال تعالى حكاية عن  
لقمان : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ  
عَظِيمٌ ﴾ (٥) .

\* ومن أمثلة الآيات التي تدل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى :  
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

(١) البيّنة : (٥) .

(٢) الزمر : (١١ - ١٤) .

(٣) النساء : (٣٦) .

(٤) الكهف : (١١٠) .

(٥) لقمان : (١٣) .

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١﴾ .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٢﴾ .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٣﴾ .

والقصد من إيرادها في هذا المطلب هو الإثبات بأن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : هناك آيات قرآنية كثيرة وصفت صرف الدعاء لغير الله شركاً أو كفراً ووصفت الذين يدعون غير الله بأنهم مشركون أو كفرة .

\* من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿٤﴾ .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٥﴾ .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٦﴾ .

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) الأحقاف : (٥ - ٦) .

(٣) مريم : (٤٨ - ٤٩) .

(٤) فاطر : (١٤) .

(٥) الأنعام : (٤٠ - ٤١) .

(٦) الجن : (٢٠) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في هذه الآية رحمه الله :

« والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر » (٢) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٣) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (٤) .

فقد بينت هذه الآية أن الذي يكره إخلاص الدعاء لله تعالى ويفرح ويستبشر إذا دعي أصحاب القبور كافر مشرك .

فهذه الآيات التي سبق ذكرها آنفاً تدل دلالة صريحة على أن من دعا غير الله تعالى مشرك كافر .

ثالثاً : هناك آيات في القرآن الكريم تدل على أن دعاء الله وحده في الشدة إخلاص وتوحيد وأن دعاء غير الله في الرخاء شرك وكفر واتخاذ أنداد لله تعالى .

فمن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

(١) المؤمنون : (١١٧) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد » .

(٣) الأعراف : (٣٧) .

(٤) غافر : (١٢) .

(٥) العنكبوت : (٦٥ - ٦٦) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٢﴾ .

\* ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ .

رابعاً : هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وصفت من دعا غير الله بأنه ظالم وضال ، والظلم والضلال كثيراً ما يطلقان على الكفر كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً أننا لم يظلم نفسه . . . وفيه « ألم تسمع قول لقمان إن الشرك لظلم عظيم » (٤) .

وقد ذكر الشاطبي استعمالات الضلال في القرآن الكريم ثم خرج بنتيجة إلى أن الضلال في غالب الأمر إنما يستعمل في موضوع يزل صاحبه لشبهة تعرض أو تقليد من عرضت له الشبهة فيتخذ ذلك الزلل شرعاً ودينياً يدين به مع وجود واضحة الطريق الحق ومحض الصواب (٥) .

(١) النحل : (٥٣ - ٥٥) .

(٢) الزمر : (٨) .

(٣) الأنعام : (٤٠ - ٤١) .

(٤) البخاري مع الفتح (٨٧/١) .

(٥) « الاعتصام » للشاطبي (١/١٣٩) .

\* فمن الآيات التي تدل على أن الشرك ظلم عظيم قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

فلقمان عليه السلام بدأ وصاياها لابنه بتحذيره من الشرك لأنه المهلك الذي لا نجاة لأحد إلا إذا تخلى عنه وتاب وأناب إلى الله .

\* ومن الآيات التي تدل على أن الشرك ضلال بعيد قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٢) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٣) .

\* ومن الآيات التي تدل على أن من يدعو غير الله ظالم قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

\* ومن الآيات التي تدل على أن من يدعو غير الله ضال قوله تعالى : ﴿ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (٥) .

\* ومنها قوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٦) .

(١) لقمان : (١٣) .

(٢) النساء : (١١٦) .

(٣) المائدة : (١٢) .

(٤) يونس : (١٠٦) .

(٥) الحجج : (١٢) .

(٦) الرعد : (١٤) .

ثانياً : الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير الله شرك :

لقد رويت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تدل على أن الدعاء عبادة من هذه الأحاديث :

قول النبي ﷺ : « الدعاء هو العبادة » (١) .

إذا نظرنا في الحديث السابق نرى بوضوح أن الرسول صرح فيه بأن الدعاء عبادة وما دام كذلك فصرفه لغير الله شرك .

وهناك أحاديث كثيرة تدل على وجوب إفراد الله بالدعاء والسؤال والاستعانة من هذه الأحاديث حديث ابن عباس في وصية النبي ﷺ له : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » (٢) .

وهناك أحاديث تدل على أن من دعا غير الله تعالى يدخل النار دخول الخلود وهذا يدل على أن دعاء غير الله كفر بالله وشرك به .

من هذه الأحاديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى ، قال النبي ﷺ : « من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار » وقلت أنا : من مات وهو لا يدعو لله نداءً دخل الجنة (٣) .

فالأحاديث المتقدمة كلها تدل بمجموعها على أن دعاء غير الله يعتبر شركاً بالله سبحانه وتعالى وكتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ فيهما الكفاية لمن أراد الهدى إلا أنني أريد أن أذكر جملة من أقوال العلماء

(١) « سنن الترمذي » (٤٢٦/٥) .

(٢) « سنن الترمذي مع تحفة الأحمدي » (٢١٩/٧) وابن السني في « عمل اليوم والليلة »

(ص ٢٠٢) وابن أبي عاصم في « السنة » (١٣٨/١) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٧٦/٨) .



قديمًا وحديثًا التي صرحوا فيها بأن دعاء غير الله يعتبر شركًا .

### ثالثًا : أقوال العلماء في حكم دعاء غير الله :

أريد في هذه الفقرة أن أذكر نبذة من أقوال العلماء وذلك من أجل إقناع بعض الناس الذين لا يدعون للقرآن والسنة مهما ذكرت لهم من أدلة إلا إذا قلت لهم إن العالم الفلاني قال كذا وكذا ولكي أؤكد على أن من اعتبر دعاء غير الله شركًا ليس المتأخرين فقط والذين يسمونهم بالوهابية بل هذا الحكم هو حكم الله وحكم رسوله وهو مذهب أهل السنة والجماعة على مدار التاريخ الإسلامي الطويل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

\* فمن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركًا بالله سبحانه وتعالى الشيخ الإمام صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي<sup>(١)</sup> .

فقد قال رحمه الله : « هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات » . . . إلى أن قال : « وهذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة »<sup>(٢)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا التوجه بالدعاء إلى غير الله واعتبروه

---

(١) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي الأصل المكي سكنًا الحنفي واعظ فقيه محدث له من المؤلفات « أرجوزة في الحديث » و « سيف الله على من كذب على أولياء الله » (ت ١١٢٠) « معجم المؤلفين » (٢٤/٥) .

(٢) « القول الفصل » (٤٨/٤٩) و « حكم الله الواحد الصمد » (ص ١٣) .

شركًا بالله أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين المعروف بشاه ولي الله الدهولي العمري الحنفي فقد قال بعد أن ذكر تعريف الشرك ومظاهره وقوالبه ومظانه عند المشركين وذكر منها السجود قال :

« ومنها أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم ويتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون أسماءهم رجاء بركتها فأوجب الله تعالى عليهم أن يقولوا في صلواتهم : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضًا : « كل من ذهب إلى بلدة أجير أو قبر سالار ومسعود أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها فإنه أثم إنمًا أكبر من القتل والزنا وليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات أو مثل من كان يعبد اللات والعزى »<sup>(٣)</sup> .

وقال أيضًا : « واعلم أن طلب الحوائج من الموتى عالمًا بأنه سبب لإنجاحها كفر يجب الاحتراز عنه تحرمه هذه الكلمة والناس اليوم فيها منهمكون »<sup>(٤)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء الأموات وطلب الحاجات منهم الشيخ محمد بن إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الشهير فقد وصف نداء الأموات في رسالة التوحيد أو تقوية الإيمان له بأنه شرك بالله عز وجل<sup>(٥)</sup> .

(١) الفاتحة : (٥) .

(٢) الجن : (١٨) .

(٣) البصائر : (٢٧٣) .

(٤) « البصائر » (٢٧٣) نقلًا عن « الخير الكثير » للدهلوي (ص ١٠٥) .

(٥) « تقوية الإيمان » لمحمد بن إسماعيل الدهلوي (ص ٦٥ - ٦٧) .

\* ومن العلماء الذين صرحوا بأن دعاء غير الله شرك : الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي فقد قال :

« قد أفرط الناس من هذه الأمة في باب الاستعانة بالأرواح الطيبة فما يفعلها الجهلة والعوام وما يعتقدون لها من استغلال في كل عمل فهو من غير شك شرك جلي »<sup>(١)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله : أبو عبد الكريم محمد سلطان بن أبي عبد الله محمد المعصومي فقد قال بعد أن ضرب عدة أمثلة لاستغاثات المتصوفة بالأولياء :

« اعلّموا أيها المسلمون - وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه ويا أيها الحنفيون هدايي الله تعالى وإياكم إلى الصراط المستقيم أن هذه الكلمات كلها شرك وكفر وضلال في الدين الإسلامي والشرع المحمدي والمذهب الحنفي بل المذاهب الأربعة إجماعاً وقائلها مشرك لا تصح صلاته ولا صيامه ولا حجه ولا إمامته إلا إذا تاب وآمن وأعلن توبته كما أشهر شركه »<sup>(٢)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله أحمد ابن علي بن عبد القادر المعروف بالشافعي المقريري فقد قال رحمه الله :

« وشرك الأمم كله نوعان شرك في الإلهية وشرك في الربوبية فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الشرك وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشائخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من

(١) « مجموع فتاوى عبد العزيز » (ص ١٢١) نقلاً عن « هامش رسالة التوحيد » (ص ٦٧) .

(٢) « حكم الله الواحد الصمد » (٤ - ٧) .

اللَّهِ وكرامته لهم قرب وكرامة» (١) .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله وكفراً  
عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المشهور بأبي  
شامة .

فقد ذكر ما وقع من جهال العوام من انتمائهم إلى طريقة الفقر  
والتصوف واعتقادهم في المشائخ المتصوفة الضالين المضلين ثم قال :  
« وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام  
وغيرها » .

ثم ذكر ما فعله العامة من تحليق الشيطان والعمد وإيقاد السراج على  
المواضع يزعم أنه رأى في المنام أحداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية إلى أن  
يصل بهم الحال إلى تعظيم تلك الأماكن ورجاء الشفاء وقضاء الحوائج منها  
بالنذر وهي ما بين عيون وشجر وحائط وفجر (٢) .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الشيخ  
أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله (٣) .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله  
سبحانه وتعالى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله فقد قال :

« فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل  
أن يدعوه من دون الله مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني أو أجرني أو أنت

(١) « تجريد التوحيد » للمقرئ (ص ١٤) .

(٢) « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة (٢٣) .

(٣) انظر « تلبس إبليس » لابن الجوزي (ص ٤٠٢) وكذلك « مفيد المستفيد » (ص ٣٠١) .

حسبي أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل» (١).

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركًا بالله الإمام ابن القيم رحمه الله فقد قال في معرض حديثه عن أنواع الشرك :

« ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فضلاً عن استغاثة به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها . . . والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً واتخذوا عند الوقفة وحلق الرأس فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بدمهم وعييهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمرؤهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبيين لهم » (٢).

وذكر رحمه الله تعالى زيارة القبور الزيارة الشرعية للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار ثم قال :

(١) « الوصية الكبرى » إلى الشيخ المدى ضمن الفتاوى (٣/٣٩٥) وعنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في « الرسائل الشخصية » (١٧٧).

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (١/٣٤٦ - ٣٤٧).

« فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستغاثة به والتوجه بعكس هديه ﷺ فإنه توحيد وإحسان إلى الميت وهدى هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام : إما أن يدعوا الميت ، أو يدعوه به ، أو عنده ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين وباللَّه التوفيق » (١) .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركًا باللَّه الإمام الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله فقد قال ما ملخصه :

« إن المبالغة في تعظيم الرسول ﷺ بالحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء فهذه المبالغة مبالغة في الشرك وانسلاخ من ذمة الدين » (٢) .

وإذا كان هذا الحكم فيمن اعتقد في الرسول هذا المعتقد فمن باب أولى من اعتقد النفع والضر في غير الرسول وتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة كما يفعله المتصوفة مع أوليائهم .

\* ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير الله شركًا الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى فقد قال :

« إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله والإله هو الذي

(١) « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم « (١/٢٥٧) .

(٢) « الصارم المنكي في الرد على السبكي » (ص ٣٥١) .

يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيدِهِ وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك»<sup>(١)</sup> .

\* ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير الله شركاً الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني فقد قال رحمه الله :

« إن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل به إلى الرب . . . فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلاً عما ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضة أو قدوم غائبة أو نيله لأي مطلب من المطالب فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام»<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً في مكان آخر من نفس الكتاب :

« ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعاً ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة»<sup>(٣)</sup> .

---

(١) « كلمة الإخلاص وتحقيق معناها » للحافظ بن رجب الحنبلي (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٢) « تطهير الاعتقاد » للصنعاني (ص ١٩ - ٢٠) .

(٣) « تطهير الاعتقاد » للصنعاني (ص ٢٦) .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله تعالى  
الشيخ حسين بن مهدي النعمي فقد قال رحمه الله بعد كلام طويل له في  
موضوع الدعاء :

« فحينئذ علمت إن شاء الله تعالى بالبرهان الصحيح واليقين الذي لا  
يخالطه أدنى ريبة ولا يتتابه أو يتصور عليه وهم أو يتطفل عليه شك أن دعاء  
المخلوق وقصده بذلك من متفاحش الظلم ومتبالغ الشرك ومنازعة في خاص  
حق الله وخضوع وتذلل بخالص عبادته لسواه إذ روح كونك عبد إله تعالى  
هو هذا المقام وهذا التكليف والتصور بهذه الحالة »<sup>(١)</sup> .

فقد صرح النعمي رحمه الله في النص السابق بأن دعاء غير الله تعالى  
من أبلغ الشرك وأفحش الظلم إذ هو وضع للعبادة التي هي من خصائص الله  
في غير محلها الذي هو المخلوق .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الإمام  
محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقد قال رحمه الله :

« إن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو  
ينفعه إما استقلالاً أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في  
أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق لم يخلص التوحيد لله ولا أفردته  
بالعبادة إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع  
العبادة وإن الشرك هو دعاء غير الله تعالى أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر  
عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه »<sup>(٢)</sup> .

(١) « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » للنعمي (ص ١٩٣) .

(٢) « الدر النضيد » للشوكاني (ص ٣٣) .



\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركًا بالله الشيخ محمد صديق خان القنوجي البخاري فقد قال رحمه الله :

« فمن استغاث بغيره - أي الله - في الشدائد ودعا غيره فيها فقد كفر »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً رحمه الله : « فالدعاء هو التوحيد فمن دعا غير الله فقد أشرك ودعا غيره سبحانه شرك لا شك فيه »<sup>(٢)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركًا بالله الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعية البارز الذي قام بالدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة ووجه من قبل المتصوفة القبوريين بالمحاربة والمعارضة ولكنه قد صمد أمامهم مستعيناً بالله سبحانه وتعالى حتى أظهر الله هذه الدعوة السلفية وعم بنفعها أرجاء العالم بحيث ما من بلد في هذا العالم قرب أو بعد إلا وتجد من يعتقد المعتقد الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وهذا بفضل هذه الدعوة السلفية المباركة بعد الله سبحانه وتعالى وقد تكلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن توحيد الألوهية بإسهاب ويلاحظ ذلك كل من يقرأ في كتبه رحمه الله تعالى فمثلاً كتابه المسمى بكتاب « التوحيد » من أوله إلى آخره كله دعوة إلى إفراد الله بالعبادة من دعاء وتوكل وذبح ونذر وغيرها من العبادات والنهي عن صرفها لغيره كائنًا من كان .

وإليك مقتطفات من أقواله رحمه الله التي تدل على استنكاره لدعاء غير الله واعتبار من يفعل ذلك مشرکًا .

(١) « الدين الخالص » لمحمد صديق خان (١/١٨٣) .

(٢) « الدين الخالص » لمحمد صديق خان (١/٢٢٢) .

فقد قال رحمه الله : « اعلم أن من نواقض الإسلام عشرة » فذكر الناقض الأول ثم قال : « الثاني من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً »<sup>(١)</sup> .

وعقد في كتاب « التوحيد » باباً بعنوان : « باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره » وذكر في مسائل هذا الباب المسألة الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر<sup>(٢)</sup> .

وأيضاً : « وأما النذر له - أي القبر - ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر »<sup>(٣)</sup> .

وقال أيضاً رحمه الله :

« فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله لأن الإله هو المدعو »<sup>(٤)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الشيخ سليمان بن عبد الله حيث قال رحمه الله بعد أن ذكر الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في هذا الموضوع :

« وقد تبين بما ذكر . . . أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة ولأن من خصائص الألوهية إفراد الله بسؤال ذلك إذ معنى الإله هو الذي يعبد لأجل هذه الأمور ولأن الداعي إنما يدعو إلهه عند انقطاع أمله مما سواه وذلك خلاصة التوحيد وهو

(١) « مؤلفات الشيخ القسم الأول العقائد » (ص ٣٨٥) .

(٢) كتاب « التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥٠ - ٥١) .

(٣) القسم الثالث الفتاوى (ص ٧٠) .

(٤) « الرسائل الشخصية » (ص ١٦٦) .

انقطاع الأمل مما سوى الله فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد ساوى بينه وبين الله وذلك هو الشرك<sup>(١)</sup> .

\* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فقد قال رحمه الله بعد أن ذكر الأدلة التي تثبت بأن الدعاء عبادة :

« فإذا عرفت بصحيح المنقول وصريح المعقول أن الدعاء عبادة وأن مدلوله السؤال والطلب ، فمن صرف من هذه العبادات شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في عبادته كائناً ما كان لعموم النهي عن دعوة غير الله في القرآن كله من أوله إلى آخره فمن ادعى أنه يصرف منه شيء لأحد سوى الله فقد صادم الكتاب والسنة وخالف ما اجتمعت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم فيما دعوا إليه أممهم بقولهم : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ونكتفي بهذا في ذكر أقوال العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله ودعوا إلى محاربهته مع وجود غيرهم من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله وتركناهم خشية الإطالة وما كنا نطول بسرد هذه الأقوال الكثيرة عن العلماء لولا وجود طائفة من الناس لا يمكن أن تقتنع بالأدلة القرآنية والنبوية إلا إذا ذكرت لها أقوال العلماء وذلك لأن حكم الله وحكم رسوله كان واضحاً في المسألة حيث اعتبر دعاء غير الله شركاً محضاً يجب الابتعاد عنه وإلى جانب ذلك أكثر من أقوال العلماء

(١) « تيسير العزيز الحميد » (ص ٢٤٣) .

(٢) « القول الفصل » (ص ٣٤) .

حتى نقطع الحجة بأن القائلين أن دعاء غير الله ليسوا من يسمونهم الوهابية فقط كما يزعم القبوريون وإنما هو قول الله وقول رسوله وقول علماء أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً وبهذا تنقطع مزاعم المتصوفة الدجالين الذين يضللون عوام المسلمين ويدعونهم إلى عدم حضور جلسات العلماء الذين يدعون إلى التوحيد الخالص الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من ربه .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن ذكرت الآيات القرآنية التي أكدت أن دعاء غير الله شرك محض وأتبع ذلك بذكر نصوص نبوية تؤكد كلها أن الدعاء عبادة وصرفه لغير الله يعتبر شركاً بالله سبحانه ثم أتبع ذلك بمجموعة من أقوال العلماء الأجلاء قديماً وحديثاً والذين أكدوا كلهم كفر من استغاث بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله وناداه من بعيد وكذلك من ادعى معرفة الغيب أو صدق من ادعاه أو من ذبح لغير الله أو حلف بغير الله أو غير ذلك وهذا دليل واضح على أن الحكم بكفر من دعا غير الله تعالى لم ينفرد به مذهب معين بل هو قول جميع العلماء الذين يتمسكون بالكتاب والسنة عبر القرون الطويلة التي مرت بها الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا .

ولكن ينبغي أن نعلم بأن هذا الحكم بالكفر الذي سبق الكلام عليه مقيد بما هو معلوم عند أهل العلم من بلوغ الدعوة وإقامة الحجة وممن قيد الحكم بالتكفير بهذا القيد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

من ذلك قوله رحمه الله في هذه المسألة التي نحن بصددنا وهي حكم دعاء غير الله تعالى ما ملخصه :

« إننا نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأئمة دعاء الأموات كما لم يشرع السجود لميت ولا لغيره بل نعلم أنه نهى عن ذلك وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه » (١) .

وقال أيضاً في الحكم العام في هذه المسألة :

« وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه فيقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد . . . فإن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار لجواز ألا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد لا يكون التحريم بلغه . . . وهذه الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله تعالى بها » (٢) .

\* ومن العلماء الذين اشترطوا بلوغ الحجة للتكفير شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله فقد بين أن الجاهل الذي لم تبلغه الحجة لا يكفر لا سيما الذي لم يقصر ولم يكن يعيش في بيئة انتشر التوحيد وعلماؤه فيها (٣) .

(١) « الرد على البكري » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٧٦) .

(٢) « المسائل الماردينية » (ص ٦٥ - ٧٠) ونحوه في « نقض المنطق » (ص ٤٥ - ٤٦) .

(٣) انظر مؤلفات الشيخ القسم الثالث المشتمل على السيرة والفتاوى القسم الخاص بالفتاوى

(ص ٢٧) .

فقد قال رحمه الله في رسالته التي أرسلها إلى الشريف :

« وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

---

(١) انظر « الرسالة التي أرسلها الإمام إلى الشريف » (ص ١١) وكذلك « صيانة الإنسان » (٤١٦) و« الدرر السنية » (٥٢/١) و« الرد على البكري » (ص ٢٥٨) و« الاستقامة » (١/١٦٣ - ١٦٦) .



## الباب الرابع

انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء

والقدر والتوكل والجنة والنار

وتحتة ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد .

الفصل الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد .

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء

والقدر والتوكل والجنة والنار .





## الفصل الأول

انحرافهم في مفهوم الزهد

وتحتة مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له.

المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم الزهد. (وتحتة مطلبان)



## الفصل الأول

### انحرافهم في مفهوم الزهد

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافاً خطيراً كما انحرفوا في غيره فادعوا بأن الزهد هو ترك الدنيا بالكلية والهروب عنها وذلك بترك العمل نهائياً في هذه الدنيا وتعذيب الجسد بأنواع العذاب من التجويع والعري وغيرها والهروب عن الناس والدخول في الخلوات المظلمة بقصد تربية النفس لكي تصل إلى ولاية الله وترك الزواج ووصفه بأنه من أهم العقبات المانعة من وصول المرید إلى ولاية الله المزعومة .

وقبل أن أخوض في بيان انحرافات المتصوفة في هذا الباب أحب أن أعرف الزهد في اللغة والاصطلاح وأذكر مراتبه والفهم الصحيح له بإيجاز وذلك حتى يتضح لنا انحراف المتصوفة في مفهوم الزهد لأن الأشياء تتبين بضدها .

## المبحث الأول

### تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له

#### أولاً : تعريف الزهد

الزهد في اللغة : زهد فيه وعنه زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته وزهد في الشيء رغب عنه ويقال زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابها وترك حرامها مخافة عقابه .  
وتزهد صار زاهداً وتعبد .

والزاهد هو العابد ، جمعه زهد وزهاد ، والزهادة خلاف الرغبة فيه والرضا باليسير مما يتعين حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وكذا الزهد بمعنى الزهادة<sup>(١)</sup> .

#### أما تعريف الزهد في الاصطلاح :

قال الإمام ابن القيم في تعريف الزهد :

« الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه لم يسم زاهداً كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً وأنه ليس الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب فحسب بل الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر « القاموس » (٣٠٨/١) و« أساس البلاغة » (ص١٩٧) و« النهاية لابن الأثير » و« المعجم الوسيط » (٤٠٣/١ - ٤٠٤) .

(٢) انظر « مختصر منهاج القاصدين » (ص٣٠٨) .

أقسام الزهد ومراتبه :

قال الإمام ابن القيم :

« الزهد أربعة أقسام وهي :

- ١ - زهد في الحرام وهو فرض عين .
- ٢ - زهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحق بالواجب وإن ضعفت كان مستحباً .

٣ - وزهد في الفضول وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره وزهد في الناس وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله .

٤ - وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما يشغلك عنه وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ»<sup>(١)</sup> .  
وقال في طريق الهجرتين يقسمه باعتبار حكمه أيضاً ما تلخصه في الآتي :

« الزهد أربعة أقسام :

أحدها : فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام .  
والثاني : زهد مستحب وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنز في الشهوات المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المشمرون في السير إلى الله وهو نوعان :

(١) « الفوائد » لابن القيم (ص ٢١٥) .

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة وليس المراد تخليها من اليد ولا إخراجها وقعوده صفرًا وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية فلا يلتفت إليها ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهد المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء وهي :

أحدها : علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال تعالى فيها : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١﴾

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾

وقال تعالى : ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا

(١) الحديد : (٢٠) .

(٢) يونس : (٢٤) .

﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١﴾ .

قال ابن القيم :

« وسماها سبحانه متاع الغرور ونهى عن الاغترار بها والاعترار بها وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين وحذرنا من مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها .

وقال النبي ﷺ : « مالي وللدنيا إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها » (٢) .

ثم قال الإمام ابن القيم :

« فما اغتر بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية وعقل حقير وقدر خسيس .

الثاني : علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهي دار البقاء وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع » (٣) .

فالزهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل قيل له اطرحه فلك عوضه مائة دينار مثلاً فألقاه من يده رجاء ذلك العوض .

فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها .

(١) الكهف : (٤٥ - ٤٦) .

(٢) « سنن الترمذي » مع التحفة (٤٨/٧) .

(٣) نفس المرجع (١٣٧٧/٢) .



الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقص له منها فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها .

فإنه متى تيقن ذلك وثلج صدره وعلم أن مضمونه فيها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً .

والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه والله الموفق لمن يشاء<sup>(١)</sup> .

ومن كل ما تقدم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للزهد وتوضيح ابن القيم لمفهوم الزهد الصحيح في هذه الدنيا يظهر لنا أن الزهد هو إيثار الحياة الأخروية الأبدية الباقية على الحياة الدنيا الدنيئة الفانية وباتصاف الإنسان بهذا الوصف يقدر أن يعيش في هذه الدنيا آخذاً منها نصيبه بقدر زاد الراكب فينتقل في ملذاتها ولا يغتر بمفاتها ويتوكل على الله ويخافه ويرجوه لينال أجره عند الله .

وكما ظهر لنا من خلال ما تقدم أن الزهد لا يكون إلا في الشيء الموجود مع القدرة والتمكين من الحصول عليه وذلك لأن الفقير الذي ليس بيده مال لا يمكن أن يطلق عليه زاهد في المال ومتقلل فيه لأنه لا يملك شيئاً منه وكذلك العاجز عن العمل أو المحرم للقيام بالأسباب التي يمكن للإنسان أن يحصل على رزقه إذا قام بها لا يقال فيه زاهد بل الذي يستحق أن يوصف بأنه زاهد هو الرجل الذي يقوم بالأعمال ويجمع المال من حله ثم ينفقه في سبيل الخير فيتصدق على الفقراء والمساكين وينفقه في الجهاد في

(١) انظر « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص ٢٥٢) .

سبيل الله ويني منه المساجد والمعاهد وكل الأمور التي تستفيد منها الأمة الإسلامية أما القعيد عن العمل الذي ينتظر صدقات الناس عليه فليس هذا بزاهد حقيقة بل هو مختلس عبء على الأمة الإسلامية فإن الزهد ليس معناه ترك الكسب والاكْتساب ولا ترك الأسباب وعدم الأخذ بها وفرار الإنسان من القيام بمسئولته الفردية والجماعية لأن الإسلام يعني بالحياة الدنيوية اعتناءً مناسباً لإبقاء المصلحة الفردية والجماعية فيحث الإسلام المسلم على الأخذ بنصيبه من الدنيا قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

وقال النبي ﷺ : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده حسناً » (٢) .

فالتصور الإسلامي الصحيح للحياة الدنيا عبارة عن أنها مزرعة الآخرة ومطية لها وأن مثل بقاء الإنسان فيها مثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها كما في الحديث .

وإن دار البقاء دار الآخرة نسبة هذه الدنيا الفانية إليها كما قال ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليُنظر بم يرجع » (٣) .

فالعاقل لا محيد له عن أن يؤثر الحياة الأخروية على الحياة الدنيا فلا يسلك سبيل الإفراط في تناول الدنيا ولا التفريط في حقوق الناس كما يفعل المتصوفة حيث يتركون عائلاتهم يموتون جوعاً أو يعيشون حياة بائسة محزنة

(١) القصص : (٧٧) .

(٢) كتاب « الزهد » للإمام وكيع (٤٤٧/٢) باب الأثر الحسن وحسنه الألباني في « صحيح

الجامع الصغير » (١٣١/١) .

ثم يسمون هذا زهداً وهو في الحقيقة ليس هذا بزهد وإنما هو عجز وكسل وفهم سيء للزهد الحقيقي .

وبعد غرس هذه العقيدة في أذهان الناس يسمح الإسلام للإنسان أن يخوض معترك الحياة ويصول فيها ويجول فيؤدي ما وجبت عليه من حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين من عبادة وصلاة وصوم وزكاة وحج ومن تجارة وصناعة ونكاح وعشرة وغير ذلك مما أحل الله ممارسته في هذه الحياة الدنيا .

وكان الناس على هذا الفهم الصحيح من الدين في هذا الجانب في عهد النبوة فكانوا يعالجون قضاياهم من دون إفراط ولا تفريط وبمزيد من الحيوية والنشاط وبالعمل الدائب المتواصل في جميع ميادين الحياة لما كانوا يرجون وراءه من حب العاقبة ورضوان الله تبارك وتعالى فهم كانوا فرسان نهار ورهبان ليل تراهم في المسجد وفي مجالس العلم وفي ميدان التجارة والصناعة والجهاد ومع أولادهم ونسائهم وكانت الآيات والأحاديث الواردة في ذم الدنيا والنهي عن الخوض فيها والتشاغل بها تتلى وتقرأ وكانوا يفهمونها ويستضيئون بها لأن المقصود بها هو الحث على الزهد في الدنيا والزجر عن التشاغل بها إلى حد يفضي إلى إهمال الآخرة والتواني في طلبها لينالوا عند الله أحسن درجة على ما عملوا في هذه الحياة الدنيا وكان زهد الصحابة والتابعين على هذا النمط نابغاً من العقيدة الصحيحة .

وقد بقي على هذه العقيدة الصحيحة الطيبة والسلوك الطيب كل المسلمين إلى أواخر عهد الخلفاء الراشدين ثم حدثت فتن متنوعة سياسية وعقدية أدت إلى ظهور فرق مبتدعة في الإسلام واختل نظام السياسة وبدأ

نشأت ظهور الغلو عند البعض مع بقائهم على خير كثير من الدين الصحيح لقرب عهد بعصر النبوة والصحابة الكرام .

ولما انقرض أصحاب القرون الثلاثة الموصوفة بالخيرية ظهر في ولاية الأمور كثير من الأعاجم الذين حاولوا الإطاحة بالخلافة الإسلامية بدوافع من الحقد والعصبية على العرب والإسلام والشعبوية والإلحاد والزندقة وإعادتهم مجددهم السابق ثم عربت الكتب الأعجمية فحدثت هناك ثلاثة أشياء الرأي والكلام والتصوف .

والذي يهمننا هنا هو التصوف الذي بدأ يشق طريقه وأتى بمفاهيم باطلة للزهد تتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة فدعوا إلى حرمان النفس من حظوظها نهائياً ودعوا إلى ترك العمل والقيود في الخلوات المظلمة ودعوا إلى ترك النكاح نهائياً ووصفوه بأوصاف منفرة وكل هذا أتوا به من الفلسفات الوثنية القديمة كالبودية التي تدعو إلى تعذيب الجسد بشتى أنواع العذاب وكالمسيحية التي تحرم الزواج على القساوس والمريرين لهم وإلا فالإسلام بريء من هذه الأفكار الدنيئة التي تؤدي إلى تدمير المجتمع وتحوله إلى مجتمع هش فقير لا يستطيع أن يقوم بواجبه في هذه الحياة .

والخلاصة أن المفهوم الصحيح للزهد هو إثارة الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية وليس معنى الزهد في الدنيا ترك العمل والقيود في البيت وتجويع النفس والعيال وتركهم يعيشون حياة بائسة نكدة كما يفعل المتصوفة الشحاة وذلك لأن من الواجب على الإنسان على الأقل عليه أن يؤمن معيشتة ومعيشتة من تجب عليه نفقته وذلك لما جاء في الحديث عن سعد بن

مالك قال قال رسول الله ﷺ : « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي »<sup>(١)</sup>  
ثم إن حصول الإنسان على المال بالعمل والجهد يؤجر فيه إذا جمعه من  
حلال وأنفقه في الحلال كما في الحديث الذي رواه الإمام علي رضي الله  
عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لغرفاً يرى باطنها من ظاهرها  
وظاهرها من باطنها » فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله قال : « لمن أطال  
الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله عز وجل والناس نيام »<sup>(٢)</sup> .

وهكذا فالإنفاق للمال في سبيل الله للفقراء والمساكين مما رغب الله  
ووعده عليه الثواب الجزيل ومن لم يكن له مال سيفوته حتماً هذا الأجر لأنه  
فاقد للمال وفاقد الشيء لا يعطيه كما هو المشهور في المثل ويؤيده الواقع .

\*\*\*

(١) « الزهد » للإمام أحمد (ص ٢٥) وفي « المسند » (١/١٧٢) .  
(٢) « الزهد » للإمام أحمد (ص ٣٧) و« مجمع الزوائد » (١٠/٤٢٠) مع اختلاف في اللفظ .

## المبحث الثاني

انحراف الصوفية في مفهوم الزهد

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الصوفية للزهد .

المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل

على أنهم يفهمون الزهد بأنه ترك

الدنيا بالكلية وتعذيب النفس

بشتى أنواع التعذيب من الجوع

والعري والسهر والفقر .



## المطلب الأول

### تعريفات الصوفية للزهد

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافاً خطيراً حيث صرحوا بأن الزهد هو الابتعاد عن الدنيا بالكلية وعدم الاهتمام بها ودعوا الناس إلى تعذيب أنفسهم بالجوع والعري وبكل الشدائد ومدحوا الفقر ودعوا إليه بل فضلوا سؤال الناس على القيام بالعمل والإتيان بالرزق الحلال وأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى درجة الولاية لله إلا إذا قام بهذه الطقوس الصوفية المبتدعة التي تدعو إلى تعطيل الإنسان عن وظائفه التي خلقه الله لها .

ويظهر انحراف الصوفية في الزهد في تعريفاتهم الآتية :

قال أبو عثمان : الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها (١) .

وقال أبو علي الدقاق : « الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطاً أو أعمر مسجداً » (٢) .

وقال ابن خفيف : « علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك » .

وقال أيضاً : « الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك » (٣) .

(١) « الرسالة » للقشيري (١/٣٢٦) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١/٣٢٦) .

(٣) « الرسالة » للقشيري (١/٣٢٧) .



وقال الجنيد : « الزهد هو خلو اليد من الملك والقلب من التبع »<sup>(١)</sup> .  
وقال أبو حفص : « الزهد لا يكون إلا في الحلال ولا حلال في الدنيا فلا زهد »<sup>(٢)</sup> .

وسئل الشبلي عن الزهد فقال :  
« لا زهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه وهو معه وعنده » .

وقال السري : « الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء »<sup>(٣)</sup> .

إذا نظرنا في هذه التعريفات التي أوردتها عن أئمة التصوف نرى بوضوح أن مفهوم الزهد عند المتصوفة هو ترك الدنيا والإعراض عنها بالكلية بحيث لا يهتم الإنسان بشئون دنياه ولو بقدر ما يسد به رمقه وأن الزهد الحقيقي عندهم هو ترك القيام بالأسباب نهائياً وإخلاء الأيدي من كل ما يملكه الإنسان حتى يصبح فقيراً .

بل ادعى بعضهم كما هو واضح في التعريفات السابقة أماننا بأنه لا يوجد أي زهد وذلك لأنه لا يوجد شيء حلال في هذه الدنيا وذلك حسب زعمه وهذا مناقض للقرآن الكريم لأن الله عز وجل أمرنا أن نأكل من الطيبات فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

(١) « الرسالة » للقشيري (١/٣٢٨) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١/١٢٩) .

(٣) « العوارف » (ص ٢٣٣) .

وإدعى المتصوفة أيضاً أن الزهد غير متصور عنده وذلك لأنه إذا زهد فيما ليس عنده لا يسمى زاهداً لأنه يفقده وفاقد الشيء لا يعطيه وإذا زهد في الشيء الذي عنده لا يسمى زاهداً أيضاً لأنه لا يمكن للإنسان أن يسمى زاهداً في الفكر الصوفي المنحرف إلا إذا تجرد من كل أملاكه وأصبح مرمياً في الشوارع فقيراً يتكفف الناس ويسألهم وهذا فهم خاطئ للزهد المشروع الذي ذكرناه في المبحث الأول من هذا الفصل حيث أثبتنا هناك بأن الزهد المشروع هو إثارة الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية وكسب المال بالطرق المشروعة وإنفاقه فيما شرعه الله وعدم قبضه عن الواجبات التي ينبغي أن يصرف فيها وأثبتنا أيضاً بأن القيام بالأسباب لا ينافي الزهد لأن من لم يقم بالأسباب من أين سيحصل على المال الحلال الذي يسد به رمقه فضلاً عن أن يزهد فيه وعلى هذا نقول : إن المفهوم الصوفي للزهد مفهوم غريب على الإسلام مستورد من الوثنيات القديمة التي تدعو إلى تخلي الإنسان عن أملاكه وتعذيب نفسه بشتى أنواع التعذيب من أجل الوصول إلى ولاية الله كما يفعل البوذية عباد الأوثان في الهند وغيرها .

## المطلب الثاني

عبارات أئمة التصوف التي تدل على أن الصوفية يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من

### الجوع والعري والسهر والفقر

لقد ادعى الصوفية بأنه لا يمكن أن يتحقق الزهد ويصل الإنسان إلى مرتبة ولاية الله إلا إذا تجرد الإنسان عن الملكية نهائياً حتى يصبح فقيراً لا

مال له وحتى يعذب نفسه بشتى أصناف العذاب في هذه الحياة الدنيا ويحرمها من كل أنواع الطيبات التي أحلها الله لعباده مخالفين بذلك الأدلة الشرعية وكذلك العقلية وإليك نماذج من هذه النصوص .

يقول إبراهيم بن أدهم وهو يتحدث عن العقبات التي يجب أن يحققها ويمر بها كل مرید صوفي إذا أراد الوصول إلى ولاية الله حقيقة :

« لن ينال الرجال درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات وهي :

أولها : أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .

والثاني : أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل .

والثالث : أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد .

والرابع : أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

والخامس : أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر .

والسادس : أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت »<sup>(١)</sup> .

ويقول عبد القادر الجيلاني في وصف المرید الزاهد :

« المرید المتصوف مكابد لنفسه وهواه وشيطانه وخلق ربه ودنياه وأخراه متعبد لربه عز وجل بمفارقة الجهات الستة والأشياء وترك العمل لها وموافقته والقبول منها وتصفية باطنه من الميل والاشتغال بها فيخالف شيطانه ويترك دنياه ويفارق أقرانه وسائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراه ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر الله عز وجل فيفارق أخراه وما أعد عز وجل لأولياته فيها من جنة لرغبته في مولاه فيخرج من الأكوان فيصفي من الأحداث

(١) « الرسالة القشيرية » (١/٢٩٢) .

ويتجوهر لرب الأنام فتنتقطع منه العلائق والأسباب والأهل والأولاد فتتسد عنه الجهات وتفتح في وجهه جبهة الجبهات وباب الأبواب وهو من الرضا بقضاء رب الأنام ورب الأرباب . . . . . ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى الملك الديان ثم يرفع منه إلى مجالس الأئمة ثم يجلس على كرسي التوحيد ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار الفردانية ويكشف عنه الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فانيًا عن نفسه وصفاته عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومنه وديناه وأخراه كإناء بلور مملوء ماءً صافياً تتبين فيه الأشباح فلا يحكم عليه غير القدر ولا يوجد غير الأمر فهو فان عنه وعن حظه جود لمولاه وأمره لا يطلب خلوة لأن الخلوة للموجود فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم ولا يلبس حتى يلبس « (١) » .

إذا نظرنا في النصين السابقين نرى بوضوح بأن إبراهيم بن أدهم دعا لكل من يريد أن يصل إلى مرتبة ولاية الله عز وجل أن يمسك نفسه بالشدّة ويذلها ويتعبها ويسهرها ويفقرها وأن يغلّق عليها باب الأمل نهائياً حتى تئأس من كل ما في هذه الدنيا من النعم التي أحلها الله لعباده وأمرهم بالأكل منها ولو نظرنا إلى هذه الرياضات سنجدها رياضات بوذية بحته فإن البوذا هم الذين يعذبون أجسادهم أما الإسلام فلم يأمر بتعذيب الأنفس وإذلالها وإفقارها بل بالعكس أمر الإسلام بالاهتمام بهذا الجسد والاعتناء به حتى يكون جسداً صحيحاً معافى ويقوم بوظائفه على أكمل وجه في هذه الحياة وقد بين الله ورسوله الأمور التي إذا فعلها الإنسان يكون ولياً لله وحبیباً له فلا حاجة إلى هذه الرياضات المبتدعة التي ما

(١) « الغنية » للشيخ عبد القادر الجيلاني (١٧٨-١٧٩) .

أنزل الله بها من سلطان .

وكذلك إذا نظرنا في النص الثاني نجد أن الشيخ عبد القادر الجيلاني وصف المرید الزاهد بأنه هو الذي يترك الدنيا بالكلية ويتعد عن أقرانه الذين يعايشونه بل كل المخلوقات لأجل طلب الآخرة وياليتة توقف هنا بل ادعى بأن المرید يترقى في هذا الزهد حتى يصل إلى مرحلة يزهد فيها في كل ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من الجنة والنعيم الذي أعده الله فيها وأن المرید الزاهد حقيقة هو الذي يقطع علائقه بالبشر نهائياً ويترك القيام بالأسباب فلا يقوم بأي عمل يحصل من ورائه على رزقه الذي كتبه الله له وينقطع عن أهله وأولاده فلا يلقي لهم بالاً وهذه كلها مفاهيم خاطئة للزهد ومضادة لما أمر الله به ورسوله ﷺ وسنين ذلك في حينه حينما نقوم بالرد عليهم وذلك بإثبات أن الإسلام رغب في العمل وأمر بمواصلة الأرحام وبالقيام بحقوق الزوجة والأولاد ودعا إلى مراعاة كل الحقوق التي كلفها الإسلام لكل مخلوق في هذه الحياة وإعطاء كل ذي حق حقه (١) .

ومن النصوص التي تدل على أن المتصوفة يدعون إلى التجرد الكامل عن الأملاك وتجويع النفس وعريها : قول السري السقطي حيث قال : « لا يكن معك شيء تعطي منه أحداً » (٢) .

ومعنى ذلك : أنه لا يجوز لمن يريد الوصول إلى ولاية الله إبقاء أي شيء في يده من أملاكه وهذا مفهوم خاطئ .

(١) انظر (ص ٩٢١ - ٩٤٢) .

(٢) « العوارف » (ص ٩٢) و« اللمع » (ص ٢٦٢) و« الرسالة » (١/ ٨٢) .

ويقول داود الطائي : « صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر عن الناس فرارك من السبع »<sup>(١)</sup> .

وهذه أمور لم يدع إليها الإسلام لأن الإسلام أباح الأكل من الحلال في هذه الدنيا ولم يدع الإنسان أن يجعل فطره الموت ولم يدع أيضاً بالفرار من الناس والهروب منهم واعتزالهم والابتعاد عنهم كلبية بل أمر الإسلام بمخالطة الناس ودعوتهم إلى الهدى حتى يسلموا إن كانوا غير مسلمين وحتى يفهموا أمور دينهم فهماً صحيحاً إن كانوا مسلمين فالدعوة إلى الانعزال عن الناس كما يقول به هؤلاء المتصوفة ليس من الإسلام .

ويقول الجنيد : « أحب للمريد أن لا يشغل قلبه بالتكسب وإلا تغير حاله » .

وقال أيضاً : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنتات »<sup>(٢)</sup> .

يتضح لنا من النصين السابقين بأن الجنيد نصح للمريد الذي يريد أن يصل إلى ولاية الله أن يتعد عن القيام بأي عمل يحصل من ورائه على رزقه الذي قسمه الله وحذره بأنه إذا فعل ذلك سيؤدي إلى تغير حاله إلى حالة غير مرضية وذلك لأن المتصوفة يعتقدون بأن القيام بالعمل في هذه الدنيا يدل على نقصان إيمان المرء وتوكله على الله وهذا فهم خاطئ منهم فإن الرسول والصحابة كانوا متوكلين على الله ولم نجد لأحد منهم الدعوة إلى ترك العمل بل الرسول دعا إلى العمل والصحابة كانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل

---

(١) « الرسالة » (٩٥/١) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١٣٣/١) .

وهذا الذي يدعو إليه المتصوفة لا يسمى توكلاً على الله وإنما هو تواكل فقط .

وقد دعا المتصوفة إلى الفقر ومدحوه في كتبهم ومن أقوالهم التي تدل على هذا :

قال ابن عجيبة : « الفقر أساس التصوف وبه قوامه »<sup>(١)</sup> .

وروي عن ابن رويم أنه قال : « مبني التصوف علي الفقر » .

وقال الجنيد حين سئل عن الزهد :

« الزهد هو تخلي الأيدي من الأملاك وتخلي القلوب من الطمع »<sup>(٢)</sup> .

وقال رويم بن أحمد الصوفي حين سئل عن الزهد ما هو ؟ قال : « هو

ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا »<sup>(٣)</sup> .

وذكر الشعراني عن ابن عربي أنه قال :

« من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام الرسول

وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها ويفرح

لزوالها»<sup>(٤)</sup> .

ويقول إبراهيم المتبولي :

« كل فقير لا يحصل له جوع ولا عري فهو من أبناء الدنيا»<sup>(٥)</sup> .

---

(١) « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عربي (ص ٢١٣) ط ٣ مصطفى البابي الحلبي ط

(٢٠١٤هـ) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص ٧٢) .

(٣) « اللمع » للطوسي (ص ٧٣) .

(٤) « اليواقيت والجواهر » للشعراني (١/٢٦) .

(٥) « الأخلاق المتبولية » للشعراني (٢/٩٤) .

وذكر الصوفي عماد الدين الأموي في كتابه « حياة القلوب » :

أن رجلاً دخل على بعض الصوفية يتكلم في الزهد وعنده قميص معلق  
وعليه آخر فقال : يا شيخ أما تستحي أن تتكلم في الزهد ولك قميصان<sup>(١)</sup> .

وزجر السري السقطي رجلاً كان يملك عشرة دراهم وقال : « أنت  
تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم »<sup>(٢)</sup> .

وذكر الكلاباذي عن أحمد بن السمين أنه قال :

« كنت أمشي في طريق إلى مكة فإذا أنا برجل يصيح أغثني يا رجل  
اللَّهُ اللَّهُ قلت مالك مالك خذ مني هذه الدراهم فإنني ما أقدر أن أذكر الله  
وهي معي فأخذته منه فصاح لبيك اللهم لبيك وكانت أربعة عشر درهماً »<sup>(٣)</sup> .

وقال سهل بن عبد الله التستري :

« اجتمع الخير كله في هذه الأربع الخصال وبها صار الأبدال أبدالاً  
وهي : إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر »<sup>(٤)</sup> .

وقال يحيى بن معاذ :

« الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها  
وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشغل بالله لا يلتفت إليها والزهد  
يقتضي معانقة الفقر واختياره »<sup>(٥)</sup> .

(١) « حياة القلوب بهامش قوت القلوب » (١٢٢/٢) .

(٢) « طبقات الأولياء » لابن الملقن .

(٣) « التعرف » للكلابادي (ص ١٨٥) .

(٤) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ٩٢ - ٩٣) .

(٥) « اللمع » للطوسي (ص ٧٣) .



وينقل الهجويري عن أبي بكر الشبلي أن واحداً من علماء الظاهر سأله على سبيل التجربة عن الزكاة قائلاً ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة ؟ قال : حين يكون البخل موجوداً ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم عن كل مائتي درهم ونصف دينار عن كل عشرين ديناراً هذا في مذهبك أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئاً حتى تتخلص من مشغلة الزكاة<sup>(١)</sup> .

ويقول الهجويري :

« السكون إلى مألوفات الطبع يقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق »<sup>(٢)</sup> .

ويقول أحمد الرفاعي :

« أكره للفقراء دخول الحمام وأحب لجميع أصحابي الجوع والعري والفقير والذل والمسكنة وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك »<sup>(٣)</sup> .

ويقول أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي :

« من أركان التصوف : ترك الاكتساب وتحريم الادخار »<sup>(٤)</sup> .

وذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه سئل بأي شيء نلقى هذه المعرفة

فقال :

« يبطن جائع وبدن عار »<sup>(٥)</sup> .

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (٥٥٨/٢) .

(٢) « كشف المحجوب » للهجويري (٥٦١/٢) .

(٣) « الأنوار القدسية » للشعراني (١٣٢/١) .

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص ١٠٨) .

(٥) « الرسالة » للقشيري (٨٨/١) .

ويقول الكلاباذي في وصف الصوفية :

« إنهم قوم تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأعرؤا الأجساد »<sup>(١)</sup> .

من كل ما تقدم من النصوص التي أوردتها عن هؤلاء المجموعة الذين يعتبرون أئمة في التصوف يتضح لنا جلياً بأن الصوفية يعتقدون بأن الزهد الحقيقي هو ترك الاكتساب وعدم الادخار وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من جوع وعري وغيرها حتى تصل إلى ولاية الله حسب زعمهم .

### بيان بطلان هذا المفهوم الصوفي للزهد :

إذا عرضنا مفهوم الصوفية هذا للزهد على الكتاب والسنة سنجد أنه يخالف تمام المخالفة مبادئ الإسلام الحنيف الذي دعا إلى العمل وأباح ادخار الشيء اللازم للقوت ونهى عن تعذيب النفس وتكليفها ما لا تطيقه وأمر باللباس الجميل الساتر ونهى عن العري ولذا نقول إن هذه الطريقة التي اعتبرها المتصوفة طريقة موصلة إلى الله سبحانه وتعالى ألا وهي طريقة حرمان النفس مما أحل الله وتعذيبها بالتجويع حتى تضعف عن القيام بواجباتها الدينية والدينية ليست طريقة مشروعة بل هي طريقة مخالفة للمنهج الذي جاء به الرسول ﷺ من عند الله وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بترك الأكل وتجويع النفس بل الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأكل مما أحله الله لنا من الطيبات في هذه الحياة الدنيا فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) « التعرف لمذهب أهل التصوف »

(٢) البقرة : (١٧٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) .

وفي حديث الثلاثة الذين أتوا إلى رسول الله ﷺ وسألوا عن عباداته فأروها قليلة وأرادوا أن يقوموا بعبادات أكثر من هذا حيث قال أحدهم :

لا أتزوج النساء ، وقال الآخر : لا أنام الليل ، وقال : آخر أصوم ولا أفطر والرسول ﷺ خطب بهذه القضية في المسجد ونهاهم عن هذا العمل وقال في آخر الحديث فمن رغب عن سنتي فليس مني وإليك نص الحديث .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٢) .

فإذا تعذيب النفس وحرمانها مما أحله الله من النوم والزواج والإفطار بعد الصيام أو حرمانها من الأكل وتعذيبها بالجوع ليس من سنة المصطفى ﷺ وإذا لم يكن من سنته فليس عملاً مشروعاً وما دام لم يكن مشروعاً فلن يوصل إلى ولاية الله ومحبته ومرضاته كما يزعم المتصوفة بل سيوصلهم إلى الضلال المبين وقد حصل لهم فإن كل من ينظر إلى المتصوفة عبر القرون

(١) الأعراف : (٣١) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٠٤/٩) .

يرى بوضوح بأن القوم وقعوا في ضلالات خطيرة بسبب بعدهم عن الكتاب والسنة وحبهم للبدع .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في معرض رده على المتصوفة الذين قنعوا عن أكل اللحوم بحجة الزهد :

قال : « والامتناع عن أكل اللحم إنما هو من مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان وليس من الإسلام في شيء وإن الله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوي القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق .

وقد كان الرسول ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب الماء البارد» (١) .

«وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحماً وعلى هذا كان السلف» (٢) .

« هذا إلى أن منع النفس شهواتها على الإطلاق ضار بالبدن فإن البدن محتاج في قوامه إلى مختلف الأنواع من الأغذية وقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتحتاجه فإذا مالت النفس إلى ما يصلها فمنعت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها فكان هذا مخالفاً للشرع والعقل» (٣) .

ثم إن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن هذه النعم هي للمؤمنين في هذه الدنيا وغيرهم يشاركون فيها وأما يوم القيامة فهذه النعم خاصة بالمؤمنين لا

(١) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢١٢) .

(٢) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢١٢) .

(٣) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢١٣) .

يشاركهم فيها فاجر ولا كافر ولا منافق ولا مشرك ويدل على هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وكذلك التعري ليس من الإسلام في شيء بل الإسلام أمر بستر العورة ولبس الملابس الجيدة النظيفة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

وقد امتن الله علينا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن أنعم الله علينا بالملابس التي نستتر بها أجسادنا فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

ولذا أقول إن تعذيب النفس بالتجويح بحرمانها مما أحله الله وتعريتها من الملابس ليست من الطرق المشروعة الموصلة إلى ولاية الله سبحانه وتعالى وإنما هي طريقة ورثها المتصوفة من ديانات البوذيين والهنداكة الوثنيين الذين يعذبون أنفسهم بشتى أنواع الرياضات الشاقة، ولذا أقول إن سلوك هذا الطريق لا يمكن أن يكون مقرباً إلى الله عز وجل وموصلاً إلى ولايته ومحبهته وإنما هو طريق مبعث عن الله ويدخل الإنسان الذي يسلكه في وساوس وأوهام شيطانية يتخيلها المسكين أنها فتوحات رحمانية فيظن أنه قد وصل إلى ولاية الله فيتيه في أودية الضلال المبين كما حصل لهؤلاء المتصوفة الذين سلكوا هذا الطريق حيث أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله

(١) الأعراف : (٣٢) .

(٢) الأعراف : (٣١) .

(٤) النحل : (٨١) .

وصار دينهم الذي يدينون به المنامات والأحلام وقال فلان وقال خضر وكلها متاهات وخرافات إبليسية لا أساس لها من الصحة .

وأما اعتقاد المتصوفة بأن الزهد الحقيقي هو ترك الكسب والادخار وتبديد المال أو التخلي عنه نهائياً فهذا اعتقاد فاسد يتناقض مع النصوص القرآنية والحديثية التي تأمر بالعمل وادخار ما يكفي الإنسان لمعاشه والمحافظة على المال مع إخراج الحق منه .

\* فمن الآيات التي دلت علي الحث على العمل لكسب الرزق قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١) .

\* وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

\* وقوله سبحانه : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (٣) .

فهذه الآيات كلها فيها حث على العمل والتفاني فيه لكسب الرزق الحلال وذلك لكي ينفقه الإنسان في الأمور الواجبة عليه ويتصدق بما زاد على حوائجه على الفقراء والمساكين وفي كل سبل الخير التي أمر الله بالإنفاق وبذل المال فيها .

وهناك أحاديث كثيرة تحث على العمل لأجل كسب الرزق الحلال .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن خير الطعام هو الطعام الذي يأكله الإنسان

(١) الملك : (١٥) .

(٢) الجمعة : (١٠) .

(٣) التوبة : (١٠٥) .

من عمل يده فقال : « ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »<sup>(١)</sup> .

ومن هنا نقول إن الدعوة إلى ترك العمل والقعود في الخوانق والزوايا والأربطة ليس من الزهد المشروع وإنما هو زهد مبتدع مستورد من الأمم التي تعبد الأوثان كالبودية وغيرها اخترعه المتصوفة لكي يأكلوا أموال الناس بالباطل .

وأما دعوى المتصوفة بأن الإنسان لا يمكن أن يكون زاهداً إلا إذا تجرد عن جميع ما يملكه فليس هذا بصحيح بل إن الزهد الحقيقي هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان فيعمل ويكد ليكسب الرزق الحلال ثم ينفق ما كسبه في الوجوه المشروعة وأول واجب عليه هو الإنفاق على نفسه وأهله ثم ينفق في وجوه الخير إن كان لديه مال فائض عن حوائجه الضرورية أما دعوة الناس إلى التجرد الكلي عن أموالهم وتركهم فقراء عالة يتكففون الناس فهذا ليس من الإسلام في شيء ومما يدل على هذا ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :

حدث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : « وما أبقيت لأهلك؟ » فقلت : مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

ولذا أقول إن ادخار الإنسان لعياله ما يكفيهم لتفقتهم ليس مما نهى عنه الإسلام بل هو أمر مشروع وجائز بل واجب .

ومما يدل على هذا حديث جابر بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله

(١) البخاري مع الفتح (٤/٣٠٣) .

(٢) « تلبس إبليس » لابن الجوزي (ص ١٨٢) .

ﷺ إذا جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال : يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته فقال رسول الله ﷺ : « يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خیر الصدقة ما كان عن ظهر غنى » (١) .

ومن هذا الحديث نفهم بأن الإنسان ليس له أن يتصدق بجميع ما يملك حتى يصبح فقيراً ثم يتعرض لسؤال الناس بل عليه أن يبقى من ماله ما يعف به نفسه وعياله وكل من تجب عليه نفقته فإن من الأشياء التي أكد عليها الإسلام اعطاء كل ذي حق حقه .

وكذلك الإكثار من المال الحلال ليس منهياً عنه بل هو أمر مباح وجائز ومما يدل على هذا أن الرسول ﷺ دعا لأنس بن مالك بأن يكثر الله ماله وولده ويبارك له فيه فقال ﷺ : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته » (٢) .

ومن هذا الحديث نفهم بأن الإكثار من المال الحلال ليس من الأشياء المنهي عنها بل هو أمر مشروع لأنه لو كان من الأمور المذمومة العائقة عن الوصول إلى ولاية الله ومرضاته لما دعا الرسول ﷺ لأنس ليكثر الله ماله .

وروى عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته قال : فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من

---

(١) « سنن أبي داود » (٢٢٢/٨) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٣٩/١٦) .



مالي صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : « أمسك بعض مالك فهو خير لك » (١) .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله بعد أن ذكر جملة من الأحاديث التي تدل على أن التجرد من المال كلية ليس مما أمر به الإسلام وأن الإنسان له أن يمسك ما يكفيه وعياله ويدخره قال :

« فهذه أحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكل . . . » .

ثم قال رحمه الله : « وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث الزمان وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أئيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته . . وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه : ﴿ وَنَزَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ﴾ (٢) مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم ، وأن شعيباً طمع في الزيادة ما يناله فقال : ﴿ فَإِنْ أْتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ (٣) وأن أيوب عليه السلام لما عوفي نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه ويستكثر منه ف قيل له أن شبت قال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصد به الخير كان خيراً محضاً (٤) .

(١) « صحيح مسلم » مع النووي (٩٦/١٧) .

(٢) يوسف : (٦٥) .

(٣) القصص : (٢٧) .

(٤) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ١٧٩) .

وقال ابن الجوزي أيضاً في مكان آخر من كتابه :

« كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم حسنة صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلّة العلم فأما الآن فقد كفى إبليس هذه الموءنة فإن أحدهم إن كان له مال أنفقه تبذيراً وضياًعاً . . وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه وإن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع » .

وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلاً وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفاقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه ثم نقل ابن الجوزي كلاماً طويلاً للحارث المحاسبي وقال في خاتمته :

« فهذا كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى إلا قدر ضرورته فمن بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل » .

قال الإمام ابن الجوزي :

« وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال » (١) .

وقد أمر الله بحفظ المال ونهى عن تضييعه وإسرافه وتبذيره وعظم قدره لأن المال هو قوام الأدمي وما جعل قواماً للأدمي وبه منوطة حياته في هذه الدنيا لأن الإنسان إذا لم يعمل ويحصل علي رزقه من حلال فمن أين سيحصل ما يسد به رمقه ؟ ولقد نهى الله عز وجل عن وضع الأموال في يد السفهاء خشية أن يبددوها في أمور تافهة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ .

ونهى الله سبحانه وتعالى عن تسليم المال لغير رشيد لأنه لا يحسن التصرف فيها فيضيعها قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ (٢) .

وقد نهى الرسول ﷺ عن إضاعة المال في الحديث الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعاً أن رسول الله قال : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووَاد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » (٣) .

وقال الرسول ﷺ لسعد : « إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » (٤) .

(١) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ١٧٦) .

(٢) النساء : (٦) .

(٣) « صحيح الباري » مع الفتح (٦٨/٥) .

(٤) « مسند أحمد » (١٧٣/١) .

ثم إن الفقر ليس محبوباً في نفسه بحيث يسعى الإنسان ليكون فقيراً بعد أن يبدد ماله ويبقى منه خالي اليد فهذا أمر مخالف لسنة المصطفى ﷺ وذلك لأن الرسول ﷺ تعوذ من الفقر في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات : « اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من الفقر والقلّة والذلة وأن تظلم أو تظلم » (٢) .

ولكن إذا أصيب الإنسان بالفقر فعليه أن يصبر مع بذل الجهد للحصول على لقمة العيش التي يسد بها رمقه ويغني به نفسه عن مذلة السؤال .

ومن هنا نقول إن الله سبحانه وتعالى قد عظم قدر المال وأمر بحفظه ونهى عن تضييعه فيما لا يرضي الله عز وجل وأن جمع المال وادخاره لو كان محذوراً أو مذموماً أو مانعاً من الوصول إلى ولاية الله كما يزعم المتصوفة لما أمر الله بحفظه عن الضياع .

وقال الشيخ محمد فهد شقفه راداً على المتصوفة الذين يدعون إلى ترك العمل وتبديد الأموال والقعود والجلوس في الأربطة :

« والدعوة إلى البطالة والكسل وترك العمل وتبديد المال دعوة خطيرة في المجتمع فيها تعطيل لإعمار الأرض ومخالفة لروح الإسلام فإذا كان

(١) « صحيح مسلم مع النووي » (٢٨/١٧) .

(٢) « سنن ابن ماجه » (١٢٦٣/٢) .

الإسلام يتميز في شيء عن الديانة النصرانية سوى العقائد فإنه يتميز في تنظيم أمور الدنيا وعلاقات الناس وغالبها ينشأ عن الكسب وطلب الرزق والإسلام دين العمل المنتج والنشاط الدائم ولم يكن في يوم من الأيام دين بطالة أو كسل وتطفل ، ورحم الله أبا بكر خرج صباح توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده .

والدعوة لترك العمل دعوة إلى الفقر ولا يوجد شيء أشد على النفس والمجتمع من الفقر وكان رسول الله ﷺ يستعيز من الفقر .

والدعوة لترك العمل دعوة للتخلف والضعف فإن المال والرزق من أهم أسباب القوة والمنعة والعز وقد حث الإسلام على العمل ورفع شأن العامل وبارك في كسبه قال تعالى : ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (١) .

ونكتفي بهذا في الرد على المتصوفة الذين زعموا أن الزهد يقتضي عدم القيام بأي عمل يحصل الإنسان من ورائه على معيشته الضرورية وأنه لا يجوز لأي أحد أن يدخر شيئاً من ماله إذا أراد أن يدخل في زمرة الزهاد بل عليه أن يتجرد من جميع ماله وقد بينا بأن هذا مفهوم باطل وغريب ليس من الإسلام في شيء بل هو مخالف للعقل والفطرة التي فطر الله الناس عليها لأنه من الأشياء المعلومة ضرورياً في هذه الحياة الدنيا أنه لا يمكن أن يعيش أي إنسان مهما كان بدون القوت الضروري الذي يقيم به صلبه على الأقل ولو تجرد الإنسان من جميع ماله كما يدعو المتصوفة إلى ذلك فمن أين سيجد الإنسان هذا القوت الضروري ؟ وأظن الإجابة على ذلك : ليس أمامه

(١) يس : (٣٥) والموضوع منقول من كتاب محمد فهد شفقة (ص ١١٤) .

للحصول على رزقه إلا التعرض للشحاعة والسؤال والوقوف أمام أبواب الناس من أجل الحصول على لقمة العيش وبالفعل لقد وقع المتصوفة في هذا ، وهذا ما سنبينه في الآتي .

### وقوع المتصوفة في الشحاعة وسؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد :

لقد وقع المتصوفة في الشحاعة وسؤال الناس فوقوا أمام بيوت الناس وتسكعوا في الشوارع من أجل الحصول على عيشهم الضروري وما أوقعهم في هذا إلا سوء فهمهم للزهد في الإسلام حيث إن الإسلام دعا إلى العمل والسعي في الأرض للحصول على الرزق الحلال بطرق شرعية فخالفوا ذلك ودعوا إلى تعطيل القيام بأي سبب في هذه الدنيا وحرموا الادخار ودعوا إلى تجرد الإنسان من جميع ماله حتى يدخل في زمرة الزاهدين ثم وقعوا بعد ذلك في حيرة فلم يجدوا طريقاً يحصلون على رزقهم عن طريقه إلا القيام بالشحاعة وسؤال الناس في الشوارع والبيوت ولم يقف المتصوفة بسؤال الناس فقط مع ما فيه من نهي نبوي عنه وإنما دعوا أتباعهم إلى هذه الحرفة لما فيها من الحصول على الرزق بدون كد ومدحوا السؤال والحصول على الرزق عن طريق الشحاعة والتذلل والخشوع أمام الناس من أجل أن يعطوهم ما يأكلونه وهذا ما سأوضحه فيما يلي إن شاء الله بإيراد عبارات تدل على هذا عن أئمتهم الضلال .

النصوص التي تدل على أن المتصوفة قاموا بالسؤال ومدحوه .

لقد مدح أقطاب الصوفية ومشائخهم الكبار وقاموا به بأنفسهم وطبقوه في واقع حياتهم ودعوا المريدين لهم إلى ممارسة هذه المهنة لأنها هي المهنة التي توقع الإنسان في الذل والهوان أمام الناس ولذا دائماً ترى

الصوفية يحرضون أتباعهم للتعرض للفاقات والمصائب المالية ثم يحثونهم على سؤال الناس .

يقول أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي تحت عنوان: ورود الفاقات أعياد المريدين : . . . . قال في معرض حديثه عن أحوال المريدين :

« ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه وإعواز أمانيه وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لأن مدار أمرهم إنما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك إلا بوجدانهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : فواجب أن يكون ورود الفاقات أعياد المريدين فإذا فقدوا ذلك بمواتات الأسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب<sup>(٢)</sup> .

وقال إبراهيم المرابط الحسيني في وصف الصوفية :

بقو بشهود الحق من بعد ما فنوا      عن الكون فاستجلوا ضياء المواهب  
يداوون أمراض النفوس بحملها      على ضد ما تهوى ذات المصائب

ثم قال الأمير عبد القادر الجزائري بعد ذكره هذه الأبيات :

« ولذا كان من شرط المريد الفقر بعد الغناء والخفاء بعد الظهور

(١) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ٣١) .

(٢) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ٣٢) .

ومراعاة الحق على كل حال وتطهير النفس من الأعراض والأمراض والأحوال»<sup>(١)</sup> .

وقال الرندي :

« ورود الفاقات يحصل بها للمريد مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى وما كان سبيله هذا لا يؤمن عليه من دخول الآفات فلا يفيدته تخلية ولا تركية بخلاف ورود الفاقات فإنها مباينة للهوى والشهوة على كل حال »<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو الحسن الشاذلي :

« وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل وأضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه »<sup>(٣)</sup> .

إذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نجد أن المتصوفة كلهم دعوا المريدين إلى التعرض لجميع المصائب في هذه الدنيا من الفقر والذل والهوان أمام جميع البشر في هذه الحياة وأكدوا لهم بأن هذا الطريق هو أفضل طريق لتزكية النفس وتطهيرها بل فضله بعضهم على الصلاة والصوم كما هو واضح أمامنا ونحن نقول إن هذا افتراء محض فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين دائماً فقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) « التصوف » للأمير عبد القادر الحسيني (ص ٣٩) .

(٢) « غيث المواهب العلية » للرندي (٣٣) .

(٣) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ٣٤) .

(٤) المنافقون : (٧) .



فدعوة المتصوفة للمريدين التعرض لجميع المصائب دعوة باطلة قصدوا من ورائها القضاء على عدد كبير من شباب الأمة الإسلامية عن العمل وجعلهم فقراء يتكفون الناس من أجل الحصول على لقمة العيش وهذا أمر خطير جداً ودعوة خبيثة انتشر بسببها الفقر والتسول في العالم الإسلامي من قبل الشباب الذين قضت الطرق الصوفية على شخصياتهم وعطلت طاقاتهم بسبب اعتناقهم للفكر الصوفي المنحرف الذي يدعو إلى البطالة والبعد عن القيام بأي عمل ولم يكتفوا بهذا بل دعوا أيضاً إلى القيام بالسؤال والشحاعة في الطرقات والبيوتات وجعلوه أفضل من الكسب لأنه يسبب الذل والمهانة للمريد فيترقى إلى أعلى المقامات .

عبارات المتصوفة وحكاياتهم التي تثبت أن المتصوفة مدحوا السؤال والشحاعة وطبقوه في واقع حياتهم :

لقد ذكرنا فيما سبق أنّنا بأن المتصوفة دعوا المريدين إلى التعرض للمصائب والفاقات بجميع أنواعها ثم دعوهم بعد ذلك إلى القيام بسؤال الناس وشحادتهم في الطرقات والبيوت وهذا ما نريد إثباته هنا .

يقول أبو بكر النباتي (١) :

« أفتى الصوفية بوجوب السؤال على الفقير في بدايته إذا كان واجباً باعتبار بداية السالك ولا عبرة ما إذا كان المريد غنياً أو فقيراً بل عليه أن يسأل

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عبد الله النباتي الفاسي الرباطي متصوف وتوفي في رباط الفتح أقام مدة بفاس فتصوف وعلت شهرته في التصوف أكثر من ستين كتاباً منها رسائله المسماة « مدارج السلوك » و« الغيث المسجم في شرح الحكم الغطائية » و« الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية » انظر الأعلام للزركلي (٢/٤٥) .

لأن هذا السؤال المقصود منه هو تربية الأرواح « (١) .

إذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن الصوفية يعتبرون سؤال الناس هو الطريق الذي عن طريقه تتم تربية الأرواح ولذا أوجبوا على المريدين كما هو واضح أمامنا وهذا افتراء وكذب فسؤال الناس والتكفف لهم لا يجوز إلا عند الاضطرار فقط كالميتة أما أن يكون واجباً أو يكون من الطرق التي يتم عن طريقها تربية الأرواح كما يزعم المتصوفة فليس هذا بصحيح .

ويقول عبد القادر الفاس دفين أبي عجارة من رأس الحنان بأرض فاس:

« فإذا قذف الحق فيها نور وجوده وكشف عنها حجاب الأكوان المانعة من شهوده يشهده حيثئذ من هذه حاله من غير كيف في جميع صور وجوده حتى إذا احتاج إلى شيء فإنه يطلبه منه ويسأله من خزائن جوده إذ ليس معه فيه سواه فيمد يده عند الحاجة إلي أي صورة ويتكفف له في عينها في كل وقت من أوقات زمانها ويأكل من خزائن الجود ويكون أكله لذلك من أجل ما يؤكل وسؤاله عند الوصف المذكور من أفضل الأعمال لاقتترانه بمشاهدته تعالى والأخذ منه والافتقار إليه واقتترانه بوصف الذل الذي هو غاية المطلوب من العبد ولا عليه إن لم تزحزحه شهوته وتكدره غفلته فيما يدخل في يده» (٢) .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الفاسي بما أنه يعتقد أن جميع ما في هذا الكون مظاهر ومجالي لله سبحانه وتعالى فالحصول على الرزق عن طريق تكفف أي حد من البشر في هذه الحياة هو أفضل رزق لأن

---

(١) « مدارج السلوك » (ص ٦) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص ٦) .

المتكفف للبشر إنما هو متكفف لله سبحانه وتعالى وطلب الرزق من الله والحصول عليه منه مباشرة هو أفضل رزق وهذه حيلة خبيثة لأكل أموال الناس بالباطل وإلا فليس ما في هذا الكون مظاهر ومجالي لله كما يزعم المتصوفة بل الله سبحانه وتعالى مبين لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله وقد بينا ذلك في باب انحراف المتصوفة في مفهوم التوحيد فانظره هناك<sup>(١)</sup>.

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هنا هو الإثبات بأن المتصوفة يرون الحصول على الرزق عن طريق سؤال الناس هو أفضل طريق .

وقال صاحب مدارج السلوك وهو يمدح السؤال ويفضله على الكسب:

« والخلائق كلهم يتكفون ولأرزاقهم يتعرضون إلا أن العامة يتعرضون لها بما تيسر لهم من الأسباب ويتكفون به سبحانه بعوض منهم في زعمهم لرؤيتهم نفوسهم وملكيتهما لما يجمعونه من المعوضات فيأخذون ويدفعون بطريق العوض فيأخذون من نفوسهم ويدفعون بنفوسهم في ظلمة نفوسهم يعمهون بخلاف من جعلوا شعارهم التكفف من غير عوض فإنهم يأخذون من الحق إذ لا ملك لهم معه يعوضونه إياه فهم يأخذون من خالص عطائه وفيض جوده وامتنانه فيكون من سؤاله للناس إذن من شيخ مرابي وتكففه على هذه الحالة ونفسه مطمئنة بها طعامه حلال ولقمته طيبة لا شوب فيها توكل أحل من غيرها إن وعلى هذا جرى عمل بعض الأسيخ رضي الله عنهم في قديم الزمان وعليه أسيخ هذه الطائفة الزرقوية رضي الله عنهم وفي السؤال أسرار أخرى لا تنكر يعرفها الذائقون لها فإن لله في كل حالة من الأسرار ما لا يصفه واصف ولا يحده عارف ومن أراد تحقيق ما هنالك فليجرب فإن

---

(١) انظر (ص ٨١٢ - ٨١٤) .

الحقائق تظهر في التجريب<sup>(١)</sup> .

وفي هذا النص رائحة عقيدة القول بوحدة الوجود واضحة جداً لأنه اعتبر سؤال الناس والأخذ منهم الأخذ من الله وذلك بناءً على عقيدتهم التي تقول إن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظاهر ومجالي لله سبحانه وتعالى وقد رأينا في هذا النص أيضاً تفضيله الحصول على الرزق عن طريق العمل للحصول عليه عن طريق السؤال وهذا مخالف للنصوص الشرعية .

وقال أيضاً : ومن شروط السؤال للمنقطع أربعة :

١ - عدم التشوف للأسباب .

٢ - عدم الادخار .

٣ - عدم رؤية الخلق في العطاء والمنع .

٤ - ولا يأخذ إلا ما وافق العلم الظاهر فأما ما دامت بقايا الأسباب في

النفس فالأسباب أولى<sup>(٢)</sup> .

فالنص واضح في أنه يدعو إلى ترك الأسباب وعدم الادخار ثم الاتجاه إلى طريق آخر للحصول على الرزق هو سؤال الناس وذلك بعد أن يتخلى عن القيام بأي عمل يحصل عن طريقه على رزقه وهذا أمر مخالف للشرع كما سيتضح لنا أثناء الرد عليهم .

وحكى الرندي عن بعض المتصوفة أنه قال :

« صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن تقبل إليه على يده

(١) « مدارج السلوك » (ص٧) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص٧) .

فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لأنه جعلها لهم فإن قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع رداءة همته « (١) » .

من النصوص السابقة نخرج بخلاصة وهي أن المتصوفة يفضلون الحصول على الرزق عن طريق السؤال والتكفف للناس على الحصول عليه عن طريق الكد والكدح وهذا مبدأ خطير جداً لو طبقته الأمة الإسلامية لانهار اقتصادها وأصبحت كلاً على غيرها وهو لو طبق كفيل بتدمير الأمة والقضاء عليها .

### حكايات عن المتصوفة أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس :

إذا أردنا أن نذكر كل الحكايات التي ذكرها المتصوفة في كتبهم والتي تدل دلالة واضحة على أنهم بالفعل قاموا بالتسول وسؤال الناس في الشوارع بغية حصولهم على الرزق بعد أن دعوا إلى الابتعاد عن العمل لكسب الرزق يصعب علينا ذكرها كلها ولذا سأذكر بعض الحكايات التي أثبت بها على أن المتصوفة بالفعل مارسوا التسول والتكفف لأموال الناس في الشوارع والبيوت وأصبحوا عبئاً على الأمة الإسلامية عبر التاريخ وإليك نماذج من هذه الحكايات .

فقد ذكر السهروردي بأن أحد المتصوفة قال : جعت ذات يوم وكان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازاً متعرضاً لعل الله يفتح لي على يد بعض عباده شيئاً فلم يقدر فنمت جائعاً فأتى آت في منامي فقال لي : اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع فشم خرفة زرقاء فيها تقطيعات

(١) « غيث المواهب العلية » للزندى (ص ٣٤) .

أخرجها في مصالحك<sup>(١)</sup> .  
إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا الصوفي دخل بغداد  
رجاء الحصول على رزقه بالتسول في شوارع بغداد وذلك بعد أن حرم  
الحصول على الرزق عن طريق الكد والكدح .

وروى السهروردي أن عبد الله بن عوف المسعودي كان له ثلاثمائة  
وستون صديقاً يكون عند كل واحد يوماً وآخر كان له ثلاثون صديقاً يكون  
عند كل واحد يوماً وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند  
واحد<sup>(٢)</sup> .

ورأى بعضهم النوري يسأل الناس قال : فاستعظمت ذلك منه  
واستفظعته فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لي : لا يعظم هذا فإن النوري لم  
يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره<sup>(٣)</sup> .

وروى عن أبي سعيد الخراز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول : ثم شيء .

ونقل عن أبي جعفر الحداد وكان أستاذاً للجنيد أنه كان يخرج بين  
العشائين ويسأل من باب أو بابين .

ونقل عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسأل كل ثلاثة أيام عند فطوره<sup>(٤)</sup> .

ويعتقد المتصوفة إن لله سبحانه وتعالى أبواباً من طريق الحكمة  
وأبواباً من طريق القدرة فإن فتح باباً من طريق الحكمة وإلا فيفتح باباً من

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ٩٨) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٢) .

(٣) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٢) .

(٤) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٢) .

طريق القدرة ويأتيه الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام :  
﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ  
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

وقيل لأبي يزيد ما نراك تشتغل بالكسب فمن أين معاشك فقال :  
مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد (٢) .

وتكفي هذه النماذج التي ذكرتها عن أئمة التصوف فهي واضحة الدلالة على أن المتصوفة بالفعل مارسوا حرفة التسول والتكفف والسؤال لأموال الناس بعد أن عطلوا أتباعهم عن ممارسة أي عمل بحجة أن هذا مناف للزهد الحقيقي في هذه الدنيا وهذا فهم خاطئ للزهد الإسلامي المشروع الذي بيناه في المبحث الأول من هذا الفصل إذ بينا هناك بأن الزهد الحقيقي في هذه الدنيا هو أن يكد الإنسان في هذه الحياة الدنيا من أجل الحصول على الرزق الحلال ثم ينفقه في الوجوه المشروعة وأن الزاهد هو الذي يقدم أمور دينه على دنياه ولا يكن همه جمع حطام الدنيا فقط أما أن يتجرد الإنسان من جميع ماله ويحرم الكسب على نفسه ثم ينتظر ما يقدم له من الناس فهذا أمر مخالف لمبادئ ديننا الحنيف الذي حث على الكسب وحذر من سؤال الناس إلا للضرورة .

قال الإمام ابن الجوزي وهو يتحدث عن المتصوفة الذين فهموا الزهد فهماً خاطئاً ودعوا إلى التجرد عن كل ما يملكون :

قال : وقد بينا أنه كان من أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٣) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٣) .

فيها وذكرنا أنهم قصدوا الخير بذلك إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إثارةً للراحة وحباً للشهوات فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمدون على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة (أي القدرة) سوي ولا يسألون بمن بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لا بد أن يصل إلينا ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه وهذا كله خلاف الشريعة وجعل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه فإن النبي ﷺ قال : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » .

وقد قاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكل شبهة .

وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن في حالة شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفاً وتنزهاً . . ثم قال ابن الجوزي :

« ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل إلى الدنيا فإن النبي ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى »<sup>(١)</sup> واليد العليا هي اليد المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هي الآخذة قال ابن قتيبة : ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال » .

ثم قال ابن الجوزي :

« ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى إلى

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٩١/٨) .



الأمير فلان يهنته بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت : ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفوا على رءوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولاً على الصدقات والصلوات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنتهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها واللّه إنكم أضر على الإسلام من كل مضر»<sup>(١)</sup> .

والخلاصة أن المتصوفة بعد أن حرّموا القيام بأي سبب يحصلون بسببه على الرزق الحلال ورأوه أنه مناف للزهد الحقيقي ودعوا إلى التجرد الكامل من كل ما يملكه الإنسان وقعوا في حيرة شديدة لأنهم أتوا ببدعة مرفوضة شرعاً وعقلاً ولم يجدوا أمامهم إلا وسيلة واحدة للحصول على الرزق ألا وهي التسول والتكفف وسؤال الناس أموالهم بالباطل واتخذوا هذه مهنة لهم وكل من ينظر إلى المتصوفة ومريديهم في العالم الإسلامي فإنه يراهم بأنهم صاروا حملاً ثقيلاً على الأمة الإسلامية لأنهم لا يقومون بأي عمل وعوام المسلمين وجهالهم يغدقون عليهم الأموال بحجة أنهم أولياء الله المتفرغين للعبادة والذي يهمننا هنا هل السؤال والتسول لأموال الناس ممدوح في الإسلام لكي يحصل الإنسان على رزقه عن طريقه أم لا ؟

وهذا ما سأجيب عنه الآن إن شاء الله

### حكم السؤال في الإسلام :

لقد حذر الإسلام من التسول والتكفف وسؤال الناس وذمه وتوعد عليه وذكر العاقبة الوخيمة التي تصيب الإنسان يوم القيامة بسبب سؤال الناس

(١) تليس إبليس « لابن الجوزي (ص ١٨٥ - ١٨٦) .

والتكف لأموالهم ولم يره من الطرق المشروعة الجائزة للحصول على الرزق عن طريقه فضلاً عن أن يكون من أفضل الطرق كما زعم المتصوفة .

وإليك الأدلة على ذلك من أقوال الرسول الكريم ﷺ .

فمن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال والتكف لأموال الناس قول الرسول ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف منها والمسألة : « اليد العليا خير من اليد السفلى »<sup>(١)</sup> واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة .

\* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال والحث على العمل قول الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتزم أحدكم حزمة حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلاً فيعطيه أو يمنعه »<sup>(٢)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة من لحم »<sup>(٣)</sup> .

قال ابن بطال رحمه الله تعليقا على هذا الحديث :

« جازاه الله من جنس ذنبه حين بذل ماء وجهه وعنده الكفاية وإذا لم يكن اللحم فتؤذيه الشمس أكثر من غيره وأما من سأل مضطراً فيباح له السؤال ويرجى له أن يؤجر عليه إذا لم يجد عنه بدأ »<sup>(٤)</sup> .

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٩١/٨) .

(٢) « سنن النسائي مع شرح السيوطي » (٩٣/٥) .

(٣) « سنن النسائي مع شرح السيوطي » (٩٤/٥) .

(٤) « شرح جلال الدين السيوطي على سنن النسائي » (٩٤/٥) .

وقال السندي :

« (مزعة لحم) بضم ميم ، حكى كسرهما وفتحها وسكون زاي معجمة وعين مهملة القطعة الكبيرة من اللحم والمراد أنه يجيء ذليلاً لا جاه له ولا قدر كما يقال له وجه عند الناس أو ليس له وجه أو أنه يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه أو أنه يجعل له ذلك علامة يعرف به والظاهر ما قيل أنه جازاه الله من جنس ذنبه فإنه صرف بالسؤال ماء وجهه عند الناس»<sup>(١)</sup> .

\* وعن قبيصة بن مخارق قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا تصح المسألة إلا لثلاثة رجل أصابت ماله جائحة فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش ثم يمسك ورجل تحمل حمالة فيسأل حتى يؤدي إليهم حمالتهم ثم يمسك عن المسألة ورجل حلف ثلاثة نفر من قومه من ذوي الحجا بالله لقد حلت المسألة لفلان فيسأل حتى يصيب قواماً من معيشة ثم يمسك عن المسألة فما سوى ذلك سحت»<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال : « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يتعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد من عطاء أوسع من الصبر»<sup>(٣)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال وتحث على العمل ما رواه عروة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بئمنها خير له من

(١) « حاشية السندي على سنن النسائي » (٩٤/٥) .

(٢) سنن النسائي » (٩٧/٥) .

(٣) « سنن أبي داوود مع بدل المجهود » (١٨٦/٨) والنسائي (٩٥/٥) .

أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» (١) .

\* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » (٢) .

وهكذا الإسلام كما نرى هنا في هذه الأحاديث نهى عن السؤال وحذر منه وعابه وشجع على العمل ووعد عليه الأجر الجزيل ولقد شجع السلف الصالح على العمل وحذروا من التكاثر .

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : « لا خير فيمن لا يجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه » .

وقال عمر بن الخطاب : « يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم واتجروا فقد وضح الطريق » .

وقال عبد الله بن المبارك : « من ترك السوق ذهبت مروءته وساء خلقه » (٣) .

إذا نظرنا في الأحاديث والآثار السابقة نخرج بخلاصة واحدة ألا وهي أن الإسلام قد حذر من سؤال الناس وتكففهم وحث على العمل والكد والكدح للحصول على الرزق واعتبر ذلك عملاً صالحاً يجزي عليه الإنسان يوم القيامة خيراً كما هو واضح أمامنا في الأحاديث والآثار التي ذكرتها وبهذا يظهر لنا بطلان دعوى الصوفية في نهيمهم عن العمل بحجة الزهد في الدنيا وحثهم على سؤال الناس والتكفف لأموالهم واعتبارهم له من أفضل الطرق

(١) « مصنف عبد الرزاق » (٩١/١١) وكذا « مصنف ابن أبي شيبة » (١٣٩/١) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣٠٤/٤) .

(٣) « تنبيه الغافلين » (ص ٦٨ - ٦٩) .

للحصول على الرزق.

نفور الصوفية عن الزواج وتنفير الناس عنه بحجة الزهد في الدنيا  
وسوء فهمهم للزهد :

لقد ابتعد زعماء الصوفية قديماً وحديثاً عن الزواج الشرعي ولم يكتفوا  
بابتعادهم عنه بل نفروا الناس عنه بشتى الأساليب المنفرة حيث يعتقد  
الصوفية بأن البعد عن الزواج وبالتالي عدم الأولاد لأن من لم يتزوج حتماً  
لن يلد يرون هذا المسلك أحسن معين للفقير وأجمع لهمه وأذ لعيشه وإليك  
أقوالهم التي وصفوا فيها الزواج بأنه رخص وليس بسنة من سنن المصطفى  
ﷺ وأنه قيود وانهماك في الدنيا ومانع من الوصول إلى ولاية الله سبحانه  
وتعالى ودعا المتصوفة إلى هجر الزوجة والأولاد والسكن في المزابل مع  
الكلاب من أجل إهانة النفس وتحقيرها وتعذيبها وذلك زهداً في الدنيا ورجاء  
الوصول إلى ولاية الله حسب زعمهم .

وإليك عباراتهم التي تدل على أنهم نفروا من الزواج بشتى  
الأساليب .

قال السهروردي وهو يذم الزواج وينفر منه :

« التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التزوج إلى  
النقص وتقييد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى  
الدنيا بعد الزهادة »<sup>(١)</sup> .

وقال السهروردي : « من تعود أفخاذ النساء لا يفلح »<sup>(٢)</sup> .

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٤) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

وقال أبو سليمان الداراني :

« ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشاً أو تزوج امرأة أو كتب الحديث »<sup>(٢)</sup> .

وقيل لبشر بن الحارث : إن الناس يتكلمون فيك فقال : ما يقولون؟  
قيل : يقولون إنه تارك للسنة - يعني النكاح - فقال : قولوا لهم أنا مشغول  
بالفرض عن السنة وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلاداً  
على الجسر<sup>(٣)</sup> .

ويقول السهروردي :

« فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه  
وألذ لعيشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل  
في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما  
يكون حجاباً »<sup>(٤)</sup> .

وقال أيضاً وهو يحذر المريدين عن الزواج ويخوفهم منه :

« والصوفي مبتلى بالنفس ومطالبها وهو في شغل شاغل عن نفسه فإذا  
انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجه يضعف طلبه وتكل إرادته وتفتر  
عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت قنعت . . » .

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٤) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٤) .

(٣) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٤) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٤) .

وقال أيضاً : « وينبغي للمريد أن يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « ولا شك أن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد »<sup>(٢)</sup> .

وذكر أن بعض الفقراء لما قيل له تزوج قال : أنا أن أطلق نفسي أحوج مني إلى الزوج<sup>(٣)</sup> .

ويقول سهل بن عبد الله التستري :

« إياكم والاستمتاع بالنساء والميل إليهن فإن النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهي مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف إليهن بكلية فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهن يئس منه وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من استرق بالنساء وأن الشر معهن حيث كن فإذا رأيتم في وقتكم من قدركن إليهن فأيأسوا منه »<sup>(٤)</sup> .

وقال إبراهيم بن أدهم :

« إذا تزوج الفقير فمثلته مثل رجل قد ركب السفينة فإذا ولد

(١) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٢) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٣) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٤) « غيث المواهب العلية » للرندي (٢/٢٠٩) .

له ولد قد غرق» (١) ..

هذا فيما يتعلق بتنفيذ الصوفية عن الزواج قبل وقوعه حتى لا يقع فيه المرید وأما إذا وقع المرید في الزواج وتزوج بالفعل فقد شجعوه على هجران المرأة وعدم قربها وذلك بذكر حكايات عن أئمة التصوف هجروا نساءهم بعد أن تزوجوهن ولم يقربوهن وإليك نماذج من هذه الحكايات التي قصدوا من ورائها تعذيب النساء .

فقد ذكر الشعراني عن ياقوت العرش وهو أحد المتصوفة أنه تزوج ابنة شيخه أبي العباس المرسي فمكثت عنده ثماني عشرة سنة لا يقربها حياءً من والدها ومنها وفارقها بالموت وهي بكر (٢) .

وذكر الطوسي أن صوفياً تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر (٣) .

ونقل أبو الحسن الهجویری عن إبراهيم الخواص أنه قال :

« وصلت إلى قرية بقصد زيارة عظیم كان هناك ولما ذهبت إلى داره رأيت بيتاً نظيفاً مثل معبد الأولياء وقد جعل في روايشين من البيت محرابين وجلس في أحدهما شيخ وفي الآخر عجوز نظيفة وضيئة وقد ضعف كلامها من كثرة العبادة فأظهر السرور بقدمي وبقيت هناك ثلاثة أيام ولما أردت العودة سألت الشيخ من تكون لك تلك العفيفة ؟ قال هي من ناحية ابنة عمي ومن ناحية أخرى زوجي فقلت رأيتكما خلال هذه الأيام الثلاثة كالغربيين

(١) « اللمع » للطوسي : (ص ٢٦٥) .

(٢) « الأشلاق المتبولية » لعبد الوهاب الشعراني (٣/ ١٧٩) .

(٣) « اللمع » للطوسي (ص ٢٦٥) .



تماماً في الصحبة قال : نعم ، منذ خمسة وستين سنة ونحن كذلك فسألته عن سبب ذلك فقال : اعلم أننا كنا عاشقين لأحدنا الآخر في الصغر ولم يكن أبوها يعطيها لي لأن محبتنا صارت معروفة فتحملت ذلك حتى توفي أبوها وكان والدي عمها فزوجها لي فلما كانت الليلة الأولى من تلاقينا قالت لي : أنت تعلم أي نعمة أنعمها الله علينا إذ أوصل كلامنا إلى الآخر وأفرغ قلوبنا من القيود والآفات السيئة ، فقلت : نعم ، قالت : فلنمنع أنفسنا الليلة عن هوى النفس وندس على مرادنا ونعبد الله شكراً على هذه النعمة ، فقلت : هذا صواب ، وقالت : هذا نفسه في الليلة التالية وقلت أنا في الليلة الثالثة : لقد أدينا الشكر ليلتين من أجلك فلنقض ليلتين أيضاً في العبادة من أجلي وقد تمت الآن خمسة وستون عاماً لم يمس أحدنا الآخر ونحن نقض كل العمر في شكر النعمة<sup>(١)</sup> .

إذا نظرنا في العبارات السابقة التي أوردتها عن المتصوفة نرى بوضوح كامل وبدلالة صريحة لا غموض فيها كلها فيها تفسير عن الزواج وأنه من الموانع عن الوصول إلى ولاية الله وأن البعد عن الزواج وعدم الإقدام عليه أو هجر الزوجة والأولاد بعد الوقوع عليه هو الطريق الموصل إلى ولاية الله سبحانه وتعالى وهذا حسب زعم المتصوفة .

ثانياً : إثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وأقوال العلماء :

تمهيد :

لقد ذكرنا في الفقرة الأولى السابقة أقوال الصوفية التي تدل دلالة صريحة على أنهم يرون النكاح رخصة وليس بعزيمة وبيننا بأنهم لم يقفوا عند

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (٦٠٨/٢) .

هذا الحد بل اتخذوا شتى الأساليب لتنفير الناس عن الزواج حيث وصفوه بأوصاف قبيحة تجعل العامي الجاهل الذي لا يعرف مكانة النكاح في الكتاب والسنة ينفر منه ويتعد عنه خشية أن يقع في تلك المصائب التي ذكرها الصوفية لكل من أراد أن يقدم على الزواج .

وفي هذه الفقرة نريد أن نرد على الصوفية وذلك بذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة تثبت مشروعية النكاح وأنه مما رغب فيه الرسول ﷺ وحث عليه وبهذا سيظهر بطلان دعاوى الصوفية التي ادعوها لكي ينفروا الناس عن الزواج .

**أولاً : الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء التي تثبت مشروعية النكاح :**

النكاح مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وإليك بيان ذلك :

**أولاً : الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح :**

\* من الآيات التي تدل على مشروعية النكاح قول الله تعالى : ﴿ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿١﴾ .

ففي هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى بالنكاح ولو لم يكن النكاح أمراً مشروعاً ومحموداً لما أمر الله به لأن الله لا يأمر بالمنكر بل يأمر بالمعروف ويعرف مصالح عباده دنيا وأخرى وعلى هذا يظهر بطلان دعاوى الصوفية في أن النكاح ليس بأكثر من رخصة وهذا قول المعتدلين منهم أما المنحرفون

(١) النساء : (٣ - ٤) .



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١)

قال الإمام الطبري :

« التبتل الذي أراه عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به فهذا نزل في حقه هذه الآية » (٢) .

وبما أن النكاح من الأمور التي أحلها الله فهو من الطيبات وليس من الأشياء التي يجب الهروب عنها والنفور كما يفعل المتصوفة .

ثانياً : الأدلة من السنة على مشروعية النكاح والترغيب فيه :

لقد رغب النبي ﷺ في النكاح في أحاديث كثيرة وحث عليه حثاً بليغاً وبعبارات مختلفة فمرة رغب فيه بأمر الشباب المستطيعين بالزواج ومرة رغب فيه باعتبار من تزوج استكمل نصف دينه ومرة رغب فيه باعتبار من لم يتزوج مع الاستطاعة ليس منه وغير ذلك من الأساليب المتنوعة التي ستوضح لنا الآن في الأحاديث الآتية :

\* فمن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح ما رواه علقمة قال بينا أنا أمشي مع عبد الله رضي الله عنه فقال : كنا مع النبي ﷺ فقال : « من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٣) .

وفي طريق آخر عن الأعمش قال حدثني إبراهيم عن علقمة قال :

(١) المائة : (٨٧) .

(٢) البخاري مع الفتح (١١٨/٩) .

(٣) البخاري مع الفتح (١٠٦/٩) والبيهقي في « السنن الصغرى » (٧/٣) .

كنت مع عبد الله فلقية عثمان بمنى فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة فخليا فقال لي عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرةً تذكرك ما كنت تعهد فلما رأى عبد الله أن ليس لي حاجة إلى هذا أشار إلي فقال : يا علقمة ، فانتهيت إليه وهو يقول أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (١) .

ففي هذين الحديثين أمر النبي ﷺ بالنكاح وحث عليه وهذا يدل على مشروعية النكاح وأنه من الأمور التي أمر الله بها رسوله ﷺ وما دام أمر به رسول الله ﷺ فهو من الأشياء الطيبة الفاضلة التي تعين الإنسان في دينه وتساعد على الاستقامة وعدم الانحراف وليس كما يدعي المتصوفة بأن الزواج يعتبر عقبة من العقبات التي تكون حاجزاً منيعاً بين الإنسان ووصوله إلى ولاية الله سبحانه وتعالى .

وقال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تحت هذا الحديث :

« خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضاً » (٢) .

أما الإجماع فقد أجمع المسلمون كلهم قديماً وحديثاً على أن النكاح مشروع (٣) .

(١) البخاري مع الفتح (١٠٦/٩) .

(٢) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (١٠٨/٩) .

(٣) انظر « المغني » لابن قدامة (٤٤٥/٦) .

## حكم النكاح :

لقد ذكرنا فيما سبق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على مشروعية النكاح والترغيب فيه وذكرنا الإجماع على ذلك أيضاً وهنا نريد أن نذكر أقوال الفقهاء في حكم النكاح ولا نريد هنا أن نذكر قول كل مذهب بعينه ونقارن بين المذاهب وإنما نريد أن نذكر جملة من أقوال العلماء في حكم النكاح حتى نؤكد بأنه من الأمور المشروعة ولذا وضع الفقهاء له أحكاماً وإليك جملة من أقوال العلماء التي بينوا فيها حكم النكاح .

قال الإمام ابن قدامة المقدسي :

« والناس في النكاح على ثلاثة أضرب وهي : منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الحرام وطريقه النكاح .

الثاني : من يستحب له وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور فهذا الاشتغال به أولى من التخلي لنوافل العبادة وهو قول أصحاب الرأي وهو ظاهر قول الصحابة رضي الله عنهم وفعلمهم قال عبد الله بن مسعود : لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام وأعلم أنني أموت في آخرها يوماً ولي طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة .

وقال ابن عباس لسعيد بن جبير : تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً .

وقال إبراهيم بن ميسرة : قال لي طاووس لتتكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور .

قال أحمد في رواية المروزي : ليست العزبة من أمر الإسلام في شيء

وقال : من دعاك إلى غير التزويج فقد دعاك إلى غير الإسلام ولو تزوج بشر كان قد تم أمره .

وقال أيضاً : « واستدل بهذا الحديث على أن من لم يستطع الجماع فالمطلوب منه ترك التزويج لأنه أرشده إلى ما ينافيه ويضعف دواعيه وأطلق بعضهم أنه يكره في حقه »<sup>(١)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والحث عليه ما أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثركم بكم الأمم يوم القيامة »<sup>(٢)</sup> .

\* وللبیهقي من حديث أبي أمامة : « تزوجوا فإنني مكاثركم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى »<sup>(٣)</sup> .

\* وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالبلاء وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول : « تزوجوا الودود الولود إنني مكاثركم الأنبياء يوم القيامة »<sup>(٤)</sup> .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نرى بوضوح أن النبي ﷺ أمر في الحديث الأول بتزوج امرأة ولودة حتى تكثر الأمة الإسلامية فيباهي بها الرسول ﷺ الأمم يوم القيامة ولو عمل الناس بما يقوله المتصوفة بدعوتهم إلى البعد عن الزواج نهائياً لا يمكن أن يحصل تكاثر الأمة وعلى هذا

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٩/ ١١٠) .

(٢) « صحيح ابن حبان » (٧/ ٧٨) .

(٣) « سنن البيهقي » (٧/ ٧٨) .

(٤) « موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان » بتحقيق حمزة (ص ٣٠٢) .

فالصوفية محاربون ومحادون لأوامر الرسول ﷺ لأنهم يحاربون أوامره ويصفون من أراد تطبيقها بأنه لا يمكن أن يصل إلى ولاية الله سبحانه وتعالى .

وفي الحديث الثاني اعتبر الرسول ترك النكاح والابتعاد عنه رهبانية كرهبانية النصارى .

وفي الحديث الثالث نهى الرسول ﷺ عن التبتل وهو الانقطاع عن النكاح نهياً شديداً ومعنى هذا أن ترك النكاح ليس من الأمور المرغوبة فيها ولا الجائزة فضلاً عن أن يكون طريقاً موصلاً إلى ولاية الله سبحانه وتعالى كما يدعي المتصوفة الدجاجلة .

\* ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والتحذير من تركه مع القدرة على لوازم النكاح قول النبي ﷺ : « من كان موسراً فلم ينكح فليس منا » (١) .

ومنها أيضاً ما رواه سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رد رسول الله على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا » (٢) .

وقد سأل سعيد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن التبتل فقالت : لا تفعل أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ﴾ فلا تبتل .

(١) « سنن الدارمي » (٢/١٣٣) .

(٢) البخاري مع الفتح (٩/١١٧) .



\* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ثلاثة حق على الله إعاتهم  
المجاهد في سبيل الله والناكح يريد أن يستعفف والمكاتب يريد الأداء » (١) .

\* وعن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الدنيا متاع وخير متاع  
الدنيا المرأة الصالحة » (٢) .

\* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « النكاح سنتي فمن  
لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ومن كان ذا  
طول فليتكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » (٣) .

ونخرج من هذه الأحاديث كلها بأن النكاح من الأمور التي شرعها  
الله ورسوله محمد ﷺ وحث عليه الرسول ﷺ لأهميته ومكانته العظيمة  
ولهذا فكل من يدعو الناس إلى البعد عن الزواج والهروب عنه ويصفه  
بأوصاف منفرة يعتبر محاداً لله ولرسوله وبالفعل قد وقع المتصوفة في هذا  
المحذور فأصبحوا يدعون الناس إلى الهروب عن الزواج والبعد عنه مخالفين  
بذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ  
فَانْتَهُوا ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ  
يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٥) .

ومخالفين أيضاً قول الرسول ﷺ : « فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما

(١) « سنن النسائي » (٦/٦١) .

(٢) « سنن النسائي » (٦/٦٩) .

(٣) « سنن ابن ماجه » (١/٥٩٢) .

(٤) الحشر : (٧) .

(٥) الأحزاب : (٣٦) .

استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهاوا»<sup>(١)</sup> .

والصوفية وقفوا من هذه الآيات موقف الرفض لأنهم نهوا عن الزواج الذي أمر الله به ورسوله ولذا فهم يعتبرون عصاة مخالفين ولا أدرى كيف يزعم المتصوفة بأن البعد عن الزواج من أهم الطرق الموصلة إلى الله وأن الوقوع فيه من أهم العقبات التي تحجز عن الوصول إلى ولاية الله والرسول قد أمر به فكيف تكون مخالفة الرسول موصلة إلى ولاية الله وطاعته مانعة من الوصول إلى ولاية الله؟! إن هذا لإفك مبین وبهتان واضح ما أقدم عليه المتصوفة إلا لتدمير الأمة الإسلامية وإضعافها وذلك لأن قلة الإقبال على الزواج ينتج عنه وجود عوانس كثيرة ويؤدي إلى تقليل الأمة أيضاً إلى جانب ما يسببه من انتشار الانحلال والفساد الخلقي .

القسم الثالث : من لا شهوة له إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعينين أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه ففيه وجهان .

أحدهما : أنه يستحب له النكاح لعموم الأدلة المتقدمة الأمرة بالزواج .

والثاني : التخلي عن النكاح أفضل لأنه لا يحصل مصالح النكاح ويمنع زوجته من التحصين ويضر بها بحبسها على نفسه ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها ويشغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه والأخبار تحمل على من له شهوة لما فيها من القرائن الدالة عليها<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن دقيق العيد وهو يتحدث عن أحكام النكاح :

(١) « سنن ابن ماجه » (٣/١) .

(٢) « المغني » لابن قدامة (٤٤٦/٦ - ٤٤٧) وكذلك « زاد المستقنع » (ص ٦٠ - ٦١) .

« قسم الفقهاء النكاح إلى الأحكام الخمسة وجعل الوجوب فيما إذا خاف العنت وقدر على النكاح وتعذر التسري وكذا حكاه القرطبي عن بعض علمائهم وهو المازري قال : فالوجوب في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به كما تقدم .

قال : والتحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مع قدرته عليه وتوقانه إليه .

والاستحباب فيما إذا حصل به معنى مقصود من كثرة الشهوة وإعفاف نفس وتحصين فرج ونحو ذلك<sup>(١)</sup> .

والإباحة فيما انتفت الدواعي والموانع<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى :

وقد قسم العلماء الرجل في التزويج إلى أقسام :

**الأول :** التائق إليه القادر على موءنة الخائف على نفسه فهذا يندب له

النكاح عند الجميع وزاد الحنابلة في رواية : أنه يجب وبذلك قال أبو عوانة الاسفراييني من الشافعية وصرح به في صحيحه وهو قول داود وأتباعه .

وقال المازري

« الذي نطق به مذهب مالك أنه مندوب وقد يجب عندنا في حق من

لا ينكف عن الزنا إلا به » .

وقال القرطبي :

« المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزوبة بحيث لا

يرتفع عنه ذلك إلا بالتزويج لا يختلف في وجوب التزويج عليه »<sup>(٢)</sup> .

(١) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (١١١/٩) .

(٢) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (١١٠/٩) .

وقال القاضي عياض وهو يتحدث عن أحكام النكاح :

« النكاح مندوب في حق كل من يرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة وكذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء فأما من لا نسل له ولا أرب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت »<sup>(١)</sup> .

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي :

« النكاح فرض على كل قادر على الوطء إن وجد من أين يتزوج أو يتسرى أن يفعل أحدهما ولا بد فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم » .  
وقد استدل ابن حزم بقوله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام الشافعي :

« وأحب للرجل والمرأة إذا تآقت أنفسهما إليه أن يتزوجا لأن الله تعالى أمر به ورضيه وندب إليه وبلغنا أن النبي ﷺ قال : « تناكحوا تكثروا فإنني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط وأنه قال : من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح »<sup>(٣)</sup> .

قلت : والذي أراه راجحاً من أقوال العلماء هو أن النكاح واجب على كل قادر عليه ويخشى الوقوع في الزنا إن لم يتزوج وذلك للأدلة الواردة في الأمر بالنكاح ولأن وقوعه في الزنا لا قدر الله يعتبر معصية ولا يمكن الوقاية

(١) « نيل الأوطار » للشوكاني (١١٨/٦) .

(٢) سبق تخريجه انظر « المحلى » لابن حزم (٤٤٠/٩) انظر (ص ٨٢٣) .

(٣) مختصر إسماعيل بن يحيى المزني بهامش كتاب « الأم » للشافعي (ص ٢٥٥) .

من هذه المعصية إلا بالزواج وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وأما الذي لا يخشى الوقوع في الزنا مع وجود الشهوة فيه وتوقانه للنساء فإنه عليه أن يتزوج أيضاً تنفيذاً لأمر الرسول وتطبيقاً لسنته وتكثيراً للأمة فإن الرسول ﷺ حث على الزواج ورغب فيه فينبغي الحرص على إتيان السنة بقدر الإمكان .

وأما الذي لا يقدر على النكاح بأن يكون لا شهوة له نهائياً فهذا لا يجوز أن يتزوج لأنه لا يستطيع أن يقوم بحقها ومن أهم حقوقها الوطء وهو عاجز عنه إلا إذا كانت المرأة على علم به قبل الزواج ورضيت به فحينئذ لا مانع .

وأما قول ابن حزم بفرضية الزواج فهذا مرجوح ولو كان كذلك لكان فرض عين على كل شخص وأثم بتركه كل من لم يتزوج على الإطلاق وهذا لم يقل به غيره من العلماء فقد انتقل كثير من العلماء الكبار من هذه الدنيا ولم يتزوج .

### هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة الله؟ :

لقد اختلف العلماء في المفاضلة بين النكاح والتفرغ للعبادة .

فممن ذهب إلى أفضلية التفرغ للعبادة على النكاح الإمام الشافعي فقد قال رحمه الله :

« التخلي للعبادة أفضل لأن الله تعالى مدح يحيى عليه السلام فقال : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ والحضور الذي لا يأتي النساء فلو كان النكاح أفضل لما مدح بتركه وقال تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِّنَ

النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴿١﴾ .

وهذا في معرض الذم ولأنه عقد معاوضة فكان الاشتغال بالعبادة أفضل منه كالبيع « (١) » .

وممن ذهب إلى أن النكاح أفضل من الاشتغال بعبادة الله الحنابلة وقد قال ابن قدامة لكي يثبت بأن النكاح أفضل من العزوبة والتفرغ لعبادة الله :

« ولنا مما تقدم من أمر الله تعالى به ورسوله وحثهما عليه .

وقال ﷺ : « ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأنزج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٢) .

وقال سعد لقد رد ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أحله له لاختصينا « (٣) » .

وعن أنس قال كان النبي ﷺ يأمرنا بالبائة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثربكم الأمم يوم القيامة » (٤) .

وهذا حث شديد على النكاح يقربه إلى الوجوب ووعيد شديد على تركه يقربه إلى التحريم ، ولو كان التخلي أفضل لانعكس الأمر .

ولأن النبي ﷺ تزوج وبالغ في العدد وفعل ذلك أصحابه ولا يشتغل النبي ﷺ إلا بالأفضل ولا يجتمع الصحابة على ترك الأفضل والاشتغال

---

(١) « المغني » لابن قدامة (٤٤٧/٦) والآية الأولى آل عمران : (٣٩) والثانية آل عمران :

(١٤) .

(٢) سبق تخريجه انظر (ص ٨٢٦) .

(٣) سبق تخريجه انظر (ص ٨٢٦) .

(٤) سبق تخريجه انظر (ص ٨٢٥) .

بالأدنى ومن العجب أن من يفضل التخلي لم يفعله فكيف اجتمعوا على  
النكاح في فعله وخالفوه في فضله فما كان فيهم من يتبع الأفضل عنده  
ويعمل بالأدنى ولأن مصالح النكاح أكثر فإنه يشتمل على تحصين الدين  
وإحرازه وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها وإيجاد النسل وتكثير الأمة  
وتحقيق مباحة النبي ﷺ وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل  
العبادة بمجموعها» (١) .

وقال منصور بن يونس البهوتي :

« وفعله مع الشهوة أفضل من نوافل العبادات لاشتماله على مصالح  
كثيرة كتحصين فرجه وزوجته والقيام بها وتحصين النسل وتكثير الأمة  
وتحقيق مباحة النبي وغير ذلك» (٢) .

وقال صاحب الروض الندى :

« والاشتغال بالنكاح مع الشهوة أفضل من التفرغ لنفل عبادة لاشتماله  
على مصالح كثيرة من تحصين الفرج وتكثير الأمة وتحقق مباحاته عليه  
السلام وغير ذلك» (٣) .

وقال الإمام أحمد :

« ويسن مع شهوة النكاح لمن لم يخف الزنا وهو حينئذ أفضل من  
تفرغ لنفل عبادة» (٤) .

(١) « المغني » لابن قدامة (٤٤٧/٦) .

(٢) « زاد المستقنع » لمنصور بن يونس البهوتي (ص ٦٠ - ٦١) .

(٣) « الروض الندى شرح كاف المبتدي » (ص ٣٥٠) .

(٤) « كاف المبتدي » للإمام أحمد (ص ١٤٩) .

والراجع في نظري والله أعلم هو ما ذهب إليه الحنابلة من أن  
الاشتغال بالنكاح أفضل من التفرغ الكامل لنوافل العبادات وذلك للأمور  
الآتية :

**أولاً : النكاح أمر به الرسول ﷺ في سنته وحث عليه ورغب فيه أشد  
الترغيب ولأن الزواج لا يكون عائقاً لمن أراد أن يقوم بنوافل العبادات فلا  
تناقض بينهما ولا تعارض ولأن الاشتغال بالنكاح والعمل والكدح لأجل  
الحصول على الرزق الذي ينفقه الإنسان أيضاً عبادة ولأن الأدلة التي ذكرها  
الحنابلة قوية جداً وهي نص في محل النزاع بينما الأدلة التي استدلت بها  
مخالفوهم ما هي إلا أدلة عامة ليست نصاً في محل النزاع .**

ولأن النبي ﷺ لم يقر الذين أتوا إلى بيته ليسألوا عن عبادته فلما  
أخبروا بها رأوها قليلة فنذر أحدهم أن يصلي كل الليل ونذر الآخر أن يصوم  
كل الدهر ونذر الآخر أن يعتزل النساء ولا يتزوج فالرسول ﷺ لم يقرهم  
على هذا بل نهاهم عنه ولو كان التفرغ للعبادة أفضل من النكاح لما نهاهم  
الرسول عن فعلهم هذا بل لأقرهم عليه وهذا نص الحديث .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه بأنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت  
النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وأين نحن  
من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا  
فأنا أصلي الليل أبداً وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا  
أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلمت كذا  
وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد  
وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (١) .

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٠٤/٩) .



قال الإمام ابن حجر رحمه الله في الفتح :

« المراد بالسنة في قوله ﷺ : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » المراد بالسنة هنا الطريقة لا التي تقابل الفرض والرغبة عن الشيء لا الإعراض عنه إلى غيره .

والمراد من ترك طريقي وأخذ بطريق غيري فليس مني ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج ليكسر الشهوة واعفاف النفس وتكثير النسل .

وقوله ﷺ : « فليس مني » إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى « فليس مني » أي على طريقي ولا يلزم أن يخرج عن الملة . وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى « فليس مني » ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر .

ثم قال : « وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء وأن من عزم على عمل واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعاً »<sup>(١)</sup> .

وقال الطبري وهو يتحدث عن الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

« فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطمعة والملابس وآثر

(١) « فتح الباري » (١٠٥/٩) .

غليظ الثياب وخشن المآكل»<sup>(١)</sup> .

والخلاصة أن ترك الزواج بقصد الزهد فيه ليس زهداً مشروعاً بل هو زهد مبتدع وما دام مبتدعاً فليس فيه خير بل هو ضلال مبين لأن كل البدع الدينية ضلالة كما قال الرسول ﷺ : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »<sup>(٢)</sup> .

وما دام كل ضلالة في النار وأن كل بدعة على الإطلاق بدون استثناء ضلالة فإن ترك الزواج والبعد عنه ما هو إلا ضلالة لا يوصل صاحبه إلا إلى البعد عن الله لأنه مخالفة لما شرعه الله وأمر به رسوله محمد ﷺ ولا يمكن محادة الله ورسوله أن تكون موصلة إلى ولاية الله بأي حال من الأحوال ولهذا فزعم المتصوفة أن البعد عن الزواج والهروب عنه من الطرق الموصلة إلى الله ما هو إلا زعم باطل وخيال فاسد أتوا به من عند أنفسهم متأثرين برهبان النصارى الذين يتعدون عن الزواج الرسمي ويمارسون كل أنواع الدعارة في معابدهم الشركية فكذلك الصوفية يهربون عن الزواج وينفرون عنه الناس ثم يمارسون أنواع الفواحش في خوانقهم ومشاهدتهم المنصوبة على القبور مع المردان .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي حكايات كثيرة تثبت بأن المتصوفة بالفعل ابتلوا بحب المرد وعشقهم ومصاحبتهم وذلك بعد أن أعرضوا عما شرعه الله وهو قضاء الشهوة بطريقة مشروعة وذلك بأن يتزوج الإنسان على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

(١) « فتح الباري » (١٠٦/٩) .

(٢) « سنن النسائي » (١٥٣/٣) .

وإليك نماذج من هذه الحكايات حتى تعرف جيداً بأن كل من يحرم ما أحل الله من الطيبات لابد وأن يقع فيما حرم الله من الخبائث

قال الإمام ابن كثير :

« اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصدوا الزهادة فأمالهم إبليس إليهم »<sup>(١)</sup> .

وذكر ابن الجوزي عن عبد الله بن الزبير الحنفي أنه قال : كنت جالساً مع أبي النصر الغنوي وكان من المبرزين العابدين فنظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع إلا وقفت على أروى من النظر إليك فوقف قليلاً ثم ذهب ليمض فقال له : سألتك بالحليم المجيد الكريم المبدي المعيد إلا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليمض فقال : سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذي لم يلد ولم يولد إلا وقفت ساعة فوقف ساعة فنظر إليه طويلاً ثم ذهب ليمض فقال : سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر إليه ثم أطرق رأسه إلى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد وقت طويل وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظري إليه وجهاً جل عن التشبيه وتقديس عن التمثيل وتعظم عن التحديد والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه ومواليته لأوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظري إلى وجهه الكريم ونهائه

(١) « تلبس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٦٤) .

العظيم ولوددت أنه قد أراني وجهه وحسني في النار ما دامت السماوات والأرض ثم غشي عليه<sup>(١)</sup> .

وذكر ابن الجوزي أيضاً أن خير النساج قال :

« كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر إليه نظراً أنكرته فقلت له بعد أن قام : إنك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون . فقال لي : تقول هذا يا شهواني القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعني من الوقوع في شرك إبليس ثلاث . فقلت : وما هي ؟ قال : سر الإيمان وعفة الإسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا<sup>(٢)</sup> .

ثم قال الإمام ابن الجوزي بعد ذكره هاتين الحكايتين :

« قلت : انظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه وإلى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تلذ بها شهوة النظر .»

ثم قال ابن الجوزي :

« وقد حدثني بعض العلماء أن صبيّاً أمرد حكى له قال : قال لي فلان الصوفي وهو يحبني : يا بني لله فيك إقبال والتفات حيث جعل حاجتي إليك .»

(١) « تلبس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٦٦) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٦٧) .

وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة وإلى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم : لعنا كدرنا ، فقال : إي واللّه فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة إنك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله بعد ذكره لهذه الحكاية الأخيرة :  
« إني لا أعجب من فعل هذا لرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس »<sup>(١)</sup> .

وقال ابن الجوزي أيضاً :  
« وبلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد وربما زيتته بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٦٧-٢٦٨) .

(٢) الذاريات : (٢١) .

(٣) الغاشية : (١٧) .

وقال : ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١) .

فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والشهية فإذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا إلى سماع ونظر» (٢) .

ونقل ابن الجوزي عن أبي حمزة الصوفي قال :

« كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلي به وكاد يذهب عقله عليه صباة وحبًا وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوماً لأعوده فقلت : يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال : أمور امتحنني الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لي بها طاقة ورب ذنب يستصغره هو عند الله أعظم من كبير وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الأسقام» (٣) .

ونقل عن أبي حمزة أيضاً أنه قال :

« نظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي ، وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشي عليه فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجله وكان لا يقوم عليهما زمانًا طويلًا فكنا نأته نعوده ونسأله عن حاله

(١) الأعراف : (١٨٥) .

(٢) « تلبس إبليس » (ص ٢٦٨) .

(٣) نفس المرجع (ص ٢٧١) .

وأمره وكان لا يخبرنا بقصة ولا سبب مرضه وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فاتاه عائد فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعود حتى قام على رجله وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوماً أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل ذلك فقلت للشيخ : وما الذي تكره من ذلك فقال : لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين» (١) .

وقال ابن الجوزي وهو يتحدث عن المتصوفة الذين ابتلوا بمصاحبة الغلمان المرذوقين وعشقهم :

« ومنهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه . بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له : بالله عليك إلا ما أخذتني به ، فقال : الآن قد عفوت عنك فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدي له الثواب» (٢) .

وقال ابن الجوزي أيضاً :

« ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر

(١) « تليس إبليس » (ص ٢٧٢) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٧٢) .

والمجاهدة وقد نقل ابن الجوزي هذه الحكاية عن إدريس بن إدريس قال :  
حضرت بمصر قوماً من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على  
رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال : يا هذا، قل : لا إله إلا الله ، فقال  
الغلام : لا إله إلا الله ، فقال : أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله « (١) .

وذكر ابن الجوزي أيضاً عن ابن الحسين أنه قال :

« كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن  
ولقد عاهدت ربي أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثاً ففسخها علي حسن  
الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألني الله معهم عن معصية « (٢) .

قال ابن الجوزي بعد هذه الحكاية :

« قلت : هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه وأخبر أنه  
كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على  
المشاق؟ ثم ظن بجهله أن هي الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن  
صحبتهم والنظر إليهم معصية فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه « (٣) .

فهذه الحكايات التي ذكرها ابن الجوزي عن المتصوفة تثبت لنا إثباتاً  
مؤكداً بأن المتصوفة بالفعل بعد أن ابتعدوا عن الزواج ونفروا عنه يريدونهم  
اتجهوا إلى وجهة أخرى ألا وهي صحبة المردان والأحداث وابتلوا بهم كما  
هو واضح في الحكايات التي سبق ذكرها وهكذا فالصوفية فروا من شيء  
أحله الله فوقعوا فيما حرم الله فجمعوا بين تحريم الحلال وتحليل الحرام .

(١) « تلبس إبليس » (ص ٢٧٣) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٧٣) .

(٣) نفس المرجع (ص ٢٧٣) .



ولو كان لهم شيء من العلم بالكتاب والسنة لما وقعوا في هذه  
المتاهات وتخطبوا في هذا الظلام الحالك من الجهل الفاضح .

فإنَّه سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عن كل  
ما يسبب الفتنة سواء كان امرأة أو شاباً أو أمرد يخاف من النظر إليه الوقوع  
في الفتنة قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ  
أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ  
فُرُوجَهُنَّ ﴾ (٢) .

وهذا أمر عام بغض النظر عن كل شيء يخاف منه الفتنة .

وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك فعن  
أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحالسوا أبناء  
الملوك فإن النفوس تشاق إليهم ما لا تشاق إليه الجواري العواتق » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « لا تملئوا  
أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى » (٤) .

وعن الشعبي قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم  
غلام أمرد ظاهر الوضأة فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره (٥) .

(١) النور : (٣٠) .

(٢) النور : (٣١) .

(٣) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٧٤) .

(٤) نفس المرجع (ص ٢٧٤) .

(٥) نفس المرجع (ص ٢٧٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يمد  
الرجل النظر إلى الغلام الأمد<sup>(١)</sup> .

وقال عمر بن الخطاب :

« ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمد » .

وقال أيضاً :

« لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة  
من العذارى »<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن معين :

« ما طمع أمد بصحبتى »<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

---

(١) « تليس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٧٤) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٧٤) .

(٣) نفس المرجع (ص ٢٧٥) .



## الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من  
مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ  
وتحتة مبحثان :

المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في  
الإسلام.

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد  
وموقفهم من أعداء الأمة  
الإسلامية عبر التاريخ .



## المبحث الأول

### مكانة الجهاد في سبيل الله في الإسلام

نمهيّد :

يعتبر الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وكبح جماح الكافرين والملحدين من الفرائض التي فرضها الله على الأمة الإسلامية وذلك حتى يكون الطريق ممهداً لنشر الدعوة الإسلامية وحتى يعطي الكفرة الجزية عن يد وهم صاغرون وقد أمر الله بالجهاد في سبيله في آيات كثيرة من كتابه ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ

(١) التحريم : (٩) .

(٢) الصف : (١٠ - ١١) .

(٣) التوبة : (٣٦) .

وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٤) .

فالأيات المتقدمة كلها تدل على مكانة الجهاد العظيمة في الإسلام وأنه من الأشياء التي أمر الله بها عباده المؤمنين وذلك لأن بالجهاد يتم فتح الطريق أمام الدعاة إلى الله لنشر دعوة الحق في هذه المعمورة لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد والوثنية إلى نور الإسلام ولذا فقد كان الجهاد قائماً منذ أن فرضه الله تعالى على هذه الأمة حيث كان الخلفاء يجيشون الجيوش ويبعثونها لفتح البلاد التي يسيطر عليها الطغاة وما أن وضعت الأمة سيف الجهاد حتى أصيبت بالذل والهوان فأصبحت يلعب بها أعداؤها من الكفرة والملحدون والوثنيين حيث إننا لو شاهدنا أحوال الأمة الإسلامية اليوم فإننا نراه من أسوأ الأحوال حيث تعيش في واقع مرير يكاد

(١) التوبة : (٥) .

(٢) التوبة : (٤١) .

(٣) التوبة : (١٢٣) .

(٤) التوبة : (٢٩) .

الإنسان يتقطع قلبه حينما يفكر في حال الأمة الإسلامية المعاصر وهو في الحقيقة واقع لا تحسد عليه ولا يمكن أن تكون هذه الأمة عزيزة قوية إلا إذا رجعت إلى كتاب ربها وسنة نبيها وأخذت منها دينها الصحيح ورفعت راية الجهاد في سبيل الله فإذا فعلت ذلك فإن السيطرة في هذا الكون والهيمنة تكون لها إن شاء الله وذلك لأن الله وعد عباده المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض فقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (١) .

والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ولكن لما كانت الأمة لم تتوفر فيها الشروط لم تكن أهلاً لهذا الاستخلاف فأصبحت ذليلة حقيرة حيث إن دم المسلم وقتله في عالمنا المعاصر يعتبر من أرخص الدم حيث إن المسلمين في العالم يبادون بالآلاف المؤلفة ولا تسمع في الإذاعات العالمية أي استنكار بينما لو قتل كافر واحد أو وثني أو يهودي تسمع إذاعات العالم تصيح وتستنكر بشدة ويقيمون الدنيا ويقعدونها وهذا شيء واضح وواقع مشاهد لا يحتاج إلى سرد الأدلة لإثباته .

وبما أن موضوع الجهاد موضوع طويل وعريض أريد أن أختصر الكلام عنه في العناصر الآتية وهي :

تعريفه ، وحكمه ، وفضله فقط ، وذلك خشية الإطالة لأننا إذا أردنا أن نتكلم عن الجهاد في سبيل الله بجميع جوانبه فإننا نحتاج إلى تأليف كتاب مستقل وبعد هذا التمهيد البسيط نشرع في الموضوع فنقول :

(١) النور : (٥٥) .



## المطلب الأول

### تعريف الجهاد وحكمه

أولاً : تعريف الجهاد :

#### ١- الجهاد لغة :

قال الراغب الأصبهاني في تعريف الجهاد في اللغة :

« الجهاد والجهد الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة ، والجهد الوسع »<sup>(١)</sup> .

وقال الفيروز أبادي في تعريف الجهاد :

« مصيره من الجهد بالفتح والضم وهو الطاقة والمشقة وقيل بالفتح المشقة وبالضم الوسع ، وقيل الجهد ما يجهد الإنسان »<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام ابن حجر :

« والجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة »<sup>(٣)</sup> .

وقال الشيخ مصطفى السيوطي :

« الجهاد مصدر جاهد جهاداً ومجاهدة إذا بالغ في قتل عدوه »<sup>(٤)</sup> .

#### ٢- وأما تعريف الجهاد شرعاً :

فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة وأكثرها تدور عند أغلب الفقهاء من

(١) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصبهاني (ص ١٠١) .

(٢) « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » (٤٠١ / ٢) .

(٣) « فتح الباري » (٣ / ٦) .

(٤) « مطالب أولي النهى » (٤٩٧ / ٢) .

أهل المذاهب على مجاهدة الكفار لإعلاء كلمة الله ، وإليك بعض هذه التعريفات :

### أولاً : تعريف الأحناف للجهاد :

لقد عرف الحنفية الجهاد بأنه هو :

« بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك والمبالغة في ذلك »<sup>(١)</sup>.

وقد عرفوه أيضاً بأنه :

« الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله »<sup>(٢)</sup>.

هذا فيما يتعلق بتعريف الحنفية للجهاد شرعاً .

### ثانياً : تعريف المالكية للجهاد شرعاً :

لقد عرف المالكية الجهاد بأنه :

« قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى »<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً : تعريف الشافعية للجهاد :

لقد عرف الشافعية الجهاد بأنه :

« بذل الجهد في قتال الكفار » كما قال ابن حجر في تعريفه :

« وشرعاً بذل الجهد في قتال الكفار »<sup>(٤)</sup>.

---

(١) « بدائع الصنائع » للكاساني (٤٢٩٩/٩) ط مطبعة الإمام ١٣ شارع محمد كريم بالقاهرة .

(٢) « حاشية الدر المختار » لابن عابدين (١٢١/٤) وانظر أيضاً : «فتح القدير» مع الشرح (٤٣٧/٥).

(٣) « الشرح الصغير على أقرب المسالك » للدرديري (٢٦٧/٢) .

(٤) « فتح الباري » لابن حجر (٣/٦) .

رابعاً : تعريفات الحنابلة للجهاد :

لقد عرف الحنابلة الجهاد بأنه :

« وشرعاً قتال الكفار »<sup>(١)</sup> .

قلت : والتعريفات الشرعية السابقة كلها متحدة وليس هناك بينها كبير اختلاف حيث اجتمعت كلها على أن معنى الجهاد في الشرع هو مقاتلة الكفار ومقارعتهم وانفرد الأحناف في تعريف الجهاد شرعاً بذكر : « الدعاء إلى دين الحق » وهذا صحيح فإن مقاتلة الكفار قبل عرض الإسلام عليهم غير جائز بل لا بد أولاً أن توجه إليهم الدعوة إلى الدخول في الإسلام فإن استجابوا لذلك فيها ونعمت وإن لم يستجيبوا يطلب منهم دفع الجزية للمسلمين وفتح الأبواب لدعوة الإسلام حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور فإن أبوا الإسلام ودفع الجزية فحينئذ وجب قتالهم وهذا وإن لم يذكره الفقهاء الآخرون في تعريفاتهم السابقة فإنهم حتماً يقولون به وذلك لأن نصوص القرآن والسنة دلت عليه وكذلك سيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح ولعل عدم ذكره في التعريف الشرعي عند الفقهاء الذين لم يذكره لوضوحه لأن القتال لا يكون إلا بعد الدعوة والامتناع عن قبولها .

وأشمل تعريف للجهاد شرعاً هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال رحمه الله في تعريف الجهاد في سبيل الله :

« والجهاد هو : بذل الوسع في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق » .

وقال في موضوع آخر : « وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في

(١) « المبدع » لابن مفلح (٣/٣٠٧) .

حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان»<sup>(١)</sup> .

لو نظرنا إلى هذا التعريف فإننا نجد أنه يشمل كل أنواع الجهاد التي يبذلها المسلم لطاعة ربه .

حيث يشتمل اجتهاده في طاعة ربه في نفسه بامثال أوامره واجتناب نواهيه واجتهاده في دعوة غيره لتلك الطاعة القريب والبعيد المسلم وغير المسلم واجتهاده في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله وغير ذلك من أنواع الجهاد التي لا نستطيع أن نذكرها هنا .

### ثانياً : حكم الجهاد في سبيل الله :

يعتبر الجهاد في سبيل الله من الأشياء التي فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الجهاد هل هو فرض عين أم فرض كفاية وإليك آراؤهم باختصار :

فقد ذهب الأحناف والمالكية والمشهور من قول الإمام الشافعي رحمه الله والحنابلة إلى أن الجهاد فرض كفاية إلا إذا تعين ولا فرق في ذلك بين زمن الرسول ﷺ وغيره من الأزمان<sup>(٣)</sup> .

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٠/١٩١ - ١٩٢) .

(٢) البقرة : (٢١٦) .

(٣) انظر « حاشية الباجوري » (٢/٢٦١) و« فتح الباري » (٦/٣٧) .

واستدلوا :

أولاً : بقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (١) .

ووجه الدلالة :

أن الله تعالى قد وعد كلاً من المجاهدين والقاعدين بالحسنى وهذا يدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي ولو كان فرضاً على كل واحد من الأمة بعينه كالصلاة والصوم لما فاضل بين الفعل والترك ولأنه وعد الجميع بالحسنى فدل هذا على أن الجهاد ليس بفرض عين وإنما هو فرض كفاية (٢) .

ثانياً : استدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٣) .

ووجه الدلالة :

أن هذه الآية تدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية

---

= « و تحفة المحتاج » (٢١٢/٩) و « عقد الفرائد » للمقدسي (١٩١/١) و « الإفصاح عن معاني الصحاح » (٤٢٩/٢) .

(١) النساء : (٩٥) .

(٢) انظر « أسنى المطالب » (١٧٥/٤) ، و « فيض الإله المالك » (٣٠٦/٢) و « مغني

المحتاج » (٢٠٩/٤) ، و « المجموع » (٤٨/١٨) .

(٣) التوبة : (١٢٢) .

لأنه لو كان فرض عين لوجب على جميع الأمة النفير للجهاد .  
وقد كان الرسول ﷺ يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه في  
المدينة المنورة<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : استدلو بما روي عن زيد بن خالد أن رسول الله ﷺ قال : « من  
جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا »<sup>(٢)</sup> .

وأخرج ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من  
جهز غازياً حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع »<sup>(٣)</sup> .

#### وجه الاستدلال بهذين الحديثين :

أن الوعد المذكور فيهما ألا وهو لحوق الأجر بالقاعد كما يلحق  
الغازي مرتب على تمام التجهيز وهو المراد بقوله : « حتى يستقل » وأنه  
يستوي معه في الأجر إلى أن تنقض تلك الغزوة<sup>(٤)</sup> .

فيدل الحديث على أن الغزو فرض على الكفاية إذا قام به البعض وإن  
لم يكونوا من أهل الجهاد وحصلت الكفاية بهم سقط الوجوب عن الباقيين .

رابعاً : استدلو بما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن  
رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان وقال : « ليخرج من كل رجلين رجل » ثم  
قال للقاعدين : « أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر

(١) انظر « الأنوار لأعمال الأبرار » (٥٣٦/٢) و« تفسير القرطبي » (٨/٨) و« فتح الباري »

(٣٨/٦) و« المغني » لابن قدامة (٣٤٦/٨) .

(٢) « صحيح البخاري مع فتح الباري » (٤٩/٦) .

(٣) « سنن ابن ماجه » (٩٢١/٢) .

(٤) انظر « فتح الباري » (٥٠/٦) و« نيل الأوطار » (٢٤٧/٧) .

الخارج « فلو جعل فرضاً على الأعيان لاشتغل الناس به عن العمارة وطلب المعاش »<sup>(١)</sup> .

ووجه الدلالة بهذا الحديث :

أن الرسول ﷺ أوجب الخروج على بعض الأمة بقوله : « ليخرج من كل رجلين رجل » فدل على أن الجهاد في هذه الحالة ليس عيناً وإنما كفايةً .

وقال الأوزاعي وعطاء والشافعي في قول له :

« إن الجهاد مع النبي ﷺ فرض عين على أصحاب رسول الله ﷺ على القادر منهم وبعد الرسول ﷺ واستقرار الشرع فرض كفاية إذا لم يتعين »<sup>(٢)</sup> .

وقال السهيلي :

« كان فرض عين على الأنصار دون غيرهم ويؤيد ذلك مبايعة النبي ﷺ ليلة العقبة على أن يتووا رسول الله ﷺ وينصروه » .

وقال الماوردي :

« كان عيناً على المهاجرين دون غيرهم ويؤيده وجوب الهجرة قبل الفتح في حق كل من أسلم إلى المدينة لنصر الإسلام » فيخرج من قوليهما الماوردي والسهيلي أنه كان عيناً على الطائفتين كفاية في حق غيرهم<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر « المجموع » للنووي (٤٨/١٨) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٣٧/٦) .

(٣) انظر « فتح الباري » (٣٧/٦) و« مغني المحتاج » (٢٠٩/٤) .

واستدلوا :

بقوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نخرج متأهبين أو غير متأهبين نشاطي وغير نشاطي رجالاً أو ركباً ، وقال الأوزاعي : « رجالاً أو فرساناً » (٢) .

والأمر في الآية الكريمة للوجوب حتى إن بعض الصحابة فهموا من هذا الأمر العموم في زمن الرسول ﷺ وبعده فلم يتخلفوا عن الغزو حتى مات منهم : أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم (٣) .

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الله تعالى فرض القتال على أصحاب الرسول ﷺ في زمنه ومن كان يتخلف ويقوم في المدينة إنما كان يقوم بأعمال الحراسة ومستلزمات المدينة وهو نوع من الجهاد (٥) .

(١) التوبة : (٤١) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٣٨/٦) .

(٣) انظر « فتح الباري » (٣٨/٦) .

(٤) البقرة : (٢١٦) .

(٥) « مغني المحتاج » (٢٠٩/٤) .



واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (١) .

فالوعيد بالعذاب لمن لم يخرج إلى الجهاد ، دليل على أنه فرض عين فهذا مجمل أدلة فرض العين لدى أصحاب هذا القول .

واحتجوا بالآيتين المتقدم ذكرهما على فرض الكفاية بعد عهده ﷺ وهما قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكَلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...﴾ إلى قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢) .

### وجه الاستدلال :

أن الله تعالى وعد كلاً من المجاهدين والقاعدين بالحسنى ويعني أن القاعدين غير آثمين إذا جاهد غيرهم وإلا لما وعدهم بالحسنى . والآية الثانية صريحة بعدم وجوب النفير على الجميع .

### الرد على أصحاب هذا القول :

١ - للأدلة الواردة عند الجمهور التي توضح وتدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم وهناك من الآيات التي تدل بصراحة على بقاء طائفة وخروج أخرى للجهاد .

وأن الرسول ﷺ كان يبعث سرايا ويقيم هو وسائر أصحابه .

(١) التوبة : (٣٩) .

(٢) النساء : (٩٥) .

(٣) التوبة : (١٢٢) .

أما الآية التي احتج بها أصحاب هذا القول :

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما :  
نسخها قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ (١) .

وقد وافق ابن عباس على دعوى النسخ عكرمة والحسن البصري كما  
روى ذلك الطبري عنهما .

وقال بعضهم : إن قوله تعالى : ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ ناسخة لقوله تعالى :  
﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ .

وثبات جمع ثبة ومعناه جماعات متفرقة ويؤيده قوله تعالى بعده : ﴿أَوْ  
انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ .

وقال الحافظ ابن حجر :

« والتحقق أنه لا نسخ بل المرجع في الآيتين يعني هذه وقوله تعالى :  
﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ مع قوله : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ تعيين الإمام  
وإلى الحاجة وهذا ما حصل مع الرسول ﷺ حتى استنفرهم إلى  
غزوة تبوك وكانت إجابتهم إلى ذلك واجبة عليهم ولذلك هجر النبي ﷺ  
كعب بن مالك وأصحابه الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم بعد ذلك لذا  
يجب الجهاد على من استنفره الإمام لقول الرسول ﷺ : « وإذا استنفرتم  
فانفروا » (٢) .

وخلاصة القول : أنه لا نسخ بل الرجوع في الآيتين إلى تعيين الإمام

(١) « سنن أبي داود » (٤١٣/١١) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣٧/٦) وانظر في الموضوع « المغني » لابن قدامة

(٣٤٦/٨) و« فتح الباري » (٣٨/٦) و« نيل الأوطار » (٢٤٢/٧) و« بدائع الصنائع » (٧/٧) .

وإلى الحاجة إلى ذلك وعليه فإن الجهاد فرض على الكفاية في زمنه ﷺ وبعده .

وقال سعيد بن المسيب : « الجهاد فرض على المستطيع مطلقاً » (١) .

واستدل سعيد بن المسيب :

١ - بعموم قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الآية وبقوله

تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ الآية .

وبما روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من مات ولم يغز

ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق » (٢) .

فهذا الوعيد دليل على أن الجهاد فرض عين .

ويرد على ما قاله سعيد بن المسيب :

بأن هناك من الآيات القرآنية ما يدل على الفرض الكفائي في زمنه ﷺ

وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ الآية وقوله تعالى :

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ الآية .

وقال ابن شبرمة والثوري وسحنون :

« إن الجهاد تطوع ولا يجب إلا في الحالات التي يتعين فيها » (٣) .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ الآية .

---

(١) انظر « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » (ص ٢٩٢) و« القوانين الفقهية » لابن جزي (ص ١٤٤) .

(٢) « سنن النسائي » (٨/٦) .

(٣) « بداية المجتهد » (١/٣٨٠) و« أحكام القرآن » للجصاص (٣/١٤٠) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الآية محمولة على الندب وليس على الوجوب كقوله تعالى :  
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ  
بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(١)</sup> .

فهذه الآية تدل على أن الوصية مندوبة فكذلك آية الجهاد تدل على أن  
الجهاد مندوب<sup>(٢)</sup> .

الرد :

إن آية الوصية كانت دالة على الوجوب حتى تم نسخ حكم وجوبها  
بتشريع المواريث ، و﴿ كُتِبَ ﴾ بمعنى فرض فلا تصرف إلى الندب إلا بدليل  
ولم يقم الدليل في الجهاد<sup>(٣)</sup> .

والخلاصة من العرض السابق لآراء الفقهاء وبيان أدلتهم ومناقشتها نرى  
رجحان قول الجمهور لقوة أدلتهم .

وعليه فإن الجهاد فرض كفاية من عهد الرسول ﷺ إلى يوم القيامة إذا  
قام به البعض كان الباقيون في سعة من تركه .

متى يكون الجهاد فرض عين :

ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع وهي :

١ - إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف

(١) البقرة : (١٨٠) .

(٢) « أحكام القرآن » للجصاص (٣/١٤٠) .

(٣) « أحكام القرآن » للجصاص (٣/١٤١) .

وتعين عليه المقام ما لم يزد عدد العدو على مثلي عدد المسلمين .

٢ - إذا نزل الكفار ببلد من بلدان المسلمين تعين على أهله قتالهم ودفعهم بما يمكنهم ويستوي في ذلك السيد والعبد والبالغ والمراهق والرجل والمرأة ولا يجب استئذان العبد سيده ولا الولد والده ولا من عليه الدين صاحبه بل تجب المبادرة على كل من في البلد فإن لم يكن لدى أهل البلدة القدرة والكفاية على دفع العدو النازل بهم وجب وتعين على كل من قرب منهم النفير إليهم ومساعدتهم على دفع العدو عنهم حتى تحصل الكفاية فإن حصلت الكفاية سقط الإثم عن باقي المسلمين .

ولا يسقط الوجوب لعدم المركوب لمن دون مسافة القصر بل يجب عليه النفير إليهم إن كان راجلاً وكان قادراً على المشي .

٣ - إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (١) .

وقول النبي ﷺ : « وإذا استنفرتم فانفروا » .

وقد اتفق الفقهاء على تعيين الجهاد في الموضوعين الأولين وبالثالث قال جمهور العلماء والأئمة الأربعة (٢) .

ونختم موضوع حكم الجهاد في سبيل الله بقولين لإمامين من أئمة الإسلام العظام وذلك حرصاً على الفائدة وزيادة في توضيح الغامض من

(١) انظر « المبدع » لابن مفلح (٣/٣١٠) وحشاية الدسوقي على الدرديري (٢/١٧٤) و«التحفة» (٩/٢٣٥) .

(٢) انظر « الاختيار » (٢/١٨٤) و« فتح القدير » (٤/٢٨٠ - ٢٨٣) و« المغني » (٨/٢٤٦) .

الأحكام وهذين الإمامين هما شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام القرطبي .

\* أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال في حكم الجهاد في سبيل الله :

« إذا كان ابتداءً فهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقي وكان الفضل لمن قام به كما قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ (١) .

فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ (٢) .

وكما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد : نفسه وماله مع القلة والكثرة والمشى والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداءً لطلب العدو الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج بل ذم الذين يستأذنون : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً وهو يتحدث عن الجهاد في سبيل الله :

« ومن عجز عن الجهاد ببدنه وقدر على الجهاد بماله وجب عليه الجهاد بماله وهو نص أحمد في رواية أبي الحكم وهو الذي قطع به القاضي في أحكام القرآن في سورة براءة عند قوله : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ فيجب

(١) النساء : (٩٥) .

(٢) الأنفال : (٧٢) .

(٣) الأحزاب : (١٣) والموضوع « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٣٥٨/٢٨) .

على الموسرين النفقة في سبيل الله .

وعلى هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا احتيج إليه كما تجب النفقات والزكاة وينبغي أن يكون محل الروايتين في واجب الكفاية فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعاً<sup>(١)</sup> .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن عليه دين وله ما يوفيه وقد تعين الجهاد فقال :

« إن كان الجهاد المتعين لدفع الضرر كما إذا حضره العدو أو حضر هو الصف قدم على وفاء الدين كالنفقة وأولى وإن كان حال استنفار الإمام فقضاء الدين أولى إذ الإمام لا ينبغي له استنفار المدين مع الاستغناء عنه ولذلك قلت : لو ضاق المال عن إطعام جياح والجهاد والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياح كما في مسألة التترس وأولى فإن هناك نقتلهم بفعالنا وهنا يموتون بفعل الله<sup>(٢)</sup> .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الحديث الآتي حيث قال :

« وثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وأثرة عليه<sup>(٣)</sup> .

قال : فأوجب الطاعة التي عمادها الاستنفار في العسر واليسر وهذا

(١) « الاختيارات الفقهية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٠٨) .

(٢) نفس المرجع (ص ٣٠٩) .

(٣) « صحيح مسلم » مع النووي مع اختلاف في بعض الألفاظ (١٢/٢٢٤) .

نص في وجوبه مع الإعسار بخلاف الحج هذا كله في قتال الطلب «<sup>(١)</sup> .

« وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء من أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده .

والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة فيجب بغاية ما يمكنه . »

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً :

« وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات «<sup>(٢)</sup> .

\* وقال الإمام القرطبي تحت قوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ الآية بعد أن ذكر الوجوه التي قالها فيها العلماء :

«الرابعة : وإذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالقطر فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقلاً شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فإذا

(١) « الاختيارات الفقهية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٠٩) .

(٢) نفس المرجع (ص ٣١١) .



عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غيائهم لزمه أيضاً الخروج إليهم فالمسلمون كلهم يد على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الباقيين ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضاً الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدو.

وقسم ثان من واجب الجهاد - فرض أيضاً على الإمام اغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغبهم ويكف أذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

ومن الجهاد أيضاً ما هو نافلة وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات العزة وعند إمكان الفرصة والإرصاد لهم بالرباط في موضع الخوف إظهاراً للقوة<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام ابن العربي تحت قوله تعالى : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية قال بعد أن ذكر أقوال العلماء في إحكام هذه ونسخها :

« المسألة الرابعة : إذا كان النفير عاماً لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاماً ووجب الخروج خفيفاً وثقلاً وركباً ورجالاً عبيداً أو أحراراً من كان له أب من غير إذنه ومن لا أب له حتى يظهر

(١) « تفسير القرطبي » (١٥١/٨) .

دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدو ويستنقذ الأسرى ولا خلاف في هذا<sup>(١)</sup> .

ثالثاً : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى :

إن الجهاد في سبيل الله عز وجل لإعلاء كلمة الله ونشر دينه له فضل كبير وأجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى وقد رغب الله فيه في كتابه ورغب فيه رسوله محمد ﷺ في سنته وسأذكر أولاً بعض الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله وفضل المجاهدين .

ثم سأتبع ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله .

ثم سأتبع ذلك بذكر نماذج من أقوال العلماء التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله .

أولاً : الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله :

\* من الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) « أحكام القرآن » لابن العربي (٢/ ٩٥٤ - ٩٥٥) .

(٢) التوبة : (١١١) .

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي تحت هذه الآية :

« هدى الله المؤمنين إلى الإيمان والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام محبة الأموال والأنفس بالتجارة المربحة والمعاملة المرغوبة بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم مفوض لهم خيراً مما أخذ منهم فالآية ترغيب في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه »<sup>(١)</sup> .

وقال الشيخ أبو السعود تحت هذه الآية أيضاً :

« ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوا في سبيله تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريق الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال : « إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم » ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيداناً بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل « بالجنة » بل « بأن لهم الجنة » مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم وكأنه قيل « بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم »<sup>(٢)</sup> .

\* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) « محاسن التأويل » لمحمد جمال الدين القاسمي (٨/٣٢٧٢) .

(٢) « تفسير أبي السعود » (٢/٦٠٦) .

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

\* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ .

\* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٣﴾ .

\* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى: ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ .

(١) آل عمران : (١٦٩ - ١٧٢) .

(٢) الصف : (١٠ - ١٢) .

(٣) الحجرات : (١٥) .

(٤) التوبة : (١٩ - ٢٢) .

فآيات المتقدمة كلها تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه اشترى من المؤمنين الأموال والأنفس مقابل دخول الجنة وهذا هو الفوز العظيم ولمثله فليعمل العاملون مشمرين عن سواعدهم .

وأخبرنا أيضاً سبحانه بأن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون وهذا فضل عظيم وشرف كبير للمجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى .

وأخبرنا أيضاً بأن الجهاد في سبيل الله أفضل بكثير من عمارة المسجد الحرام وسقيا الحجاج رغم أن هذا أيضاً من الأعمال الصالحة وهذا يدل على مكانة الجهاد العظيمة وفضله الكبير عند الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله :

إن الأحاديث التي وردت في السنة النبوية في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة جداً ويصعب حصرها هنا ولذا سأذكر منها نماذج فقط .

\* فمن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته العظيمة عند الله سبحانه وتعالى ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها » . قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » فسكت عن رسول الله ﷺ ولو

استزده لزادني (١) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال : « لا أجده هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر » قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات (٢) .

قال عياض تحت هذا الحديث :

« اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً » (٣) .

وقال ابن دقيق العيد :

« القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم » (٤) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته

(١) البخاري مع الفتح (٣/٦) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤/٦) .

(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٥/٦) .

(٤) نفس المرجع (٦/٦) .

العظيمة عند الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ : « مؤمن يجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر وغنيمة » (١) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشر الناس : قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة » أراه قال : « وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » (٢) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته العظيمة عند الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » (٣) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لقباب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب وقال لغدوة أو روحة

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٦/٦) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١١/٦) .

(٣) نفس المرجع (١٣/٦) .





الزحف حتى تصير السيوف تظل المقاتلين» (١) .

وقال ابن الجوزي :

« المراد أن الجنة تحصل بالجهاد والظلال جمع ظل وإذا تدانى الخصمان صار كل منهم تحت ظل سيف صاحبه لحرصه على رفعه عليه ولا يكون ذلك إلا عند التحام القتال » (٢) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ : « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » (٣) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » (٤) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه أبو داود في سننه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من قاتل في سبيل الله فوق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل

(١) « فتح الباري » (٣٢/٦) .

(٢) نفس المرجع (٣٢/٦) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥٧/٦) .

(٤) نفس المرجع (٨٥/٦) .

من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد» ، زاد ابن المصنفى « من هذا ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأعز ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج بخراج في سبيل الله عز وجل فإن عليه طابع الشهداء»<sup>(١)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه الدارمي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكفل الله لمن خرج من بيته لا يخرج إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»<sup>(٢)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه الدارمي في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة الرجل ستين سنة»<sup>(٣)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه النسائي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد»<sup>(٤)</sup> .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه

(١) « سنن أبي داود » (٢١/١٢) .

(٢) « سنن الدارمي » (٢٠٠/٢) .

(٣) نفس المرجع (٢٠٢/٢) .

(٤) « سنن النسائي » (١٨/٦) .

النسائي عن سلمان الخير عن رسول الله ﷺ قال : « من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً أجرى له مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتان » (١) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا إنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ياكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم قال : وأنزل الله عز وجل (٢) : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقُونَ ﴾ (٣) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل الله ما أخرجه أبو داود في سننه عن حسناء بنت معاوية الصريمية قالت : حدثنا عمي قال : قلت للنبي ﷺ من في الجنة ؟ قال : « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة » (٤) .

\* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الاستشهاد في سبيل الله ما أخرجه مالك في « الموطأ » عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لو ددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيأ فأقتل ثم

(١) « سنن النسائي » (٣٩/٦) وكذلك « كتاب الجهاد » لابن أبي عاصم (٧٠٤/٢) .

(٢) البخاري مع الفتح (٩١/٦) .

(٣) آل عمران : (١٦٩) .

(٤) « سنن أبي داود » (٣/١٢) .

أحيا فأقتل « فكان أبو هريرة يقول : ثلاثاً أشهد بالله<sup>(١)</sup> .

وبهذا نكتفي من إيراد النصوص النبوية التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله عز وجل وقد تبين لنا من خلال الأحاديث التي مر ذكرها بأن الجهاد في سبيل الله من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى .

ثالثاً : نماذج من أقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد في سبيل الله ورغبوا فيه :

\* فمن العلماء الذين ذكروا أهمية الجهاد وفضله العظيم ورغبوا فيه شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله حينما سئل عن أفضلية سكن مكة والمدينة أم الرباط في الجهاد ؟

أجاب الشيخ رحمه الله قائلاً :

« الحمد لله بل المقام في ثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج كما قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ الآية ثم ذكر مجموعة من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله<sup>(٢)</sup> .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً وهو يتحدث عن فضل الجهاد في سبيل الله بعد أن تحدث عن مكانة التوكل في الإسلام :

« وهنا وإن كان مأموراً به في جميع الدين فإن ذلك في الجهاد أكد لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين وذلك لا يتم إلا بتأييد قوي من الله

(١) « موطأ الإمام مالك » (٢/ ٤٦٠) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٨/ ٥ - ٦) .

ولهذا كان الجهاد سنام العمل .

ففيه سنام المحبة كما قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١) .

وفيه سنام التوكل وسنام الصبر فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَ الْأَخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) .

ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣) فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد ابن حنبل وغيره إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم لأن الله يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

وفي الجهاد أيضا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفيه أيضا حقيقة الإخلاص فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية .

وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (٤) .

(١) المائدة : (٥٤) .

(٢) النحل : (٤١ - ٤٢) .

(٣) العنكبوت : (٦٩) .

(٤) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٨/٤٤١) .

وقال سيف الله خالد بن الوليد الذي ذاق حلاوة الجهاد في سبيل الله بعد أن ذاق الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وقضى حياته كلها مجاهداً وأخذ يقارن بين متاع الحياة ممثلاً لها بعروس هو لها محب أو بـغلام بشر به ، والجهاد في سبيل الله فيرى في هذا متعته وقره عينه قال رضي الله عنه :

« ما من ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بـغلام أحب إلي من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو »<sup>(١)</sup> .

وقال عمرو بن عتبة بن فرقد :

« سألت الله عز وجل ثلاثاً فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة : سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر ، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها »<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن قدامة في « المغني » :

« قال الأشرم قال أحمد : لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضل من السبيل » .

وقال الفضيل بن زياد :

« سمعت أبا عبد الله وذكر له أمر العدو فجعل يبكي ويقول : ما من أعمال البر خير منه » .

وقال عنه غيره : « ليس بعد لقاء العدو شيء ، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن

(١) « الجهاد » لابن المبارك (٩١/١) .

(٢) « الجهاد » لابن المبارك (١١٢/٢) .

حريمهم فأى عمل أفضل منه الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم» (١) .

وقال السرخسي في «المبسوط» :

«وقد كان رسول الله ﷺ تارة يخرج وتارة يبعث غيره حتى قال :  
«وددت أن لا تخرج سرية أو جيش إلا وأنا معهم ولكن لا أجد ما أحملهم ولا  
تطيب أنفسهم بالتخلف عني» (٢) .

« ولوددت أن أقاتل في سبيل الله تعالى حتى أقتل ثم أحيأ ثم أقتل » (٣) .

ففي هذا دليل على أن الجهاد وصفة الشهادة في الفضيلة بأعلى النهاية  
حتى تمنى ذلك رسول الله ﷺ مع درجة الرسالة والاثار في فضيلة الجهاد  
كثيرة وقد سماه الرسول ﷺ سنام الدين» (٤) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن فضل الجهاد ومكانته  
العظيمة عند الله :

« وأخبر سبحانه أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم  
الجنة وأعضاهم عليها الجنة وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه  
المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن ثم أكد ذلك بإعلامهم أن لا  
أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا  
ببيعهم الذي عاقده عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد  
مع ربه عقد هذا التبائع ما أعظمه وأجله فإن الله عز وجل هو المشتري

(١) « المغني » لابن قدامة (٨/٣٤٨) .

(٢) « موطأ الإمام مالك » مع اختلاف في الصيغة (٢/٤٦٥) .

(٣) نفس المرجع (٢/٤٦٥) .

(٤) « المبسوط » للسرخسي (٣/١٠) .

والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك .

والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وأن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطر جسيم

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل  
مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من  
المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت  
فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض  
في سوق من يريد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفس فتأخر الباطلون  
وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم  
ووقعت في يد ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . . . إلى أن قال  
فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والآن  
فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ  
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴾ (١) .

لم نبتع منكم بنفوسكم وأموالكم طلباً للربح عليكم بل ليظهروا أثر  
الجود والكرم في قبول المغيب والإعطاء عليه أجل الإيمان ثم جمعنا لكم  
بين الثمن والمثمن « (٢) .

وقال الشيخ محمود شلتوت وهو يتحدث عن أهمية الجهاد ومكانته  
العظيمة لبقاء الأمة عزيزة قوية :

« مضت سنة الله في هذه الحياة على أن البقاء والعزة والسلطان وعلو

(١) آل عمران : (١٦٩) .

(٢) « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٧٢/٣) .



الكلمة إنما يكون للعاملين المجاهدين أما المتباطئون والمتثاقلون الذين يؤثرون حياتهم ويضنون بأنفسهم وأموالهم ويخلدون إلى الأرض ويعرضون عن دعوة الجهاد في سبيل حريتهم وبقائهم فإنهم لابد ذاهبون وهم لا محالة مستدلون مستعدون» .

ويقول تحت قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يذلكم ويستعبدكم لغيركم يسومكم سوء العذاب يستلب أموالكم ويتهك أعراضكم ويذبح أبناءكم هذا التعذيب جزاء طبيعي للجبن وعدم القيام في وجه العدو وللتثاقل عن الجهاد وليس هو الجزاء الأخرى الذي أعده الله لمن يخالف أمره .

ثم قال : « وقوله : ﴿وإن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ الآية ووصف القوم بالغيرية للدلالة على المغايرة الذاتية أي قوماً مطيعين يؤثرون الدار الآخرة على متاع الدنيا والأسلوب يدل على شدة السخط عليهم كما سيتضح من آية المائة : ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> .

وبهذا نكتفي من إيراد أقوال العلماء التي بينوا فيها أهمية الجهاد في سبيل الله في نشر الدعوة وحماية الأمة الإسلامية وعزها وشرفها وقوتها ومنعتها من الأعداء وبينوا أيضاً فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى في ثنايا حديثهم عن أهمية الجهاد .

والخلاصة أن الجهاد فرض من الفروض التي فرضها الله على عباده وبما أن الفروض تنقسم إلى قسمين فرض كفاية وفرض عين فالجهاد في الأصل فرض كفاية إذا قام به عدد كاف لردع العدوان سقط الإثم عن الباقين

(١) محمد : (٣٨) و الموضوع « الأجزاء العشرة الأوائل » لمحمود شلتوت (ص ٦٣٨) .

وإن لم يمكن دفع العدو إلا بكل المسلمين وجب عليهم جميعاً رده وقد يتعين الجهاد في مواضع وهي :

١ - إذا طلب الإمام النفير العام .

٢ - إذا هجم العدو على بلاد المسلمين .

٣ - إذا حضر الإنسان يوم الزحف وجب عليه القتال عيناً ولا يجوز له الانصراف ومع أن الجهاد من الأشياء التي شرعها الله لنشر الدعوة إلى الله وحماية المسلمين من أعدائهم فقد وقف المتصوفة منه موقف العداء حتى أماتوا في المسلمين الروح القتالية مما تسبب عنه غزو الصليبيين للبلاد الإسلامية واستعمارها وهذا ما سأبينه في المبحث الآتي إن شاء الله<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

(١) انظر (ص ٨٨٣ - ٨٩٦) .

## المبحث الثاني

### انحرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم

#### من أعداء الأمة الإسلامية

لقد حاول كثير من أقطاب الصوفية صرف الناس عن القتال في سبيل الله وجاهد أعداء الأمة الإسلامية واتخذوا لذلك عدة أساليب .

فمن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل الله هو اللجوء إلى تفسيرات غريبة للآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد في سبيل الله وفضله العظيم بأن المقصود بالجهاد هو جهاد النفس فقط وليس داخلاً فيه جهاد الأعداء .

ومن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل الله هو سعيهم بين الناس بأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر أما جهاد أعداء الأمة الإسلامية ومقارعتهم فليس بذى أهمية .

ومن الأشياء التي تدل على أن المتصوفة لا يرون الوقوف أمام أعداء الأمة الإسلامية ومجاهدتهم الكتب التي ألفها زعماء التصوف حيث إنك إذا نظرت فيها لا يمكن أن تجد فيها ولو سطرًا واحدًا يتكلم عن أهمية الجهاد في الإسلام بل الكتب التي ألفوها لا تتكلم إلا عن أمور جانبية بلها أمور نهى عنها الإسلام بلها إلى الشرك وعبادة غير الله ولو نظرنا إلى المتصوفة في عصرنا الحاضر فإننا نراهم اليد اليمنى للغرب الصليبي الحاقد في العالم

الإسلامي ولذا نرى الصليبين دائماً يشجعون الطرق الصوفية ويعملون على نشرها وذلك لإدراكهم بأن هذه الطرق هي من أهم الأشياء التي يمكن عن طريقها تقويض الأمة الإسلامية وتخديرها وتحويلها إلى أمة هزيلة لا تحرك ساكناً وقد فعلوا ذلك حتى كاد الجهاد في العالم الإسلامي ينسى وحتى أصبح كل من يتكلم عن الجهاد غريباً بين الأمة الإسلامية ولو تتبعنا المتصوفة تاريخياً فنسجد مواقفهم سلبية من جهاد أعداء الأمة الإسلامية .

وأبرز الحروب التي واجهها المسلمون بعد انتشار الطرق الصوفية هي :  
الغزو التتري والحروب الصليبية وكان موقف المتصوفة من هذه الحروب كلها هو السكوت فقط ولم يخطوا في كتبهم عنها حتى ولو حرفاً واحداً مما يدل دلالة واضحة على أنهم يرون عدم جدوى جهاد الكفار ولعل هذا بناءً على معتقدتهم الفاسد بأن كل ما قدره الله فهو يحبه وكل ما وقع فقد قدره الله واستيلاء الكفار على بلاد المسلمين مما قدره الله ولذا يجب عدم معارضة قضاء الله وقدره .

وإليك نماذج من التفسيرات الغريبة التي فسر بها المتصوفة بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد وتحث عليه وذلك من أجل أن يثبتوا بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس وأما جهاد الأعداء فشيء ثانوي .

\* فمن تفسيراتهم الغريبة ما روي عن داود بن صالح أنه قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) ؟ .

(١) آل عمران : (٢٠٠) .

قلت : لا ، قال : يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه<sup>(١)</sup> .

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر عن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»<sup>(٢)</sup> .

من هذا التفسير الغريب يتضح لنا تماماً بأن المتصوفة يدعون بأن جهاد النفس والمرابطة في جهادها هو الجهاد الأكبر وهذه دعوة صريحة منهم إلى دعوة الناس أن يربطوا في جهاد أنفسهم ويتركوا جهاد أعداء الأمة الإسلامية لأن جهاد الأعداء لا يساوي شيئاً بالنسبة لجهاد النفس وهذه دعوة باطلة فإن جهاد الأعداء هو الجهاد الأكبر وهو من أفضل الأعمال التي يقوم بها المؤمن ابتغاء مرضاة الله وقد بينا ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث فلا حاجة لإعادته هنا<sup>(٣)</sup> .

وأما الحديث الذي استدل به المتصوفة فهو كذب وافتراء على رسول الله ﷺ الذي جاء بشريعة الجهاد وبذل كل غال ونفيس في سبيل نشر دعوة التوحيد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث الذي استدلوا به :

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي الملحق بالإحياء (ص ٨٢) .

(٢) نفس المرجع (ص ٨٢) .

(٣) انظر (ص ٨٥٠ - ٨٩٣) .

« وأما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله .

وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله و جهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا : قال : « حج مبرور » (٣) .

وقيل إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلا بد من الغزو والجهاد فكتب إليه يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه

(١) النساء : (٩٥ - ٩٦) .

(٢) التوبة : (١٩) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣/٣٨١) . وانظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» .

وقالوا في زواياهم وعلى سجاتهم الله أكبر انهدم سور القسطنطينية»<sup>(١)</sup> .

وهذا مفهوم خاطئ مخالف لمبادئ الإسلام الذي أمر بالقيام بالأسباب ومن الأسباب التي يجب أن يقوم بها المسلم لرد كيد الأعداء هو الجهاد في سبيل الله أما أن يقعد المسلمون وينتظرون بعد ذلك أن تتهدم لهم أسوار الأعداء فهذا فهم غريب وليس من الإسلام في شيء ولا يقول به إلا من يضم الحقد للأمة الإسلامية يريد أن تخضع لأعدائها فتصبح ذليلة حقيرة هزيلة .

والمتصوفة يمتنون العزة والشعور بالكرامة كما يمتنون فيه الصحة والحيوية فينحني أمام المشايخ ويقبل النعل والقدم ويتلقى بنفس راضية شتى الإهانات من أي جانب كانت فكيف يفكر من هذا حاله بالقتال والطعان ومقارعة الأعداء لردهم عن بلاد المسلمين أو لنشر دعوة الحق وفتح الطريق لها .

ومما يدل على عدم اهتمام المتصوفة بأحوال الأمة الإسلامية والدفاع عنها عدم تسجيل كتابهم الكبار عن تلك الحروب التي وقعت بين المسلمين وأعدائهم ومن أبرز هذه الحروب التي وقعت بين المسلمين وغيرهم الحروب الصليبية والغزو التتري وقد عاصر هذه الحروب كبار زعماء التصوف في مجال التأليف ومع ذلك فإنك إذا قرأت في كتبهم لن تجد فيها ولو سطرًا واحدًا للإشارة على هذه الأحداث الجسام التي يقشع الجلد من سماعها فقط فضلاً عن عاصرها وحضرها ورآها بأمر عينيه .

\* ومن كبار المتصوفة الذين عاصروا الحروب الصليبية الغزالي والذي

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ٨٢) .

يصفه المتصوفة بأنه حجة الإسلام فقد تكلم في كتابه « إحياء علوم الدين » عن التصوف وقرر أن طريقهم من أنجح الطرق وأصلحها للوصول إلى ولاية الله ومرضاته وتكلم بإسهاب شديد عن طقوس المتصوفة المبتدعة ومع ذلك فإنه لم يتطرق ولو بسطر واحد للكلام على المصيبة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية ألا وهو سقوط بيت المقدس في يد الصليبية

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله :

« سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام (٥٤٢هـ) والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه لقد عاش الغزالي بعد ذلك (١٣) عاماً إذ مات سنة (٥٠٥هـ) فما ذرف دمعة واحدة ولا استنهض همة مسلم ليزود عن الكعبة الأولى بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيماً      يطول عليه للدين النجيب  
وكم من مسجد جعلوه ديراً      على محرابه نصب الصليب  
دم الخنزير فيه لهم خلوف      وتحريف المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريخ الموجه زعامة الغزالي كلا إذ كان عاكفاً على كتبه يقرر فيها إن الجمادات تخاطب الأولياء .

ويتحدث عن الصحو والمحو دون أن يقاتل أو يدعو حتى غيره إلى قتال ، وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال أو دعا إلى قتال أو سجلا في شعرهما أو نشرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين .



لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء فليدع المسلمون الصليبيين فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور هذا حال أكبر زعماء التصوف وموقفهم من أعداء الله فهل كافحوا غاصباً أو طاغياً<sup>(١)</sup> .

وحين أغار الفرنج على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري اجتمع زعماء الصوفية أتدري لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء<sup>(٢)</sup> .

ثم قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل بعد أن أورد هذه الحكاية :

« من أجل ذلك يجب أن لا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر ويقضي هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات ، أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟ »<sup>(٣)</sup> .

ويقول الدكتور عمر فروخ :

ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدي الفرنجة الصليبيين وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك ولم يشر إلى هذا الحادث العظيم ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل الله

(١) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٠) .

(٢) انظر « طبقات الشعراني » (١١/١) .

(٣) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٢) .

ولوفروا إذن على العرب والإسلام عصوراً مملوءة بالكفاح وقروناً زاخرة بالجهل والدمار .

وما غفلة الغزالي عن ذلك إلا لأنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفياً واقتنع على الأقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة بل هي أسدى تلك السبل وأسعدها . . . ويزعم المتصوفة أن لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم فإذا كان بهؤلاء القوم مثل هذه الكرامات ومثل هذه الكرامات لم تكن منهم فلقد كان من الجناية على الدين نفسه أن يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين وعن غيرهم من المغيرين الظالمين .

ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه فإذا كان الله قد سلط على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها»<sup>(١)</sup>.

وهذه شهادة ثالثة للدكتور زكي مبارك حيث قال بعد أن تحدث قليلاً عن الحروب الصليبية :

« أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية لتعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتجييد الرسائل يحث أهل أوروبا فيها على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي حجة الإسلام غارقاً في خلوته منكباً على أوراده المبتدعة لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد.

(١) « التصوف في الإسلام » للدكتور عمر فروخ (ص ١٠٩) .

ويكفي أن نذكر أن الإفرنج لما قبضوا على أبي القاسم الرملي<sup>(١)</sup> الحافظ يوم فتح بيت المقدس ونادوا عليه ليفتدي فلم يفده أحد ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عددًا لا يحصيه إلا الله كما ذكر السبكي في طبقاته .

فأين هذه المواقف المخذولة للمتصوفة من موقف العالم الفقيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى المشرف من هجوم التتار على دمشق فقد سارع لمقابلة ملكهم (قازان) على رأس وفد من الشاميين لإقناعه بالعدول عن دخوله دمشق فجعل يحدث هذا الملك بكل شجاعة مما أثار دهشته .

ولما يئس منه سافر إلى مصر وحرّض السلطان ابن النصر على الخروج إلى الشام والدفاع عنها بعد ما تخلى عنها فلبى طلبه والتقى الجيشان في مرج الصفر قريباً من دمشق ونشبت معركة رهيبية اشترك فيها الإمام ابن تيمية بعد أن ثبت المسلمين وبشرهم بالنصر فامتطى صهوة جواده وخرج إلى ميدان الحرب يحارب بكل شجاعة ويحرّض جماعته على الصبر والقتال ودامت المعركة أربعة أيام صدق خلالها أهل الشام وجند مصر القتال حتى إذا جاء عصر اليوم الرابع انتصر جند مصر والشام وهزم جيش التتار شر هزيمة بعد ما كان يهدد الشرق والغرب<sup>(٢)</sup> .

ومن مبادئ الصوفية التي وضعوها لأنفسهم هو التكيف مع الزمان الذي

---

(١) هو مكّي بن عبد السلام المقدسي (٤٣٢ - ٤٩٢) قال عنه السمعاني : كان ثقة قوياً ورعاً ضابطاً ، وكان مفتياً على مذهب الشافعي وكانت الفتاوى تأتي إليه من شتى البلاد .  
انظر ترجمته في « السير » (١٧٨/١٩) ، « شذرات الذهب » (٣/٣٩٨) ، « طبقات السبكي » (٣٣٢/٥) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » لابن كثير (١٩/١٤) .

يعيشون فيه والدوران معه حيث دار وعدم المشي عكس الواقع المفروض بل يجب الخضوع للواقع سواء كان هذا الواقع موافقاً للإسلام أو مخالفاً له وسواء كان المتحكم في بلاد الإسلام مسلمين أو كفاراً لأن الكل قدره الله تعالى .

ومما يدل على هذا قول عبد الوهاب الشعراني حيث قال مقررًا مبادئ الصوفية :

« أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف دار ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ولو في أمور الدنيا وولايتها وكل ذلك أدباً مع الله عز وجل الذي رفعهم فإنه ما يرفع أحداً إلا لحكمة ثم أي فائدة من ازدراء من ارتفع عليهم مع أن أحداً لا يسمع لهم وهذا العهد قل من يعمل به من الناس فيقولون عن المحتسب أو الوزير أو غيرهما : من أين لهؤلاء السفلة الفخامة علينا ونحن نعرف آبائهم؟! »<sup>(١)</sup> .

ويقول الدكتور عمر فروخ :

« يقول الصوفية : إذا سلط الله على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها »<sup>(٢)</sup> .

وكثير من الطرق الصوفية هي عملاء للمستعمرين في العالم الإسلامي إلى عصرنا الحاضر وهم الذين مهدوا الطريق لاستعمار العالم الإسلامي من قبل الصليبيين .

---

(١) « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » (٣٠١/٢) نقلاً عن « البحر المورود »

(ص٢٩٢) .

(٢) « التصوف في الإسلام » للدكتور عمر فروخ (ص١٠٩) .

يقول الرئيس فيلب فونداس المستعمر الفرنسي :

لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهما وانتظاماً من الطرق الوثنية»<sup>(١)</sup> .

وقال مؤلفو كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر تحت عنوان :

« المتعاونون مع فرنسا في الجزائر »

وتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة يضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال فاستعملهم الاستعمار كجواسيس ثم فئة من الموظفين والنواب والعسكريين الذين شاركوا الإدارة الفرنسية في أعمالها<sup>(٢)</sup> .

وقد كان أتباع الطريقة التيجانية وشيوخها من أكثر العلماء نفعا لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية ففي عام (١٨٧٠م) استطاعت سيدة فرنسية تدعى « أوريلي بيكار » أن تتسلل إلى الزاوية التيجانية وتزوج شيخها المدعو سيدي أحمد ولما توفي تزوجت أخاه فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين وأطلقوا عليها لقب « زوجة السيدين » وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرف .

وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام لأن هذه السيدة

(١) « الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء » (ص٥٢) .

(٢) « تاريخ العرب الحديث والمعاصر » (ص٣٧٣) .

قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى  
وكسبت للفرنسيين مزارع خصيبة ومراع كثيرة لولاها ما خرجت من أيدي  
العرب الجزائريين التيجانيين ولأنها ساقت إلينا جنود مجندة من أحباب  
الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفًا كأنهم بنيان  
مرصوص (١) .

وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل  
فكانوا يتجسسون لهم ويرسلون معهم الأدلاء ويقاتلون إلى جانبهم وعد  
مشايخهم ذلك واجبًا يمليه الشرف ويغنون فيه الاحتساب من الله تعالى .

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة  
الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس  
البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة ( عين ماض ) المركز الأساسي للطريقة  
الصوفية التيجانية وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام (١٣٥٠هـ) .

قال فيها : « إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً  
ومعنوياً وسياسياً ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على  
سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب : إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في  
انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام  
ديارنا » (٢) .

وقال الشيخ شقفة :

« ولم يقف الاستعمار في بلادنا ولا في مصر موقفاً عدائياً من  
الصوفية بل كان يشجعها ويكرم شيوخها ويحسن استقبالهم ويسارع إلى

(١) « مخازي الولي الشيطاني » (ص ١٢) نقلاً عن « التصوف » لشقفة (ص ٢١٢) .

(٢) « تاريخ المغرب في القرن العشرين » لروم لاندو (ص ١٤٣) .

تحقيق مطالبهم»<sup>(١)</sup> .

وقال الشيخ طنطاوي جوهرى في كتابه «الجواهر في تفسير القرآن» .  
« إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغدق  
الناس عليهم المال من كل جانب وحببت إليهم الثمرات وهوت إليهم القلوب  
لما ركز في النفوس من قريهم إلى الله فلما رأوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين  
لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي  
حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش  
وقرأنا نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشائخ الطرق وأن  
الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة  
فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشائخ الطرق وعلى الشريف الذي  
يملك السلطة في تلك البلاد .»

وقالوا هكذا بصريح العبارة :

« إن هؤلاء جميعاً متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال  
جهل المسلمين وغفلتهم فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا  
ويشاركوننا في جر المغنم وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغبان والنسور  
والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنمور»<sup>(٢)</sup> .

والخلاصة مما سبق لنا من العبارات التي نقلناها عن المتصوفة أنفسهم  
والتي تدل دلالة صريحة واضحة على أنهم يرون الجهاد الأكبر هو جهاد  
النفس أما جهاد الأعداء فليس بأمر ذي أهمية بالإضافة إلى مقالات الكتاب

(١) «التصوف بين الحق والخلق» لشقفة (ص ٢١٦) .

(٢) «الجواهر في تفسير القرآن» للطنطاوي (٩/١٣٧ - ١٣٨) .

المسلمين وغير المسلمين الذي أكدوا فيها تقاعس المتصوفة عن القيام بالجهاد في سبيل الله وتعاونهم مع المستعمر ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد الإسلامية فإنهم لا يتقاعسون عن تعاونهم مع الاستعمار إذا ضمنت مصالحهم المادية الخاصة وهم علاوة على هذا فإنهم مستسلمون دائماً للعدو فلا يحركون ساكناً إذ شعارهم الصوفي :

« دع الخلق للخالق »<sup>(١)</sup> ، « ليس في الإمكان أبدع مما كان »<sup>(٢)</sup> .

« لو اطلعت على الغيب لا خترتم الواقع » .

وقال علي برادة التيجاني :

« إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره »<sup>(٣)</sup> .

وإذا نظرنا إلى العبارات السابقة نرى بأنها عبارات خطيرة جداً كلها تدعو إلى عدم مقاومة الكفار ومقارعتهم وذلك لأن مقاومتهم تعني الاعتراض على قضاء الله وقدره وأن الكفرة ما هم إلا ممثلون لأمر الله تعالى ولذا فلا يجوز مقاومتهم بل ينبغي الاستسلام لهم والخضوع للأمر الواقع مهما كان هذا الواقع نوعه سواء كانت السيطرة فيه للكفرة أو للمسلمين ليس هناك فرق بين الواقعيين في المفهوم الصوفي ومعنى هذا هو تعطيل الجهاد كلية .

\*\*\*

(١) ، (٢) « التصوف بين الحق والخلق » لشقفة (ص ٢١) .

(٣) « جواهر المعاني » لعلي براد (١/٢٢١) .



## فهرس الموضوعات

### الفصل الثاني

الصفحة

#### انحرافاتهم في الخضر عليه السلام

- تمهيد : ..... ٥١١
- المبحث الأول : اعتقاد الصوفية وغيرهم بأن الخضر ولي وليس  
بني وأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما  
خرج الخضر عن شريعة موسى ..... ٥١٢
- المبحث الثاني : ادعاء الصوفية بأن الخضر حي إلى الآن  
وادعائهم الالتقاء به والتلقي عنه ..... ٥٢٥
- المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على معتقدهم  
هذا ..... ٥٢٧
- المطلب الثاني : بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر  
والتلقي عنده ..... ٥٣١

### الفصل الثالث

#### انحرافاتهم تجاه الأولياء

- تمهيد : ..... ٥٤٧
- المطلب الأول : تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح  
لولاية الله ببيجاز ..... ٥٤٨
- المطلب الثاني : ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية  
يزعمون التلقي عن الله والعروج إليه وأن  
الولاية أفضل من النبوة ..... ٥٥٢
- المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي يتلقى  
بعد رسول الله ﷺ ..... ٥٩٢
- المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم

- ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون  
 ٦١٣ ويتحكمون فيه .....
- المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم وذكر نماذج من  
 النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون بأن  
 ٦١٥ للأولياء تصرفاً في هذا الكون .....
- أولاً : مراتب الأولياء عند الصوفية .....
- ثانياً : معاني هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبة عند  
 ٦١٧ الصوفية .....
- الخلاصة .....
- ثالثاً : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التي  
 ألفها أئمة جهابذة عندهم تثبت لنا أنهم بالفعل  
 ٦٢٩ يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون .....
- المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من هذه المراتب وممن  
 يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون .....
- ٦٥٩ .....
- ٦٨١ الخلاصة .....
- ٦٨٤ المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب .....
- المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم  
 يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب .....
- ٦٨٥ .....
- المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى وحكم  
 من يدعي الغيب .....
- ٦٠٦ .....
- أولاً : النصوص القرآنية التي تدل على اختصاص علم الغيب  
 بالله سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره كائناً من كان ..
- ٦٠٦ ..
- ثانياً : الأدلة من السنة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى .
- ٧٢١ ..
- ٧٢٤ موقف علماء الإسلام ممن يدعي علم الغيب .....

الصفحة	الموضوع
٧٢٦	الخلاصة .....
٧٢٧	المبحث الرابع: توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة ..
٧٢٩	المطلب الأول: ذكر النصوص التي تثبت بأنهم يتوجهون إلى
٧٢٩	شيوخهم بالدعاء والاستغاثة .....
٧٥٢	الخلاصة .....
٧٥٣	المطلب الثاني: حكم دعاء غير الله في الإسلام .....
٧٥٣	أولاً: الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير
٧٥٣	الله شرك .....
٧٥٩	ثانياً: الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير الله شرك ..
٧٦٠	ثالثاً: أقوال العلماء في حكم دعاء غير الله .....
٧٧١	الخلاصة .....

### الباب الرابع

انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء والقدر

والتوكل والجنة والنار

### الفصل الأول

٧٧٩	انحرافهم في مفهوم الزهد .....
٧٨٠	المبحث الأول: تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له ....
٧٨٠	تعريف الزهد في اللغة .....
٧٨٠	تعريف الزهد في الاصطلاح .....
٧٨١	أقسام الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له ....
٧٩٠	المبحث الثاني: انحراف الصوفية في مفهوم الزهد .....
٧٩١	المطلب الأول: تعريفات الصوفية للزهد .....
	المطلب الثاني: عبارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم
	يفهمون الزهد بأنه عبارة عن ترك الدنيا بالكلية

٧٩٣	وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعري والسهر والفقر .....
٨٠١	بيان بطلان هذا المفهوم الصوفي .....
٨١٣	وقوع الصوفية في الشحاة وسؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد .....
٨١٦	عبارات الصوفية وحكاياتهم التي تثبت بأنهم مدحوا السؤال والشحاة وطبقوه في واقع حياتهم .....
٨٢٠	حكايات عن الصوفية أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس .....
٨٢٤	الخلاصة .....
٨٢٤	حكم السؤال في الإسلام .....
٨٢٨	نفور الصوفية عن الزواج وتفسير الناس عنه بحجة الزهد في الدنيا وسوء فهمهم للزهد .....
٨٢٨	أولاً : ذكر عباراتهم التي تدل على أنهم نفروا من الزواج بشتى الأساليب .....
٨٣٢	ثانياً : إثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وإجماع العلماء
٨٣٣	١ - الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح .....
٨٣٥	٢ - الأدلة من السنة على مشروعية النكاح .....
٨٣٦	٣ - الإجماع .....
٨٣٧	حكم النكاح في الإسلام .....
٨٤٤	هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة الله .....
٨٤٩	الخلاصة .....

## الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم  
من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ

- ٨٦١ ..... المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في الإسلام . . . . .
- ٨٦١ ..... تمهيد
- ٨٦٤ ..... المطلوب الأول : تعريف الجهاد وحكمه . . . . .
- ٨٦٤ ..... أولاً : تعريف الجهاد . . . . .
- ٨٦٧ ..... ثانياً : حكم الجهاد في سبيل الله . . . . .
- ٨٧٣ ..... الخلاصة . . . . .
- ٨٧٥ ..... متى يكون الجهاد فرض عين . . . . .
- ٨٨١ ..... ثالثاً : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى . . . . .
- ٨٨١ ..... أولاً : الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله . . . . .
- ٨٨٤ ..... ثانياً : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله . . . . .
- ٨٩١ ..... ثالثاً : نماذج من أقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد في سبيل الله ورغبوا فيه . . . . .
- ٨٩٦ ..... الخلاصة . . . . .
- ٨٩٨ ..... المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم من أعداء الأمة الإسلامية . . . . .